

علم كهوف العقل

بما أن متابعة فهم هذا الكتاب لا يتأتى إلا بعد معرفتنا لأكبر العلاجات فلنتفحصها إذن معا . و في نفس الوقت ، فلنتقف إجلالا و تكريما للرواد و آباء العلاج النفسي .

١ - حفار الكهوف و نحلت الحجر

مسمر (Mesmer) و التتويم المغناطيسي

ثلاثة نساء متهيجات في أغرب صورة يمنحها لهن الصرع . كن قد سقطن متأرجحات إلى الخلف ، متعجرات بضحكات لا إرادية ، مصحوبة بشهقات قوية . إنها النوبة العصبية .

رجل مرتدي لباسا حريريا ينظر إليهن . إنه الكاهن الأعظم لهذا المكان العجيب . يعمّ ظلام دامس وسط القاعة؛ نوافذها تغطيها ستائر صفيقة ، تمنع بذلك مرور أشعة الشمس . و مسمر أب " المغناطيسية الحيوانية " ورائد التتويم المغناطيسي يمسك بيده قضيبا حديديا و يفكر .

نوبة النساء الثلاثة في أوجها . وسط هذه الغرفة " المعجزة " تتربع علبة خشبية . بداخلها توجد كمية من الماء ، زجاج مسحوق ، و نفايات المعدن ، تطل من خلال فتحات به ، قضبانا حديدية مرنة .

يدخل المرضى داخل المعبد بخشوع رهيب ، يعم القاعة صمت كبير ، ما عدا انبعاث ميلوديات موسيقية مرعبة . يأخذ كل مريض قضيبا و

يضغطه على مكان ألمه . ثم يظهر مسمر بقميصه البراق . يمر بوقار كبير أمام المرضى ، مثبتا عينيه في كل واحد منهم . ثم يجوب بعصاه

على كامل أجسامهم ... و بعدها تسقط الثلاثة نساء الهاتجات ...

ويعيد مسمر الرجل المغناطيسي و المداوي تاريخ حياته ...

ولد مسمر عام 1734 بمدينة راد ولف زال، على ضفة نهر الكونستونس. من هو أبوه؟ حارس الغابات ، عندما كان عمره عشر

دوره كراهب في المستقبل . وفي الجامعة درس العلوم الدينية وكذلك ، علم الفلك ، الفيزياء و الرياضيات . كما قرأ للمفكر باراساليس Paracelise الرجل الذي يؤمن بتأثير الكواكب على الإنسان ... في هذه الأثناء تراجع مسمر عن مساره التعليمي . تتلأشى توجهاته الحياتية الأولية . ويهجر الكنيسة لبتجه نحو العلوم الطبية . و يصبح كاهنا للأجساد . وبهذا يدخل مسمر ، رأسه الأول ، وسط علوم الطب التي كانت حين ذاك علمية بحتة ، لا تقبل أي شكل من أشكال الشعوذة ، و لا أي ظاهرة لا يستدل عليها بالمنطق الفيزيائي . و لكن مسمر ، يؤمن بقوى غيبية و غريبة . و قبله ألم يكن قيوم ماكسوال يعتقد أن سبب الأمراض التي تصيبنا هو نتيجة نقص من المحلول الحيوي لأعضائنا الجسمية ؟ أو لم يكن يعتقد أن إعادة التوازن يكون عن طريق استرجاع " القوى المغناطيسية " ؟

في عام 1765 كان عمر مسمر 31 سنة . موزار كان عمره آنذاك 09 سنوات ، و الذي كان تحت وصاية مسمر . و في حوالي 1768 ... يلقي مسمر أطروحته لنيل شهادة الطب تحمل عنوان " تأثير الكواكب على جسم الإنسان " موضوعا يعتبر تحديا للطب ذي الطابع العلمي البحث . و ينجح في أطروحته ! و لم يصرخ كهان ذلك العصر متهمين إياه بالاحتيال ؛ لا بد أنه كان طالبا ممتازا جدا .

هاهو الآن عين رسميا طبيبا ، رجل العلبة الخشبية ، يعترف به ، و يمنح رخصة الممارسة المهنية للطب : أوه ! إنه لا يربح إلا القليل ... إنه فقير . هل تدرن ! إنه يمضي جل وقته في معالجة الفقراء دون أن يلتمس منهم لاجرا و لافخرا ...

و لكن حياته تتشطر مرة أخرى . و في عام 1768 يتزوج مسمر مع أرملة غنية . و هو الذي لا يبحث لا على شرف و لا على افتخار ، يجدهما في طريقه صدقة .

مسمر يفكر : يوجد محلولا عالميا ، تغطس داخله جميع الأجسام ... إنه يعتقد أن الإرادة الإنسانية قادرة على أن تجعل هذا المحلول تحت تصرفها، حيث تقوم بإخراجه من نقطة ما ، و تكدهه في نقطة أخرى ... نحن إذن في عام 1768 . زوجة مسمر عندها خادمة تؤنسها و تسليها و

اسمها فرولن فرنزل جسترلين و لكن تدهور حالتها الصحية يهدهى إلى مسمر على طبق من فضة : مما تستكي فرنزل جسترلين ؟ بكل شيء ... شلل مؤقت ، اضطرابات في الأمعاء ، تقيؤ تشنجي ، انهيار عصبي ، الرعب ، الإغماء ، فقد البصر العابر. و باختصار حالة من الهستيريا (1) . و تشفى هذه المرأة بفضل علاج مسمر .

و هاهي طبول الشهرة تدق على أبوابه . ذلك الرجل الذي كان يؤمن بعمله ، و كذلك كان يملك الشجاعة الكبيرة ليتحدى أحبار العلم في حقبة . أنفجر اسمه ، و ذاع صيته عبر أرجاء كامل المعمورة .

و بما أن مسمر عمليا للغاية ، وجد أنه يضيع الوقت الكثير عندما يعالج كل حالة على حدة . فاهتدى به الأمر إلى اختراع علبته الجماعية ! و بفضلها فقد سمح أن يحشر مرضاه بأفواج كبيرة ... أسماء مشهورة في ذلك الوقت كانت تحمل في يدها قضبان العلبة الخشبية . و كان موجودا كذلك الكاتب الكبير " لاهارب " و الذي كانت تربطه صداقة مع بول الدوك الأعظم لبروسيا ! كل شيء إذن كان على ما يرام ، و يعُد المغناطيس الحيواني أن يصل إلى أعلى مركز في هذا الوجود ... لكن هنالك قوتان تسهران دوما : الطب و الموضة .

* **الموضة** : لتتخيل نساء تلك الحقبة نتكنمن على المغناطيسية . ألم يقمن بفعل نفس الشيء حين كسفن بعقدن النفسية في عهد هيمنة فرويد .
* **الطب** : لأن نفس هؤلاء الأساتذة الذين قبلوا الأطروحة الجريئة لمسمر ، أضحووا ينتظرون الفرصة السانحة لينقضوا عليه . و هاهي تأتي على شكل فتاة فاقدة للبصر (اسمها : تيريزا فون باراديس) عازفة بيانو تعيش تحت وصاية الإمبراطورة . لم ينفع معها أي علاج ، حتى أشهر أطباء العيون في فيينا لم يقدرُوا على شفائها .

و هاهي بعد يأس ذريع يحضرونها عند مسمر ... و الذي يعيد لها بصرها بعد علاج مكثف . إنها قصة لا تصدق ؟ رغم أنها حقيقة . إنها مصابة بعمى هستيري . و الآن اسمعوا ... عندما أعيد لها بصرها لم تعد تعزف على البيانو بشكل جيد ، و بالتالي فإن أجرتها التي كانت تتقاضاها أضحت مهددة بالانقطاع . قام الأطباء بفحص الفتاة؛ اعترفوا أنها أصبحت ترى

حقيقة ، لكن كذبوا إذا كانت سوف ترى ، لأنها لا تعرف حتى أسم الأشياء (لأنها فقدت بصرها منذ كانت في الثالثة من عمرها) و تهطل على مسمر اللعنات من طرف أطباء عصره ، و هو يحكي بنفسه كيف دخل عليه أبو الفتاة ، و شرارة الغضب تتطاير من عينيه ، و السيف في يده ! و لكن بعد ما فقدت ابنته من جديد بصرها (مما يدل على أنها حالة هستيرية المنشأ) و طرد مسمر من الجامعة ، و طلب الملجأ إلى فرنسا .
و ... كما يحدث عادة ، فاللجنة التي كلفت بدراسة المسمرية ، لم تهتم إطلاقا في ما إذا كان مسمر قام بشفاء المرضى أم لا ؛ و لكن إلى اكتشاف مصداقية نظريته ! فأي نظرية ؟ ما هي " مغناطيسية الحيوانات " ؟ أي استدلال هو من باب المستحيلات ؛ و أدرجوا شفاءات مسمر في إطار ... التخيلات و أسدل الستار .

التنويم المغناطيسي و الإيحاء

في 1814 كان يوجد مسمر حين ذاك تحت الظل ... و تبقى طريقته . إنسان مشهور يدعى السيد دوبوسقيير (De Pysegur) ضابط في الجيش و باحث ، يستعمل المغناطيسية في مزرعته الكائنة بسواسون . و لكنه تخلى عن الطقوس المعتادة ، الموسيقى و الستائر . و تركت الدهشة و الإعجاب مكانها للعلم ! ليس هناك شيء ما عدا شجرة ، شجرة كبيرة ، قد قام بمغنطتها بنفسه و يكفيه هذا . [و فرنكيني يقول : ليس حتما أن أكون ممغنا لكي أتمكن بمغنطة الغير ...]

في أحد الأيام (و القصة مشهورة كثيرا) شاب كان يعمل كراعي أغنام ، و أقيمت عليه المغنطة ، إنه لم يقع باعوجاج كما يحدث عادة . لا ليس كذلك أبدا . إنه بدلا من هذا فقد غاص في نوم عميق . لا ليس بسبب التعب أو اللامبالاة ... و لكنه نوم غريب . و أقيم حوله عمدا صخب و ضجة عارمة . لم ينفع معه أي شيء . الراعي الشاب لم يستيقظ من نومه . أفضل من ذلك ! هاهو ينهض من مكانه ، يمشي يتكلم ، و ينصاع كلية لأوامر دوبوسقيير ... و ليس بعيدا أنه يشعر بامتلاك إرادة العالم كله . و هكذا يكتشف التنويم المغناطيسي و معه الإيحاء المغناطيسي .

بعد مسمر و دوبوسقير ، هاهو دولوز (Deleuse) يكتشف الإيحاء بعد التنويم المغناطيسي . لاحظ أن الشخص عندما يستيقظ بعد إخضاعه للتنويم المغناطيسي يقوم بنفس الأوامر التي أعطيت له خلال نومه .
(مثال : حالة بسيطة و سهلة ، ننوم مغناطيسيا شخصا له قابلية لذلك ؛ و نحى إليه بأن الماء الذي سوف يشربه مملوء فلفلا ؛ ثم نوقظه : و بعدها يبقى ذلك الشخص ييصق بمرارة شديدة و لاشيء قادر على نزع هذه الفكرة من رأسه . (إلا إعادة تنويمية من جديد)
و قد واصل العدد الكبير من الباحثين أعمالهم حول التنويم المغناطيسي إلى حد الحماس المفرط .

و لكن المسمريون كثيرو الثرثرة ... و رغم النجاحات للتطبيقية الباهرة المحصل عليها تحت التنويم (و نحن في القرن التاسع عشر) تسقط المسمرية إلى الحضيض تماما كما صعدت ...
و انطلقت الموجة الأخيرة من إنجلترا حين اعتنق الدكتور اليوستون (Eliostone) المنهج المسماري الشيء الذي جعله في عام 1838 ...
يجبر على تقديم استقالته من المستشفى .

و في عام 1955 تتراجع إنجلترا بالذات عن موقفها ، و تعتبر أن للتنويم المغناطيسي فوائد كبيرة و تطب ، عن طريق ، الجمعية الطبية الإنجليزية [British medical Associaton] بأن يطبق التنويم المغناطيسي في المستشفيات ، و يدرس للطلبة مثله ، مثل جميع الاختصاصات الطبية . و هذا بعد الاتحاد السوفيتي و كثير من الدول الأتجولفونية .
و كانت تجرى في عام 1838 عمليات رهيبية ليتر الأطراف الجسمية ، تحت التنويم المغناطيسي و دون أي ألم . إذن ، زماننا هذا لم يفعل إلا على استمرار هذه الطريقة الشيقة من العلاج ...

و نصل (دائما القرن XIX) إلى الدكتور أسدايل (Esdaille) طبيب إنجليزي ، يمارس في الهند . قام بممارسة ثلاثة مائة عملية جراحية بنجاح باهر ، و دون أدنى ألم عن طريق التنويم المغناطيسي . فبماذا يكافأ بعد عمله الجبار هذا ؟ بالاحتقار ... و أغلق المستشفى الذي كان يعمل به .

التنويم المغناطيسي ، نافذة نحو اللاشعور .

تكتب في الجرائد الشعبية ... أتريدون العجب ! ... يستلقي الشخص على سرير إذا أمكن الحال ... يعم القاعة هدوء كامل . صوت خافت ، بوتيرة واحدة ، نافذ ، متعب إنه صوت المنوم . - " سوف تنام ... عندك رغبة كبيرة في النوم ... أنظر إلى عيناى ... " و يثبت ذلك الشخص بعينه إلى شيء براق يبعد عنه بحوالي عشرين سنتم إلى الأمام من رأسه . و دائما بصوت خافت " سوف تنام... لك رغبة في النوم ..."

و يضرب الشخص بجفنتيه . إنه لا يبتغي شيئا ، لا فتح عينيه الثقيلتين ، و لا تخليص ذهنه المجمد و المنزوع القوى ... أو يقوم كذلك بالضغط على مقلتي العينين ، يصحب ذلك تنفسا عميقا منتظما و بطينا ... و دائما بمس عدة هذا الصوت الخافت ، ذلك الصوت المنعم الذي ينفذ إلى أعماق الأعماق ، مما يضيف عليه المزيد من السحر .

و يبدأ الإيحاء : (انطلاقا من هذه اللحظة ، يختفي كل شكل من أشكال الحكمة التي تتألم منها ... ابتداء من هذه اللحظة لا يبقى شيء على جلدك ... إصابتك بالإكزيما تختفي ... هل سمعت ؟ أكرمك تشفى ... و تصبح بشرة جلدك ملساء ، ناعمة جميلة و لا أثر لأي طفح ...)

و في أغلب الأحيان الأقريما تبرى ، و الطفح يختفي .
أو القيام بالعمليات الجراحية تحت التنويم المغناطيسي .

حالة المريضة الإنجليزية التي أجريت عليها عملية جراحية عام 1956 و ذلك تحت التنويم المغناطيسي ، و التي ذاع صيتها عبر أرجاء العالم . قام الطبيب الجراح برسم مربع وهمي على بطن تلك السيدة ، طول ضلعه حوالي عشرين سنتيمترات . نامت المريضة بعد إخضاعها إلى التنويم المغناطيسي ، أخذ الطبيب بعد ذلك يعرض عليها :

(سأقوم بتخدير بطنك . أخدر المساحة التي قمت برسم عليها الإطار المربع ... داخل هذا المربع ، سوف لا تشعرين بشيء ... لا تشعرين بأي ألم) . و تبدأ العملية و تنتهي بنجاح كبير .

يمكن للتنويم أن يقوم بإظهار أورام جلدية ، إذا قمنا بإيحاء النائم أن منطقة ما في جسمه أصيبت بحروق . يمكن كذلك و بفضل التنويم المغناطيسي أن نقص أو نزيد في نبضات القلب إذا قمنا بإيحاء الشخص

أنه حضر مثلا لحادث مرور . هنا إذن ، فالتغيرات النبضية مصدرها الانفعال . يؤثر التنويم المغناطيسي بشكل كبير على الجهاز التنفسي ، و بشكل أكبر على الجهاز الهضمي . و يؤثر كذلك على الجهاز البولي (يزيد أو ينقص في كمية البول المطروحة) . أيضا يؤثر على الجهاز التناسلي . و حسب الملاحظات يمكن له كذلك أن يقدم أو يؤخر موعد العادة الشهرية . أيضا يؤثر بشكل كبير على ظواهر الأوعية الدموية . كما يؤثر كذلك على الجلد بظهور خاصة بقع حمراء و تورم جلدي... (فالجلد في علاقة حميمة مع الجهاز العصبي الودي)

على ماذا يبرهن هذا ؟ تدل الظواهر التنويمية المختلفة على مدى الصلة الوطيدة التي تربط بين " العقل " و " الجسم " سوف نعود إليها في دراستنا للهستيريا و الأمراض النفس - جسدية . و سوف ندرك قدرات التنويم ... ونفهم بذلك المحاولات التي تريد جعلها أداة شفاء عالمية !

كيف يكون النوم المغناطيسي ؟

التنويم عن طريق المغناطيسية يكون جزئيا ، يحدثه الإيحاء (أما التنويم التخديري يكون عن طريق استعمال المواد الكيماوية) . النوم المغناطيسي لا يعتبر نوما كليا ؛ يكون فيه الشعور في حالة خمول ولكن ليس غائبا . يبقى الشخص محتفظا بقدراته التركيبية و الانتباه ، و كذلك لوظائفه الحسية منها السمعية و البصرية . و لا يفقد كلية لنشاطه العضلي . و هذا ما يسمح للنائم مغناطيسيا بالنهوض و المشي ، و الاحتفاظ بأوضاع جسمية يصعب لغيره فعلها .

نفرض مثلا أن نقول لشخص يوجد تحت التنويم المغناطيسي أنه لا يستطيع تحريك يده اليمنى . حتى إذا أراد هو تقليص يده ، فسوف نرى :
- يقوم بتقليص عضلاته الثانية محاولا طي يده
- يقلص عضلاته الباسطة ليمنع طي يده

نعلم أن الشخص خلال تنويمه مغناطيسيا يظهر الطاعة لبعض الأوامر التي يحي بها المنوم - في إطار حدود معقولة ! - فهو يجيب على الأسئلة ؛ و ينفذ بعض الأوامر المعطاة له . و عادة ما تنفذ تلك الأوامر ؛ و لكن لم نلاحظ أبدا أنه أنصاع لأمر يخالف أخلاقياته .

هل يمكن تنويم شخص دون رغبته !

كان يُعتقد هذا في عهد شاركو. لكن نفي هذا الشيء في عصرنا الحديث. حتى ولو لم نقم بالتعميم ، فإن شخصا ذا شخصية هستيرية يكون قابلا للتنويم لأقصى درجة ... و هذا لا يعني أن أي إنسان قابل للتنويم هو ذو شخصية هستيرية ! و يعتقد بابنسكي (Babinsky)) :

- أن الشخص لا يفقد الذاكرة بما يحدث خلال التنويم المغناطيسي
- أن النوم الخمولي ليس بقاتا لا شعوريا .
- أن الشخص لا يفقد أبدا المراقبة الإرادية ، و بالتالي فهو لا يجب بصفة عشوائية على كل أوامر المنوم .

و بابنسكي يضيف: " في المواقف الجادة من الأمور، يصبح الشخص النائم عن طريق المغناطيسية سيدا لأفعاله كما كان عليه في حالة اليقظة" و هذا التصرف يذكرنا بحادثة طريفة وقعت لجانات Janet: قدم المنوم لطلبة الطب (طبعا) مريضة أخضعها للتنويم المغناطيسي . و سمح لهم أن يقوموا بالإحياءات . أحد الطلبة (بديهي) أحي لها أن تنزع ثيابها . بهذه الكلمات قامت المريضة من مكانها فجأة ، و خرجت غاضبة ... - و هذا شيء يطمئن .

نفس الشيء ، فليس من المعقول أن نتمكن من إقناع شخص تحت التنويم أن يرتكب فعل إجرامي . و لكن إذا كان الشخص نفسه عنده ميول إجرامي ؟ التجربة فقط التي تستطيع أن تجيبنا .

كيف يجب اعتبار التنويم المغناطيسي ؟

ببرودة مثل باقي العلاجات الأخرى ، بالرغم من طابعه " المذهل " . و لكن الاعتقادات الشعبية الحالية هي نفسها و للأسف كما كانت عليه عام 1870: المنوم يتمتع بقدرات كبيرة، و يملك مصير العباد بين يديه ! لكن الحقيقة هي أقل بكثير من هذا الاعتقاد الإعجازي ، و تبنى على أساس واحد الا و هو الوظيفة العصبية ، كما سوف نرى .

يمكن أن يكون التنويم المغناطيسي كأداة تخدير . و إذا كانت أكبر العمليات الجراحية قد أجريت تحت التنويم المغناطيسي ، لا لنسى أبدا أنها بدأت منذ القرن التاسع عشر ، و هنا لا يسعنا إلا أن نقدم التحية و الإكرام للذين سبقونا إليها . فهي إذن لها قدرة عظيمة على تعويض التخدير

الكيميائي . و لكن لاحظنا أن فقط عشرة في المائة من الأشخاص يمكن إخضاعهم للتنويم المغناطيسي ، مما يقلص بشكل كبير الإمكانيات التطبيقية.

قدرات أخرى يتمتع بها التنويم : الإيحاء يمكن له أن يجنب آلام ما بعد العمليات الجراحية (التضميد الخ)

ما هي قدرات التنويم المغناطيسي بمفهوم علم النفس ؟

- عند الأمراض العقلية لا يعطى أي نتائج إيجابية . الكثير من المختلين عقليا هم مترددون على هذه الطريقة أو يمكن أن يحدث لهم تفاعلا هذيانيا .
- *وقسي علم النفس* : يمكن أن تدهش " بنتائجها المزيفة " . يظهر و من الطبيعي أن عملية التنويم يمكن لها تخليص الشخص من أفكاره الثابتة ، من رهبه ، من تأتاته ، و من وسواسه .

ونلاحظ فعلا أنه في أغلب الأحيان تزول الاضطرابات وبسرعة كبيرة . تزول الأعراض ، بينما النتائج ليست مستديمة . لماذا ؟ لأنه يبقى الميول العميق للشخص . و إذا ما زالت الأعراض الأولى ، فسوف تظهر أعراضا ثانية و بنوع آخر ، و إذا ما حاولنا إزالة الثانية فإن هناك خطر ظهور ثالثة ... و هذا يبرهن على أن الميول المرضي لم ينزعه التنويم المغناطيسي .

و سوف نحصل على تتابع ظهور الأعراض الناتجة عن سبب واحد حيا دائما في الأعماق . (الهستيريا هو مثل واقعي) .
لأنه إذا أردنا قتل الأفعى ، فلا نكتفي بقطع ذيلها ...

العصاب Nevrose

لا ننسى أبدا ما يلي (و سوف نراه طيلة هذا الكتاب) : يعتبر العصاب في أغلب الأحيان كميكانيزم داخلي يعمل على توفير الأمن . العصابي هو شخص يأخذ ملجأ وسط العصاب ليلقى فيه أمنه العقلي . و ما دام يجد فيه أمنه فإنه من البديهي أن يصبح العصاب في حد ذاته (شعوريا أم لا شعوريا) شيئا ضروريا . و بشكل عام ، فإن الشخص المصاب بالعصاب لا يشتكى إطلاقا من مرضه العصابي ذاته . و لكن من الأشياء التي تؤلمه . لأن العصاب يحدث أعراضا ؛ هذه الأخيرة تؤلمه ، و هي بالذات التي يرغب في التخلص منها .

* - إليكم مثالا بسيطا (المتقن " راجع ص : 79) نفرض أن هذا المتقن يتألم من وحدته ، من هجرة الناس له ، من انفعالاته ، و من خجله ... فهو يريد إذن أن يشفى من آلامه الانفعالي ، من وحدته ، من هذا الخجل ، و التي ما هي إلا أعراضا . و لكن هل يريد أن يشفى من عصابه العميق . من إتقانه؟ لا ، إن هذا الإتقان يعتبر أمانه الداخلي! نشاهد إذن، أن التنويم المغناطيسي لا يعطي أدنى نتيجة في هذه الحالة بالذات . و تدخل إرادة المنوم في صراع مع إرادة النايم العميقة . و لا يصلون بذلك لأية نتيجة . هنا ، العلاج النفسي العمق و فقط الذي يستطيع أن يعطي ثماره . فلنرجع إذن التنويم المغناطيسي لقيمه الفعلية ، و التي تحظى رغم هذا بمكانتها الرفيعة !

شاركو Charcot طبيب في مستشفى "لاصال بتريار

يدخل التنويم المغناطيسي في عهد الأستاذ شاركو (1825 - 1913) مختص في الأمراض العصبية بمستشفى " لاصال بتريار " ، في مرحلته ... فلنقل الرسمية . أحسن من هذا ! العلمية . يتقطن شاركو ، الذي كانت جل اهتماماته حول الأمراض العصبية ، إلى تدارك الأهمية البليغة التي يمكن أن يمنحها التنويم المغناطيسي في دراساته ، و التي يجلب دائما أو يذل بنفس الولع .

شاركو إذن كان مختصا في الأمراض العصبية و ليس في الأمراض العقلية . بصفته عالم أعصاب فهو يهتم بالجانب الفيزيولوجي للنايم مغناطيسيا ، بحركاته ، وردود أفعاله . كل ذلك يتركه يمر بجانب الظواهر النفسية . و هذا خطر التخصص ! ... يجب أن ننبه أن شاركو لم يقم يوما بتنويم شخص . و يمكن أن نخيل دخوله إلى القاعة ... حين يقدم له الطلبة شخصا أخضع من قبل للتنويم .

ورغم كل شيء فإن شاركو كان على صواب ... ووجد أن دراسة الظواهر النفسية كانت في غاية التعقيد ، كان يرغب في معرفة الخصائص الفيزيائية لهذه الظاهرة غير الطبيعية ، لكي يتعرف من خلالها على علامات لا تدعو بعدها إلى اللبس إطلاقا . و نكرر إذن أن شاركو عكف ، قبل كل شيء ، على دراسة الحركات و ردود الأفعال للشخص الخاضع للتنويم المغناطيسي .

و بدأ شاركو العظيم في الدراسة الفيزيولوجية للنائم. بينما كان يحدث ما يلي: - مدرسة لاصال بتريار كانت لا تمده إلا بالنساء المهسترات (لها القابلية السهلة للتنويم) و عليهن لخصت ملاحظاته . و انقل شاركو مباشرة من الخاص إلى العام و بسهولة مذهلة . و أعلن أنه و فقط المرضى من هذا النوع القابلون للتنويم المغناطيسي!...بالنسبة له الظواهر التنويمية هي ظواهر غير طبيعية .

برنهائم Bernheim ، أو الإعلان عن الحرب

برنهائم من مدرسة نانسي (Nancy) لم يكن موافقا بتاتا ، و لا يخرجه إطلاقا التصريح بهذا . فقط المرضى هم القابلون للتنويم المغناطيسي ؟ هذا غير صحيح يرد برنهائم ! التنويم المغناطيسي ظاهرة جد طبيعية ، و معظم الناس لهم قابلية للتنويم .

و هذا ما أعلن عنه " ما يسمى بالتنويم المغناطيسي ما هو إلا إعادة نشاط لمميزات طبيعية خاصة بالمخ : الإيحاء ، معناه ، الاستعداد العقلي للتأثير بفكرة ما و دون مناقشة . فلا يوجد تنويم مغناطيسي : أعني لا توجد حالة خاصة غير طبيعية تستحق هذا الاسم ، لا يوجد إلا أشخاص قابلون نوعا ما للإيحاء؛ و يمكن اقتراح عليهم بعض الأفكار ، الانفعالات ، الأعمال ، أو الهلوسة ... "

ماذا يمكن تلخيصه؟... إمكانية التنويم مشروطة بالحالة العضوية الآتية ، و أن الظواهر التنويمية هي ناتجة لأسباب نفسية: و هي القابلية الإيحائية ، و التي سوف نراها في ما بعد .

بابنسكي Babinsky ، الرجل الذي يلخص ...

و يؤكد جوزيف بابنسكي (1857 - 1932) نظرية برنهائم . و يقول أن التنويم المغناطيسي هو عبارة عن إيحاء ، يقوى من طرف حالة عدم المراقبة الذاتية. فهو يعتبر إذن أن التنويم هو " حالة نفسية ، يجعل الشخص الذي يكون خاضعا لها، قادرا على استقبال الإيحاء من غيره...". و لنقفز إذن إلى الهستيريا التي لا يعتبرها كمرض عضوي ، و لكن كحالة نفسية تجعل من الشخص المصاب بها قادرا على الإيحاء الذاتي و سهولة إيحاء الآخرين له .

الإيحاء الانفعالي

تشرع محكمة الجنائيات في جلستها ، في حين هناك متهم سوف يعكف على اللعب برأسه بعد لحظات . يبسط محامي الدفاع بكل أوراقه و يفحم في خطابه . حتى أنهك كاهل الهيئة المحلفة الذي أخذ يقبلها بوابل من الاستدلالات . أفلم ينادي فيهم روح منطقتهم ، فضيلتهم و نزاهتهم ؟ و تابع المحامي خطابه ، محاولا إقناعهم ببرائة موكله ...

و فجأة أخذ المترافع يسرد قصة حياة المتهم : أب سكير ، أم سكير ، عراكات عائلية مستمرة ، فقر و تعاسة ... ثم صاح المحامي بأعلى صوته : (فكروا سيداتي سادتي في تعاسة طفولة موكلي ، و اطلبوا البراءة !...) . أصفر وجه أحد المحلفين . و أحس بضربة سهم انهالت عليه ، ليس في منطقته و لكن في مركز انفعالاته . لأن ذلك المحلف تذكر ، هو كذلك ، أباه السكير ، أمه الغائبة ، بؤسه ، و طفولته التعيسة . كلام المحامي نفذ إلى أعماق نقطة فيه .

و بالفعل . أنتصر المحامي على ذلك المحلف . و ترك الاستدلال و المنطق مكانتهما لقوة الانفعال . و الاندفاعية الناتجة عن ذلك تبقى سيدة للموقف . و من هذه الهيئة المحلفة نفسها تأتي التبرنة للمتهم أو تقليص مدة الحكم ... أينما ضربا كلا من الاستدلال و المنطق بجناحيهما ، ينتصر الانفعال في المعركة و قوة الإيحاء يعرفها جيدا قواد الحشود البشرية ! و كذلك تعرفها جيدا تلك المرأة التي تدعى لينى روفنستايل (Leni Riefenstahl) مخرجة سينمائية ، للرايخ الألماني الثالث ، و التي قامت بإخراج الدخلات الهتليرية ، في أرقى حفلات البارتييتاج (parteitag) ! أكثر من مائة ألف رجل مصطفا ؛ آلاف الرايات ترفرف ، جميع نواقيس نورينبرق (Nuremberg) تدق ، منصة مصنوعة من الحجر و الرخام الخالص ، و منفذ يفتح على امتداد غابة شاسعة الأرجاء ... يتقدم هتلر و لوحده من خلال ذلك المنفذ النباتي ، و دون حرسه الخاص ، ثم تتطلق من بعيد أنغام أناشيد عسكرية ، و يتخللها دوي المدافع ... منظر مسرحي ؟ بالطبع . و لكن خاصة إيحائي عن طريق الانفعال الشديد .

لأن في هذه اللحظة بالذات ، أمرا إيحائيا واحدا يمكن له أن يدفع هذا السيل البشري كالصاعقة .

و هذا الاستعراض العسكري المنسجم الإيقاع، تماما " كالبالي"، بلمعانه ،
و قرعات الأرجل على الأرض ؟ هذه الموسيقى ترن و هذه الطبول التي
تدوي ؟ تترك الذين لا يحبون الحرب يتراجعون عن موقفهم ، و نجدهم
يهمسون بعضهم إلى بعض "... أنني تأثرت بهذا المنظر ...؟" إنه إحياء
انفعالي كذلك .

ماذا يقصد بالإحياء ؟

يجب أن لا نخلط بين الإحياء و الإقناع .
إذا كنت أريد إقناعك ، فسوف أتوجه مباشرة إلى منطقتك . أحاول أن
أكسب مشاركتك الإرادية و الشعورية . سوف تقتنع إذا اعترفت بصوابي
في الرأي ، و تقتنع بالأدلة التي قدمتها لك .
أما إذا أردت إحياءك فسوف أتصرف بشكل مختلف . يجب علي أن
أتوجه نحو قابليتك الإيحائية. و هذا شيء أكيد... و لكي أتمكن من هذا ،
فلا بد أن أتجاوز إحساسك الشعوري ، لأصل إلى مراكز العصبية
اللاشعورية ؛ و هذا يفرض وجود ظروف خاصة ، لأنه و جب غياب
المنطق و الإرادة بشكل كبير نوعا ما . نتمكن إحياء شخص عندما تكون
إمكانياته في المقاومة الإرادية مفقودة .

ما معنى القابلية الإيحائية ؟

هو الاستعداد العقلي ، الذي يسمح بالطاعة ؛ و بسهولة و دون مناقشة
للأوامر المعطاة .

هذا الاستعداد يمكن أن يتمثل في حالات عديدة من بينها :
- تكون القابلية الإيحائية عند السذاجة ، و سرعة التصديق . هم الأشخاص
الذين يهضمون كل شيء . لكن ليست لديهم قابلية الإحياء الحقيقية .
- تظهر قابلية الإحياء في بعض الاضطرابات العابرة : التعب الكبير ؛
الإتهاك العصبي كل الاضطرابات التي تفقد التحكم في النفس (نعرف
الذعر الجماعي) ؛ عند فرط- الاتفعال (كما عند المحلف الذي أقتع في
بادئ الأمر ، ثم أخضع للإحياء) . و أكبر درجة الإحياء نجدها عند
الهستيريا (طالع ص رقم 145)

تلخيص : الإحياء

يبني على أساس المناقشة الواعية .
يتنقح الآخرون إراديا .
يقبل شيئا من طرف الآخرين دون منطق و لا مناقشة .
ياخذ هذا الشيء مباشرة على أنه حقيقة . يتوجه الإحياء إلى اللاشعور (مثل الإحياء عن طريق التتويم المغناطيسي الذي سوف نقوم بدراسته)

* - مثال على الإحياء :

يجلس أحد أصدقائك فوق كرسي جراح الأسنان ، و يقوم هذا الأخير بعملية حفر ضرسه بالآلة الثاقبة . يمكن أنت أن تشعر فجأة بالم سواء في أحد أسنانك أو في مكان ما من جسمك . في هذه اللحظة إذن ، أنت تتألم دون وجود سبب مبرر . يقال لك : إنك " تتخيل " بينما أنت تتألم فعلا . و نشك مباشرة في الجهاز العصبي الذي لا بد أن تكون له يدا في ذلك . سوف نرى هذا .

*- من جهة أخرى؛ يطابق الإحياء عادة ، فكرة ما موجودة في أعماق الفرد . أنظر لهذا الخجول الذي خرج من قاعة السينما كانت تعرض فيلما من بطولة الممثل دوقلاس فايربانكس ! انظروا إليه جيدا : إنه يريد أن يلعب دور فايربانكس ؛ إنه فايربانكس نفسه ، يشعر بالخفة و الرشاقة و لا يكثر بشيء ، و ينظر بجرأة .

هذا الرجل قد تم إحياءه... و أيقظ فايربانكس في نفسه إحساسا لا شعوريا؛ الإحساس بالقوة التي يرغب فيها ، بدلا من ضعفه . فالإحياء إذن عبارة عن فكرة تدخل إلى المخ و يقوم بقبولها . تصوب نحو إحداث نزوة تحريضية لا شعورية تقوم بالفعل .

شروط حدوث الإحياء

إذا كان الإحياء يعتبر حالة خاصة ، فإن شروطه تكون كذلك . و لا يتحقق إلا بتوفر تلك الشروط .

1 - الإيحاء الطبيعي نسبياً. فلنتذكر ذلك الخجول الذي خرج من قاعة السينما. إنه أراد لنفسه القوة لكونه يفتقرها. فهذه الرغبة إذن موجودة في كيانه العميق. هل قام فايربانكس بإيحاؤه؟ لا. لم يقم إلا بتشغيل الميكانيزم. و أكمل الإيحاء الذاتي مهمته، فالرغبة أصبحت إيماناً مؤقتاً يحدث الفعل (التصرف، الحركة، الصوت، التضرة الخ...)

الشرط رقم 1 - يجب على الإيحاء الطبيعي أن يتوافق مع إحساس موجود من ذي قبل في لاشعور الفرد، و الذي يمكن له أن يحدث الاندفاع.

الشرط رقم 2 - يجب أن لا يكون هناك رفض لعملية الإيحاء. حالات اعتيادية: تعب، انفعال، خجل، ارتباك، انهيار، زعر الخ. وهكذا عندما تضعف المقاومة الذهنية، يفعل الإيحاء بسهولة كبيرة. مثال: إذا قلنا لمنفعل في أوج نوبة ارتبائه: "يا الهي، ما به حالك متدهور هكذا، ووجهك شاحب...!" هذا الإيحاء سوف لا يقابل أية مقاومة تذكر. و بالإضافة إلى ذلك، فإنه سوف يمس إحساساً كان موجوداً من قبل. و ينفجر مباشرة الذعر.

ماذا يفعل إذن القائم بالإيحاء؟ إنه يضرم النار، ينشط، و يدفع بالفكرة اللاشعورية. و يمر الشخص بعدها إلى الإيحاء الذاتي. نلاحظ إذن، أنه من الصعب و أحياناً من مستحيل أن نقوم بإيحاء شخص ما نكالاً لثقواه الشعورية؛ فتراه يتحدث، و يتحجج، الخ... و نسقط في الإقناع. فالإيحاء الطبيعي له إذن تأثيرات مؤقتة لأنه يعتمد على حالة نقص مؤقتة.

2 - الإيحاء المرضي.

هاهي حالة مرضية، مأخوذة من بين العديد من الملاحظات التي قام بها جانان. إيرن (Irene) امرأة شابة عمرها 21 سنة، تصاب بمرض خطير بعد موت أمها. ترفض شرب ماء الحنفية، زاعمة أنها لا تخرج ماء و لكن دماً أحمر، متى بدأ هذا الإيحاء الذاتي، هذا الهلس؟ عندما رأته يوماً في الحنفية الماء يسيل قطرة، قطرة... "تماماً مثل الدم الذي خرج من خلال شفتي أمها..."

أصبح الإيحاء الذاتي عند "إيرن" فكرة ثابتة. الفكرة الثابتة هي عبارة عن إيحاء ذاتي يدفع إلى أقصى قوة له. فالنتويم المغناطيسي عبارة عن أرضية مثالية لزراع الأفكار الثابتة في مخ أي شخص.

ماهي تجربة بسيطة للتتويم المغناطيسي :
نخضع شخصا للتتويم المغناطيسي . ثم نحى عليه أن كاس الماء الذي بين يديه مالحا جدا . ثم نوقظه من نومه . و يقوم الشخص ذاته بشرب ذلك الماء (و الذي هو ماء عذب جدا) ثم ما يلبث حتى يبصقه مباشرة " و بمرارة شديدة " ، و يعلن أن الماء " مالحا جدا " ، و لا يستطيع أي شيء ، لا منطق و لا حجج أن تقنعه بعكس اعتقاده . و لفعل هذا ، يجب إعادة تتويمه ، و إحياءه بعكس الفكرة الأولى .

فهذا الشخص إذن ، أصيب بالفكرة الثابتة و هو تحت التتويم المغناطيسي. الماء مالح . يأتي الإحياء من قبل المنوم . هذه الفكرة أصبحت اعتقادا مطلقا للذات مغناطيسيا ؛ ثم إحياء ذاتي و بعدها فكرة ثابتة. أكرر و أقول أن في كل هذه الطرق يوجد ميكانيزم عصبي بحت . و الذي سوف ندرسه في وقته . فالإحياء ليس بالمعجزة ، و كلما عرفنا طرقه العصبية انجلى للغز المحير ...

ما معنى الفكرة الثابتة ؟

يمكن اعتبارها ما فكره تعيش حياة طفيلية داخل التشكيلة النفسانية للفرد . و تملك هذه الطفيليات الكفاية من القوة و الثبات لكي تتخلص من جميع الأفكار الأخرى . و لا يستطيع أي استدلال منطقي من إلغائها ، و التي تصبح كالصخرة التي لا تنزعزع من مكانها . هناك آلاف الأنواع من الأفكار الثابتة ، تذهب من غير الطبيعية البسيطة إلى المرضية المتطرفة . يمكن لها أن تفرض وجودها لمدة قصيرة ، متوسطة أو طويلة جدا . و مدى الحياة أحيانا ... و هذا لسوء حظ محيط المريض .

آلاف الأفكار الثابتة يمكن إذن أن تستقر في دماغ الشخص . هنا كذلك ، الحالة المرضية ، ما هي إلا حالة طبيعية مفرطة في العمق و المدة .

الأفكار الثابتة التي تعتبر طبيعية .

- باحث يمشي و هو يفكر في مشكل حير باله...المشكل غزا كل كيانه . من ذا الذي يندش حين يرى هذا الباحث يكتب دون شعور فوق سيارة متوقفة أمامه ؟ و من يندش أمام " شروده الذهني " الكامل ؟ في هذه اللحظة يعتبر هذا الباحث فريسة فكرته : مشكلته لكن هذه الفكرة هي

مؤقتة ، تنتهي مع انتهاء المشكل ... أو ربما أنها تنتهي عند توقف سيارة على بعد عشرة سنتيمترات منه ، و توقظه من حلم يقظته .
- فنان استحوذ عليه عمل فني في طور الإنجاز . لا يعرف و لا يرى شيئا غيره ؟ فكرة ثابتة أيضا . فنية و ممتعة ، لكن تبقى فكرة ثابتة رغم هذا !

- هذا رجل ، استحوذت عليه مشاكل عائلية ، فاصبح يقع في الهفوة تلو أخرى بميدان عمله ، و تراكت عليه الأخطاء ؟ فكرة ثابتة كذلك ، مؤقتة مزجة و منهكة .

الأفكار الثابتة التي تعتبر غير طبيعية (1)

عصرنا اليوم يغلب عليه التعب و الإنفعال . يركن عشرات الآلاف من الأشخاص إلى النوم ثم سرعان ما ينهضون . يتفقدون حنفية الغاز ... ثم يعادون النوم . و بعدها يتخللهم الشك من جديد: (هل قمت بإفعال الحنفية ...؟) و المنطق يجيبهم " نعم لقد قمت بخلقها " لكن الانفعالية اللاشعورية تكمل الشك . و هذا أمر " فوق طاقتهم " . يعودون للنهوض . يتفقدون من جديد . يذهبون للنوم . و يمكن أن نظن أن مرتين أو ثلاث مرات من التفقد تكفي لإقناع انفعالهم ؟ فهذا ليس صحيح . فإنهم ينهضون مرة أخرى ، و هم أكثر فأكثر تعباً ، و بأقل مقاومة لفكرتهم الثابتة ، و التي يعترفون هم بالذات أنها فكرة سخيفة و لكن لا ينفع معها أي إقناع منطقي!

قمت هنا بإعطاء مثال للفكرة الثابتة ذات التأثير البسيط ، و التي تكون عادة مرتبطة باضطراب النقص المؤقت ، إرهاق أو قلق . لكن رغم هذا تبقى فكرة ثابتة ، و التي تبين أعراضا لحالة مرضية .
و ددت لو عرضت عليكم حالات أخرى من الأفكار الثابتة ... لكن هي عديدة و متعددة يجب أن نعرف أنه يوجد أنواع كثيرة جدا ، تذهب من البسيط إلى الخطير جدا و من المؤقت إلى الدائم . و بشكل عام الفكرة الثابتة تنشأ عن طريق ميكانيزم لا شعوري . ما هي الفكرة الثابتة الأكثر شيوعا ؟ - كل الإصابات الو سواسية - كل الإصابات بالرهاب (الله وحده يعلم عددها !...) - أغلب حالات القلق - الهوس الصغير و الهوس الكبير

(1) سوف أذكر بهذا عند دراستنا " للعصاب و الذهان "

السطحي منه أو العميق. - العراة، مادامت موجودة في اللاشعور و " آلية" -
وسواس الخوف من الجنون و الذي هو شائع جدا. وسواس السقوط في
الشارع الخ الخ.

ويمكن التساؤل إذا لم يكن عصرنا هذا المشحون بالتعب والكبت و
الانفعالات العصبية ليس مستحضرا لإخصاب أفكار ثابتة كبيرة ، و التي
لا أتمنى أن يصاب بها أحد ، بالرغم من إمكانية علاجها .

الكبح عند الفكرة الثابتة .

الباحث الذي يركز على مشكلته ، اعتبرناه " غافلا " . رغم هذا فهو لا
يعتبر كذلك و لكن هو : مكبوحا . و قد تكلمنا عن الكبح في التعب و
الخلل . فإذا كان هذا العالم ، لا يلاحظ شيئا من حوله ، فهذا ناتج و
بالمفهوم العصبي على كونه غير قادر على السماع أو الرؤية لشيء آخر
غير المشكل الذي يقلقه . لماذا ؟ لأن كل المراكز العصبية التي لا تخدم
مصلحة المشكلة توجد في حالة كبح .

فالخلايا العصبية عند الفكرة الثابتة لا يحصل لها ، و هذا بديهي ، أي
تموجات ضرورية لعملها ! و الرسائل الآتية من الخارج لا تحدث لها أي
تأثير . مثال : ذلك العالم إذا وصلته سيارة و قام السائق بتبنيه عن طريق
جرسها ، فقد لا ينتبه لها مخه إطلاقا ؛ لأن الفكرة الثابتة تقوم بتوقيف كل
المراكز العصبية التي توجب عليها التفاعل مع تلك السيارة أو أي شيء
آخر . و هكذا نشاهد مدى أهمية التسخير العقلي لخدمة الإنسان و هذا دون
وجود آراء راسخة ، و دون تعنت ، و لا إصرار ؛ و هذا شيء جميل و
سام .

كيف تستقر الفكرة الثابتة ؟

خلال يوم عاد ، كل الناس تتعرض لجملة من الاستدلالات، التلميحات،
و الإيحاءات من مختلف الأشكال و الأنواع . إذن لماذا لا نصاب كلنا
بالفكرة الثابتة ؟

و يجب علي مرة أخرى أن أبرز الفرق بين :

- أ- الفكرة الغالبة الآتية .
- ب - الفكرة الثابتة (المرضية)

إذا استقرت الفكرة الثابتة ، فهذا يدل على أن هناك "شيئا ما" في حالة ذلك الشخص ، التي تسمح بذلك .
و يدخل شرطان في اللعبة :

1 - الإيحاء

2 - الحالة الفيزيائية و الذهنية للشخص في لحظة حدوث الإيحاء .
لكي تظهر الفكرة الثابتة ، يتطلب الأمر انحراف التوازن العادي للمخ ؛ سواء عن طريق الاستعداد المسبق ، إرهاق مكثف ، مرض معد ، انفعال الخ . و لكن هي تستقر خاصة عند الإفراط التفاعلي لأحد العوامل عاطفي الموجودة من ذي قبل . و أرجع دائما لمثال الخجول الخارج من قاعة السينما . الإيحاء لم يقم إلا " بدفع إلى الأمام " لحالة موجودة من قبل : رغبة كبيرة بأن يصبح قويا ، واثقا من نفسه و في حالة يسر الخ .
يمكن أن تكون الفكرة الثابتة : -

أ - شعورية . الموسوس يعلم جيدا أنه مصاب بفكرة ثابتة !... لأنه يوجد في صراع معها بمنطقة... و دون جدوى .

ب - لا شعورية . و هو حالة إيرن (ص 92) . حالة كذلك الفكرة الثابتة المحدثة عن طريق التنويم المغناطيسي. و لكن ، و بصفة عامة ، سبب ظهور الفكرة الثابتة هو دائما لا شعوري .

يمكن إحداث الفكرة الثابتة عن طريق التنويم المغناطيسي ، على الأقل عند البعض . لكن هل نستطيع القول أن كل الذين أصيبوا بالفكرة الثابتة هم قابلون للتنويم ؟ لا بالطبع . إذن ، و بما أن الفكرة ليس مصدرها المحيط الخارجي فكيف للإيحاء الذاتي أن يؤدي هذا الدور ؟ كيف مثلا صدمة انفعالية خطيرة يمكن لها الاستمرار و إحداث الفكرة الثابتة، العرابة ، الرهاب أو الوسواس الخ ؟ و سوف نراه بدراستنا لجانات .

إيميل كوي (Emile coué) و المباراة الداخلية ...

إيميل كوي (1857 - 1926) رغم بساطة القواعد التي أرتكز عليها إلا أنه يعود له الفضل الكبير . قام بتطبيق الإيحاء الذاتي ، و الذي اعتبره إذن كإيحاء يأتي من المريض نفسه .

و نحن نعرف ما يلي : أنه في الإصابات النفسية ، لا ينفع معها استعمال المنطق الشعوري . نفس الشيء بالنسبة للقيام بالحجج المنطقية أو الإقناع .

مثال: الخجول يريد إقناع نفسه بشتى الطرق المنطقية للتخلي عن خجله. هل هذا يجب ظهور الظروف المفزعة له ؟ لا... بالعكس ! هذا سبب قوي في تفجير حالات الوسواس ، الرهاب و القلق الخ ...

المختص في علم النفس يعرف جيدا أنه لا فائدة في ترشيد المصاب بمرض نفسي. حتى أنه من السخافة إذا حاولنا أن نفهمه على عدم معقولية سلوكه الذي يتصف به لهذا أو ذاك السبب ؛ أو ننصحه بأن " يبذل جهدا أكبر " الخ ... لهذا السبب بالذات الكثير من المصابين بالأمراض النفسية يصطدمون بعدم التفهم طول النهار ، نقذفهم بمفاهيم الإرادة دون أن نعلم أن هذه الخاصية هي مفقودة لديهم منذ البداية . لماذا ؟ لأن الميكانيزم العصبي الذي يقوم بتوليد الطاقة مصاب بالخلل . وهذا يرجع بنا إلى قصة الفتاة العازفة على آلة الكمان حيث نطلب منها أداء نوطا " مي " بينما يكون الحبل في آلتها مثبتا في نوطا " فا " . هذه العازفة تريد فعلا لعب "مي" و لكن كمانها يخرج " فا " .

هل يجب أن نصرخ عليها، نهينها ، ندفعها بكل قوتنا لتلعب " المي " ؟ لا، و لكن وجب علينا أن نأخذ آلة الكمان ... و نعدل فيه وقعة "المي " تتطلب أي ظاهرة إرادية فعلية لظهورها ، شروطا قاعدية . و يعلن زبنن (zbinden) : - (التفكير بمنطق خاطئ هو عيب أقبح من تعاضى المورفين أو الكوكايين ...) ماذا يعني ؟ إذا كان التفكير " خاطئ " فهو ناتج عن عاطفية "خاطئة" و للأسف ننسى هذا تسع مرات على عشرة ... و أنا متفائل !

إذا قالت العاطفية اللاشعورية " لا ! " فلا داعي أن يتعب نفسه المنطق في قول " نعم " . فالانفعالية هي التي تنتصر كل مرة . و قلما يفهم الإنسان الطبيعي هذا الشيء لماذا ؟ لأن بداخله يغمر جوا من التناسق الذي يربط بين إرادته، رغبته و عاطفته . هناك توافق بين إرادته وقدرته على الفعل. لكن الأي يشعر في نفسه أحيانا ما يشبه بالصراع و القلق ؟ لأن " شينا ما" يدفعه لفعل عكس ما يريد فعله ؟ و يكبر التناقض في مخيلته ، و يمتد في الوقت و الشدة و العمق ؛ ربما سوف يفهم !

إذن ، و بما أن معظم الأمراض النفسية تأخذ نشأتها من قاعدة عاطفية ، فإن كل علاج نفسي لابد عليه أن يمس العاطفية . و هنا يوجد و هو متلبد في الظل " الورم النفسي الخبيث" .

كوي إذن حاول فعل ذلك عندما أعلن : (عندما يدخل الخيال و الإرادة في صراع ، فإن الخيال هو الذي ينتصر و بدون استثناء ...)

أعطي كوي إذن دورا كبيرا للجانب النفسي اللاشعوري ، و الذي يعرفه بالخيال . طبعا طريقته كانت ضعيفة ؛ فهي حاولت إلغاء إحياء مرضي عن طريق إحياء معاكس سليم ، بمعنى إعطاء أمر و أمر مخالف . و هي طريقة مشهورة . يطلب كوي من مرضاه أن يكرروا دوما ، حتى و لو كانوا لا يؤمنون بذلك ، و لكن بصفة مؤثرة على الأذان : (كل يوم ، و في جميع الجوانب ، أنني أحسن حالا أكثر فأكثر ...) هذه العبارات المتكررة بصفة آلية ، توجه حتما نحو اللاشعور (العاطفية)؛ و هذا اللاشعور يقتنع أخيرا عن طريق الانعكاس ، و يدفع بذلك الفرد إلى العمل الطبيعي ، العقلاني و الإرادي .

هذه الطريقة هي بدائية بسيطة ، لأنها تأخذ الأعراض جملة . و لا تنتظر إلى الألام المحسوسة ، و قلما تتخلص من الميول العميق . بالطبع طريقة كوي تبقى في إطار الإحياء ؛ فالشخص يسمع صوتا (صوته بالذات) يحي إليه أن يحسن من حاله ، و هذا الاعتقاد يصبح إحياء ذاتيا . من البساطة أن تبقى نقول (في ظل اكتشافات علم النفس الحديث ، و الطب النفس - الجسدي) بأن الروح تصيب الجسد ، و أن الروح يمكن لها أن تحدث مرضا ... و نفس هذه الروح يمكن أن تشفى من المرض (يمكن أن نفهم من كلمة " الروح " " المخ ") و هذا شيء معقول . و سوف نرى أن كل أجهزتنا العضوية هي تحت مراقبة المخ . و انطلاقا من هذا فإن طريقة كوي مقبولة .

إذا كنت تريد ممارسة الإحياء الذاتي .

الإحياء الذاتي ، و كذلك الإحياء الآتي من الآخرين هو وسيلة ممتازة لتهديب الفعل و الإرادة ، و أنبه ، أن الإحياء الذاتي ليس موجها فقط إلى المرضى . بالعكس . فالإحياء الذاتي الممارس بشكل سليم يضع في اللاشعور طاقات جديدة ، و يجمع فيها تبصرا جديدا . فهو وسيلة جيدة

لتمديد و تقوية الشخصية. ويسمح باستقامة النقااص العاطفية. أكرر كذلك:
المخ يملك على الجسد سلطة شبه ديكتاتورية ...

شروط الإيحاء الذاتي

يجب اعتبار الإيحاء الذاتي كشكل من أشكال التأمل ، وليس تركيزا .
فالتأمل يطفو بالعقل ، أنه انفتاح سلبي و هادئ ، يسمح بدخول ، دون
جهد ، للأفكار ، والاحساسات . بينما التركيز هو بذل جهد حول نقطة ما . و
قد رأينا أن التركيز يقوم بتتويم جزء كبير من المخ ؛ و يلغي إذن ، و هذا
تلقائيا ، لمئات الأحاسيس التي يمكن أن تكون ذات فائدة ...

إنه حاجز ... و حاجز قوي ! فالدكتور دوبوا (Dubois) من بارن يعطي
لمرضاه نصائح ممتازة : " أبعادوا عن أنفسكم كل تخوفاتكم ... تخلصوا
من كل همومكم ... وجهوا عقولكم إلى كل ما هو سار و مبهج ... الخ ... " .
و لكن كما يقول جانات : " ... هذا لطيف جدا ، لكن فيه نوع من التهكم
حين يكون الشخص غير قادر حتى على توجيه أفكاره . عندما يكون
محبوس فرائشه ، فهم يبنون أضغاث أحلام ، و ينهكون أنفسهم في
حساباتهم ، و تكهنات صعبة ... " نفس الشيء كما لو قلنا لموسوس :
" ... لا تفكر في وسواسك ... " أو لمتيهج : " ... ما هذا أهذا قليلا !... "
ليس هذا كلام صبيان .

كيف التخلص من هذا الحاجز؟

المساعدة على إبعاد الفكرة المرضية على العقل بأقصى درجة . يجب
إذن الوصول ، بقدر الإمكان ، إلى المراكز العصبية اللاشعورية ، بترك
الشعور " يطفو " . فالارتخاء يكون إذن مطلقا . كيف نحصل على هذا
الارتخاء ؟ يجب تمديد الجسم ، و منع أية حركة .
هناك تقنيات خاصة تساعد على الارتخاء التدريجي و الكامل للعضلات ؛
لكن يجب أن تكون بقيادة خبير مختص . يأتي الإحساس بعدها بتقل
الأطراف الجسمية الواحد تلو الآخر . يجب غلق العينان ، و ترك الجفنين
يطفوان . نصل بعدها إلى حالة الخمول العقلي ، و الإحساس بالتحليق فوق
الجسم . يجب ، و هذا بديهى ، أن يكون المكان هادئا و مظلما . فلا
نتصور أن يكون التأمل مصحوبا بضوضاء .

ما هو أفضل وقت ؟

بالنسبة للذين ليست لديهم تجربة في الارتخاء العضلي ، يجب اختيار الوقت الذي يمتزج فيها الشعور و اللاشعور بشكل آلي . بمعنى وقت الخمول العقلي ؛ النعاس قبل النوم .
أو الخمول الذي يلي مباشرة الاستيقاظ من النوم ، عندما يبدأ العقل في التقاط صور رآها من قبل .

العائق : كثير من الناس لا يستطيعون الوصول إلى حالة الخمول (راجع إلى تهيجهم ، وسواسهم ، أو عندهم أرق) - ولهذا يكون تدخل بعض الأوية ضروريا . وبصفة عامة التدريب على الارتخاء يكون بقيادة أخصائي في هذا المجال .

ويجد ٢ عندما نتوصل إلى حالة الخمول (الإحساس بالثقل و التخدر الجسمي ، مع التحلق) ، و التخلص من الهموم ، يبدأ إدخال الفكرة النافعة في اللاشعور . هذه الفكرة و هذا بديهي ، تتأقظ مع حالته المرضية . لا يجب أبدا البلوغ بهذه الحالة التأملية إلى حالة التركيز . كلما ظهر التعب و جب توقيف كل شيء .

هل يوجد وقت مثالي؟

نعم ، و لكن من الصعب الوصول إليه دون تدريب . لا يجب أن يكون الشعور و اللاشعور يبعدان كثيرا عن بعضهما : و بالتالي الإيحاء (الذي لا بد أن يكون إراديا) يفقد بالطبع كل مفعوله (1) . قبل وصوله إلى مستوى الحلم ، يغطس المخ في النعاس . لكن يبقى شاعرا ، و يخلو من الهموم . كلنا نعرف حالة النصف - نوم . هذه الحالة التي يكون فيها الإنسان يتأرجح بين الحلم و الحقيقة . في هذه اللحظة فالإنسان (الذي كان من قبل ممثلا) يصبح مشاهدا . ينهي تأديته لدوره كلاعب ليصبح متأملا في اللعب . فيحضر إذن في ما يشبه فيلما سنيمايا يعرض أمام عينيه . تتعاقب أمام نظره صوراً لا توافق تقريبا للحقيقة . و هو يعلم أنه لا يحلم ، لأنه بقي يملك كل شعوره . فهو يسمع (تيك - تاك) الصوت الذي تحدثه ساعة الحائط الكبيرة ، الضجيج الذي يقع في الشارع ، قرقعة الباب ، نباح

(1) لا ننسى أن الشعور و اللاشعور يعتمدان في عملهما على بعض المراكز العصبية

الكلب و كل هذا بدقة كبيرة.

يشعر أنه يخلق فوق كل هذه الحياة ، و فوق جسمه . و هذا الإحساس هو حقيقة ممتع جدا . تتعاقب الصور و الاحساسات ، مثل الرسوم المتحركة ، بسخافتها و التي يتقبلها الشخص كاشياء طبيعية . حتى أنه يمكن له توجيه تلك الصور و يحذف منها أشخاصا ، و يستبدلهم بأخرين الخ . إنه الوقت المثالي لتطبيق الإيحاء إذن : يجب الانتظار حتى تغزو موجة الكبح كامل القشرة المخية ، و هي موقع الشعور الإرادي . الحالة التي نحصل عليها هي حالة الحلم اليقظ مصحوب بحقل شعوري مفتوح على أقصاه ، (بينما في التركيز حقل الشعور يكون متقلصا جدا) .

لوسائل الأخرى : لكثرة قوة . تتطلب حضورا ضروريا للمختص في علم النفس . نتمكن من فعل الإسقاط للصور الرمزية ؛ و لكن هنا ندخل حيز علم النفس ذو الأعماق البعيدة . سوف أتكلم عن هذا في ما بعد ، في باب " الرموز " و " حلم اليقظة " .

ما فائدة تطبيق الإيحاء الذاتي؟

هي توفر إمكانية التحضير العقلي للمواقف المفيدة . و يمكن لها التأثير على الجسد (و هناك الآلاف من الحالات الكلاسيكية)

هاهي حالة مرضية أخذت من مستشفى: رجل ، مريض منذ مدة ضويلة ، يظهر و كأنه يتألم نتيجة لورم خبيث . و بالفعل هو يوفر للأطباء كل أعراض الورم. قرر إجراء عملية جراحية له و فتح الطبيب الجراح بطنه. لم يجد في بطنه أمعاء في حالة جيدة ، و لكن لا أثر للورم . حتى التحاليل التي أجريت له أتت سلبية . ووقف حينها الأطباء مذهولين ؛ كل الأعراض التي يتألم منها توحى على وجود مرض عضال ...

ماذا حدث ؟ قد يطول بنا الحديث في سرد تفاصيل الحياة التعيسة لهذا الرجل المسكين . حياة مفحمة بسوء الحظ ، الوحدة ، هجر الناس ، الفقر الفيزيائي و تعاسة نفسية كبيرة .

و سقط مريضا في أحد الأيام : و هو لا يكسب قوت يومه ، دخل المستشفى . في هذه الأثناء ، يشعر بغبطة كبيرة و لأول مرة في حياته ، داخل غرفته الجماعية . إنه موجود بين أناس آخرين يتألمون هم كذلك ، و كلنا يعرف كم تستطيع الآلام أن تجمع صفوف العباد...هاهم الأطباء،

لطفاء ، تسطع البشاشة من وجوههم ، و ممرضات متفهمات ، دوات أيادي رقيقة و ناعمة . و هاهو سرير ، و لا وجود للوحدة و التعاسة و لكن هناك إنسانية . هاهو الأمن العقلي و المادي . و يبدأ الميكانيزم اللاشعوري بالعمل . " يجب أن تبقى هنا ... يجب أن يستمر مرضك ... ألامك تزداد أكثر فأكثر ... " - يبدأ الإيحاء الذاتي ، بالتكيد عليه ، بشكل مستمر ، و قوي . و الذي لم يكن مريضاً يصبح مريضاً . أعراض الورم بدأت في الظهور ، أكثر فأكثر شدة ، إلى غاية القيام بالعملية الجراحية ، التي أضحت هباء... يمثل " الورم " بالنسبة لهذا الرجل " أمه " المثالي . و هذه الحالة تبين قوة المخ ، كما سوف نرى ذلك في الطب النفس - جسدي . - هل تعرفون قصة السيد المصاب - " بداء البحر " ؟ ترسو الباخرة على رصيف الميناء ، بينما كان هذا السيد يركن إلى الراحة في حجرته . يسدل الليل ظلامه و في منتصف الليل يسمع ضجيج محركات الباخرة تنحرف في جدران غرفته : " الباخرة في البحر..." يقول هذا الرجل لنفسه . و كل شيء يبدأ : غثيان ، تقيئ ، قلق كبير ، الرغبة في الموت ... مستحي من نفسه ، أخذ يتألم بمفرده حتى وصل الصباح . هاهو ينهض ، و يرمي بنظرة من خلال نافذة حجرته ... و يجد الباخرة راسية لم تتحرك من مكانها !

سلطة الإيحاء معروفة عند جميع الناس . و لكن لا بأس أن نذكر بها من حين إلى آخر .

فنتصور دون عناء كبير مدى قوة الإيحاء المستغل بشكل جيد ، و بشروط سائحة . يجب طبعا أن تكون التمارين العقلية الذاتية متكررة كل نهار ، خاصة إذا كان الشخص لا يملك إلا تقنيات ضئيلة .

ماذا يمكن علاجه عن طريق الإيحاء ؟

أريد الحديث هنا عن الإيحاء العميق ، و هي تقنيات خاصة لا يستطيع الشخص أن يقوم بها و بمفرده دون أن يمر بتدريبات كبيرة . من بين الحالات الشائعة نجد : العجز الجنسي ، البرودة الجنسية عند المرأة ، الخوف ، الرهاب ، القلق ، الأرق ، العراة ، بعض العادات المضرة ، "ضعف الشخصية" بعض اضطرابات الجلد ، و العديد من الأمراض الهستيرية . و نشاهد إذن رغم الخصائص البدائية البسيطة التي أتسمت

بها طرق إيميل كوي غير أنها وضعت قواعد علم النفس المستقبلي ...
فنجيبه إذن و نواصل (1).

بافلوف Pavlov ، الروسي ؛ صديقنا الكلب ، وآليات العقل .

يعرج بنا الطريق الآن نحو أفق أخرى ذات نتائج لا تعد و لا تحصى .
من هو بافلوف إيفان العالم الفيزيولوجي الشهير ، الفقير الذي لم يقدر حتى
على نفقات شهر عسله مع زوجته الشاببة سيرافينا كارشيفوسكايا ؟ و لكن
من ، في عام 1895 تقلد درجة بروفيسور في الفيزيولوجية ، و من الذي
نال في علم 1904 جائزة نوبل ؟

ببساطة إنه الرجل النزيه ، و الشغوف بالبحوث العلمية . إنه الرجل
الذي أخذ يفكر في بعض الظواهر التي كانت تلاحظ منذ قرون ؛ و
استعمل لها الوسائل المعروفة محاولة منه ليفسر ما هو غير معروف .
نعرف ، بالطبع ، أن كل إنسان يسيل لعابه كلما شاهد حبة ليمون ! و
نعرف كذلك أنه عندما نسمع كلاما يذكر فيه أكل لذيذ نشعر بصعود
"اللعباب إلى الأفواه " ... لكن نعتبر هذه التفاعلات كظواهر " عقلية " لا
نعيرها أي اهتمام . لكن هل فكرتم لحظة أنه لو ندفع بتاريخ الإنسان و
حبة الليمون إلى أبعد حدود لهما فسوف نبيند بهما الأخلاق ، حرية الحكم ،
العدل و القيم الإنسانية ؟ ...

فلنقم بتجربة إكلينيكية : يعالج مريض منذ مدة طويلة عن طريق إبير
مهندسة . و في أحد الأيام ، قامت الممرضة ، و باعتبار كبير ، بحقن
المريض بدل الدواء ، ماء مقطرا طبعاً مبسترا . - و يفعل الماء فعلته مثل
الدواء . نعتقد من الوهلة الأولى أن المريض هو فريسة إحصاءه الذاتي . و
لكن إذا كان هذا المريض يتمتع بحالة نفسية جيدة ؟ ألا نظن أنه يتفاعل مع
الإبرة بالذات ، و ليس مع الدواء الذي تحتويه؟ ...
لكن هيا بنا لنزور كلب بافلوف أحسن .

هاهو كلب في أشد جوعه . نقوم بتقديم طعاما شهيا له . الكلب يتفاعل طبعاً
بلذة ، و لكن و في نفس الوقت الذي يكون فيه الحيوان منهمكا في الأكل
نحرق أحد أرجله . فيتجاوب الكلب بإحساس بالألم . و بعد مرور فترة

(1) سوف أعيد الحديث عنه في " الطب النفس- جسدي

على هذه اللعبة المزدوجة (لذة و ألم) ، يقوم المساعد بحرق رجل الكلب دون إعطائه الطعام .

و يصبح الكلب " ماز وشيا " تماما كالإنسان ، فهو يظهر رغم تعرضه للحرق ، كل علامات اللذة . فماذا حدث يا ترى ؟ فقد مزج مخ الكلب و في نفس الوقت بين : اللذة (الطعام) و الألم (الحرق) و أصبحت هذه الشراكة : لذة = ألم (حرق) .

فلنترك الكلب ، و ننظر إلى الإنسان . المازوشية (أنظر باب الجنس ص 365) هي حالة نفسية غير طبيعية كثيرة الشيوخ . فالكاتب المؤلف مازوش أعطاها اسمه ، ليس لأنه قام باكتشافها لأنها ربما قديمة قدم الإنسانية و لكن لأنه وصفها بمجاملة كبيرة عن طريق سلوكه الذاتي .

عن طريق هذه الخاصية غير طبيعية ، يشعر الفرد البشري بالإشباع (سواء جنسي أو أخلاقي) عن طريق الألم . و لا يصل إلى الإشباع إلا إذا عذب .

- سواء جسديا (الضرب أو التظاهر بالضرب)

- سواء أخلاقيا (السب و الشتم ، الإهانة ، الاحتقار الخ)

و إذا قمنا بالمقارنة ، فإن المازوشية ما هي إلا انعكاسات مرتبطة بالألم و لا يمكن لها الحدوث دون ذلك . و نحن نرى تطابقه مع سلوك الكلب .

الانعكاسات الشرطية

ابواب مفتوحة على الهاوية Abime

الانعكاس الشرطي هو الانعكاس الناتج عن الظروف التي تدعى بالمشروطة . يوجد نوعان رئيسيان :

1 - انعكاسات الاستتارة ، و هي التفاعلات المباشرة للشرطية .

2 - انعكاسات الكبح ، و التي تشتغل كفرملة .

مثال : يقوم س ... بقطع الطريق ، تصل عنده سيارة ، تتببه عن طريق جرسها و يعنف . حيث هناك رجل من بعيد ينظر إليه ، و عرف على س ... هدوءه في كل الظروف (مثلا : مصاب بالكمالية)

أ - الشرطية الأولى : الجرس

ب - أول انعكاس إستتاري : هلع ، ذعر ، انفعال ، جري ، هروب

ج - الشرطية الثانية : ينظر إليه ، و يعرف بالهدوء

د - انعكاس الكبح : لا يهرب ، لا أثر للانفعال ، يتظاهر بالهدوء
الانعكاس الثاني (د) في تناقض مع الأول (ب)

بافلوف و التجارب التي قام بها

أتردد عند التذكير بها ، لأنها باتت مشهورة كثيرا . لكن سوف نتعرض
لقصة الكلب الكلاسيكية .

أ - نعطي للكلب قطعة لحم . يخرج اللعاب من فم الحيوان (عن طريق
الإفراز الألي للغدد اللعابية)

ب - في نفس وقت تقديم اللحم ندق جرسا .

ج - بعد فترة من الزمان ، يصبح الجرس وحده يسيل لعاب الكلب (دون
الطعام) ثم بعد ذلك قام بافلوف بتحفيظ الكلب :

1 - أن يسيل لعابه عند سماعه (كما في الأعلى) للجرس = إشارة رقم 1°
2 - أن يجيب لإشارة أخرى ، ولكن لا تلص الأكل ، فالكلب إذن لا
يسيل لعابه عندما يسمع إشارة رقم 2° .

ثم يحصل ما يلي :

3 - نقدم للكلب الطعام ونسمعه إشارة رقم 2

4 - الكلب لا يسيل لعابه ، بينما وجب على الطعام أن يسيل لعابه

إذن :

إشارة رقم 1 : استئارة (سيلان اللعاب)

إشارة رقم 2 : كبح (توقيف اللعاب رغم حضور الأكل)

ونلاحظ الأهمية القصوى - من النظرة النفسية - و الأخلاقية - لهاتين
التجربتين .

إذا كان سلوك الإنسان ما هو إلا مجموعة الانعكاسات العصبية البحتة ،
فإن من البديهي أن لا نحمل آيا كان بأية مسؤولية مهما كان نوعها و في
أي ظروف كانت ؛ و تصبح المسؤولية الأخلاقية كلمة لا معنى لها ...
لكن سوف نرى بعيدا .

الانعكاسات المنفلية و الانعكاسات المسامية :

الانعكاسات المنفلية : المس فرنا ساخنا ، أسحب يدي

الانعكاس : سحب اليد

الشرطي : الحرارة - الألم

الانعكاسات السامية :

نقوم بتعقيد ذلك الانعكاس : ارفض سحب يدي ، و اتركها لأقصى مدة من الوقت .

أ - انعكاس بسيط (استنارة) : سحب اليد

ب - انعكاس الكبح : رفض سحب اليد تحت شرطية التفاخر ، ايراز "الإرادة" نبرهن على تحمل الألم الخ (

ج - الانعكاس الأخير : ترك اليد .

فقد مر هنا الانعكاس عبر المراكز العصبية للمخ (القشرة المخية) أين تدخل اللعبة كل من الإرادة ، التخيير ، القرار ، الرفض الخ ...

يوجد ما هو أفضل : هاهي ضفدعة ملزوعة المخ . يقوم المساعد بوضع قطرة من الحمض فوق أحد أرجلها . بعدها نشاهد الضفدع يحاول التخلص من هذه القطرة بالرجل الأخرى !

يمكن أن يذهب بنا الظن أنه فعل مقصود و إرادي ، لو أن هذا الضفدع م رال يملك مخه ، و فرضا أنه يستطيع التفكير ، ألا يذهب به الاعتقاد أنه " أراد " نزع تلك القطرة التي أزعجته . ألم يأخذ هذا الإحساس الإرادي الحر بأنه حقيقة ، يبني عليه جهازا أخلاقيا كاملا و لا يركز على أي شيء ؟

- لأن هذا الضفدع ليس له مخ قط ! يوجد إذن هنا ، توظيف آلي لهذا "الأرغن" العجيب و المتمثل في الجهاز العصبي ، و الذي و لوحده ، يتطلب علينا تمجيده . و الركوع لمن خلقه

باب مفتوح على الهاوية ؟

نعم من هذه الزاوية لا يكون كل من النشاط الإرادي، النشاط الشعوري ، والنشاط الأخلاقي ، إلا مجموعة من الانعكاسات المعقدة الموجودة داخل المخ ، و بالتالي لا يتضمن جراء هذا لا حرية و لا مسؤولية ...

إذن ، هل نستطيع " تكييف " رجلا ليصبح نزيها ، كما يمكن أن يصبح لصا ، حسب الظروف السائدة على جهازه العصبي ؟ ...

(بشرط طبعها ، أن التجارب التي تقام على الحيوانات نخضعها على الإنسان)

نرفض أنها حقيقة ، و أن إنسانا و جب عليه الاختيار بين (أ) و (ب)

- يرغب في أ [لأن (أ) يمثل بالنسبة له إحساسا ممتعا]
 - لكن لا يستطيع أخذ (أ) [لأن حسه الأخلاقي المشروط بالتربية ، يمنع
 عنه ذلك]
 - إنه يتردد ، وتردده مشروط ب (أ) [الرغبة ، استثارة] وبحسه
 الأخلاقي (الكبح) .
 - يتردد بشدة نوعا ما ، و يأخذ مدة طويلة نوعا ما في تردده . نوع التردد
 مشروط بحالته الجسدية و الذهنية . حالة متوازنة تترك وقت التردد قصير .
 أما إذا كانت حالته ضعيفة فإن التردد يطول حتى يصل إلى الغضب ،
 التهيج ، السخط ، الاندفاع ، الخ (سوف نرى نكس التفاعل عند الكلب)
 - أخيرا يختار (ب) . و هذا الاختيار يعتبر نهاية انعكاسية لجميع
 الشروط الانعكاسية الأخرى .

ب		(ممتع) أ
ب (أخلاقي)		(غير أخلاقي) أ
ب		أ
ب		أ

إذن هذا الرجل يصبح غير مسؤول عندما راض (أ). فلا يهظى بأي
 إعجاب ، و لا استحقاق ، و لا مكافأة . لا يوجه له حتى توبيخ إذا ما قرر
 رغم هذا اختيار (أ) . [في هذه الحالة الانعكاسات (الكابحة) أقل شدة من
 انعكاسات الرغبة ...] - كل هذه اللعبة يمكن أن تتعد إلى ما لا نهاية ...
 نشاهد إذن المنفعة التي لا تحصى لتجارب بالفلوف ... و التي كانت جد
 متعلقة . لأنه لم يقم بتمديد اكتشافاته نحو الإنسان . و اكتفى فقط بالمقارنة
 (ذات طابع عام و عصبي) بين الإنسان و الحيوان تاركا بذلك الأبواب
 مفتوحة لكل البحوث و الاعتقادات ...

• الكلب العصابي!

إذا كان لديكم كلبا ، ألم تقوموا مثلا بتدريبه على أن يقبل الأكل المعطى له فقط من اليد اليمنى ، ويرفضه إذا أعطي له باليد اليسرى .

اليد اليمنى = استئارة ، قبول الأكل

اليد اليسرى = كبح ، رفض الأكل

ماذا نلاحظ إذا قدمنا له الأكل باليد اليسرى؟ يصاب الكلب بالهيجان يتقدم، يتراجع ، يهتز ، ينبج ، يظهر جميع أعراض الام التناقضات بين رغبته و كبحه . في نفس وقت استئارته بالطعام ، فإنه يتراجع عن طريق الكبح. غريزته الطبيعية للأكل تقول "نعم" و تربيته المشروطة تقول " لا " و الذين يقومون بمشاهدته يضحكون على هذا التصرف ، دون أن يخطر على بالهم أن هذا الحيوان يتفاعل بنفس الميكانيزمات الموجودة عند الإنسان، وفي معظم الأمراض العصابية ...

قام بافلوف بتكييف كلب على ان يتفاعل أمام دائرة لماعة تسقط مباشرة على شاشة ؛ و لكي يقوي هذه الشرطية قام بإعطائه الأكل ثم يقوم المساعد بإظهار له دائرة إهليجية الشكل و مضيئة لكن لا يقوي هذا الشرط عن طريق الأكل (يعتبر الإهليج بالنسبة للدائرة ذو خاصية الكبح ، لعدم وجود الأكل) . ثم يقوم بافلوف و بشكل تدريجي إعطاء الشكل الدائري للإهليج . فالكلب أصبح يتعرف إلى حد بعيد من الشكلين و يفرق بينهما جيدا . فهو لا يتحرك مادام الشكل مازال إهليجيا . ثم يتغير سلوكه عندما يقترب الإهليج إلى الشكل الدائري . يصبح متهيجا ، ينبج ، طبعه غريب ، متناقض يصرخ كالمجنون هذا الكلب كان مصابا بمرض العصاب ؛ لأنه كان موجودا بداخله صراع بين الإثارة و الكبح ، بين " نعم " و " لا " . حيث أن هذا الصراع ، يجده المختص في علم النفس في كل خطوة يخطوها ... بكبحه للانعكاس الاستئارة خلق بافلوف تناقضا بين الميول . بمعنى عصاب . لكن إذا كان بافلوف لم يدفع بملاحظاته لتطبيقها لدى الإنسان ، فهناك من فعل ذلك .

واطسون الأمريكي و البيهافيورية

من بيهافيور = السلوك . - واطسون ، أمريكي ، (إذن عملي) درس
أولا علم النفس الحيوان ؛ ثم مر فجأة إلى علم النفس الإنسان ، و طبق
عليه ببساطة شديدة الطريقة الأولى .

حيث ، في علم النفس الحيوان ، يجب تجلب إظهار كل ما يحدث في
طبقة الشعور للحيوان الملاحظ . - و فعل " واطسون " نفس الشيء مع
الإنسان دون أن يكثرث أبدا بمعرفة حالته النفسية أو الذاتية .

باختصار ، بالنسبة للبيهافيورية كل سلوك الإنسان هو انعكاس .

رأينا عند بافلوف أن الاستثارة كانت بسيطة : الصوت ، الضوء ، الحقنة ،
الخ لكن واطسون الذي بسط الانعكاسات إلى كل أفعال الإنسان مهما كان
نوعها ، وجب عليه أن يجد لها اسما يمثل هذا الجهاز الشديد التعقيد لكل
الانعكاسات الممكنة : الموقف . - سلوك الإنسان و طباع الإنسان هي إذن
الصفة التي يتفاعل بها الفرد أمام الموقف الظرفي ، داخل محيطه .

إذن بالنسبة للبيهافيورية كل حركة كل تفكير ، كل إرادة ، كل اختيار ،
كل رفض كل شعور ما هي إلا انعكاسات بحتة و بسيطة أمام موقف ما .

ماذا يقول واطسون ؟ ... " أعضوني اثني عشر طفلا ، في صحة جيدة و
لياقة بدنية سليمة ، و أتعهد على أنني أخذهم عن طريق الصدفة ، و القنهم
اختصاصات أختارها لهم أنا ، و أخرج الطبيب ، التاجر ، القاضي و حتى
المتسول و اللص بغض النظر عن مواهبهم ، رغباتهم و ميولهم ، و
قدراتهم و حتى مهنة و عرق أجدادهم ."

الفرد البشري عند البيهافيورية :

* **الشخصية** : هي مجموعة العادات المنعكسة ، مشروطة بالمواقف

المطلقة . فالإنسان هو إذن ثمرة مواقفه لا أكثر و لا أقل .

* **التفكير** : هو فعل فيزيولوجي بحت ، و المتمثل في التحدث مع الذات . و
لنتذكر المقولة المشهورة : " يفرز المخ التفكير ، تماما كما يفرز الكبد
مادته الصفراء "

* **الشعور** ؟ يولد مع المخ و يزول بزواله .

* **الأمراض العقلية** : هو " التناقض " (مثل ما هو موجود عند الكلب)

بين انعكاس استثنائي و انعكاس الكبح (و سوف نصل لهذا عند دراستنا لفرويد)

عمر بصلة عامة :- الإنسان يصبح آلة رائعة لكن ليس إلا آلة ذات ملامس ضخمة . و لا يوجد بينه وبين الحيوان أي اختلاف ، ما عدا التعقيدات الناتجة عن توفره لأكثر عدد من الخلايا العصبية . آلة ، دون حرية ، و لا مسؤولية ... بالنسبة للبيهافيورية ، فالإنسان ما هو إلا مجموعة التفاعلات الرهيبة للتعقيد ، سواء في ما يخص وظائفه السامية أو أفعاله السفلى .

الإهانات الإيجابية .

نعترف أن هذا الوضع يمكن أن يكون حقيقة ، على الأقل له نتيجة : زيادة كبرياء الإنسان الغريب في بعض الأحيان، و يسمح له ، بالتفكير من الحين إلى الآخر بشروطه ... إنها تبديد كل حكم يفعله الإنسان مع أخيه الإنسان ، يبديد كذلك كل احتقار ، كل توبيخ ، و يعود الإنسان إلى تواضعه أمام هذا الكون ، و يشعر أنذاك أنه جزء لا يتجزأ من هذه الآلة الكونية الواعية ! و بالمقابل ، هذه الآلة الرائعة المتمثلة في المخ ليس قبل كل شيء تشبه آلة الأرغن الرائعة، والتي يمكن دفع عدد نوطاتها الموسيقية إلى ما لا نهاية ؟ و إذا عرفنا أن كل حياة العازف لا تكفي لكي يعرف كل ما يستطيع الأرغن الإبداع به ، فكذلك فلنفكر في العدد الذي لا يحصى من الانعكاسات التي يمكن أن تقوم بها الملايير من خلايانا العصبية ! و مهما تكن الحقيقة النهائية ، فمن الأكيد أن الكثير من الأفعال و الأفكار ما هي إلا عادات و تفاعلات تحفظ . فهي انعكاسات شرطية لمواقف اجتماعية، جغرافية، دينية ، أخلاقية ، عائلية ، وراثية ، و فطرية . و لكن ألم نشاهد الملايين من البشر لا يعرفون إلا عزف البعض من نوطات هذه الآلة الضخمة ؟ ألم نشاهدهم " يعيشون " حول عادات ذهنية و عراة ، كذلك حول خوفهم ، و كبتهم و قلقهم ؟

و بذلك يلعب أرغوانهم الآلي بعض النوطات فقط ، و دائما نفسها ، بينما يمكن له أن يفجر سمفونيات رائعة الجمال... وبالتالي نجدهم مفقودين وسط آلاف من العادات العقلية، لا يطالبون أبدا بحريتهم و لا بمسؤولياتهم، و رغم هذا تراهم يسمحون لأنفسهم أن يحكموا على الغير ؟ ...

و بهذا نتصور إن الأهمية المرعبة لدور التربية . لأن التربية الأولى للطفل تركز أساسا على الإيحاء و الانعكاسات الشرطية ، حتى إن كانت التربية سيئة ، فإنه لسوف تستقر كما هي عند الطفل و مدى الحياة و نرى إذا تغلب العكاس رديء ينتج عنه استحالة التكيف الصحيح أمام الظروف ! و يكبر ذلك الإنسان ، و يستمر في إعطاء نفس الجواب ، مثل البيانو الذي يثبت في نفس المقطع الموسيقي ...

بيار جانات (1858 - 1947) pierre Janet

بيار جانات ، عظيم علم النفس الفرنسي ... رجل الرقة ، المتجنر ، أشتهر و عمره اثنان و ثلاثون سنة بفضل أعماله الأولى ؛ و بقي في حالة استفار إلى آخر يوم من عمره الطويل .

رجل بدون عقيدة ! هكذا كان يسميه ماتكوفسكي Minkowsky :
" عندما يقوم بيار جانات [ذلك الرجل الحذر ، الهزيل ، المتجنر ، ذو النظرات الثاقبة ، و المشية الصيبانية المطاطية ، و الحركات المعتنلة و الدقيقة] بإدخالك إلى مكتبه ، تشعر مباشرة بإحساس غريب عند رؤية هذا الجور المملوء بالجد ، و المثابرة ، و التفكير ، و الفضول العلمي الموجود في حالة يقظة دائمة ، و روح الاكتشاف ، منبثقة من شخص سيّد ، و كل شيء في هذه القاعة الشاسعة تدل عليه ، كتب تغطي الجدار من الأعلى إلى الأسفل ، مكان يستعمله لأبحاثه العلمية . صورة صريحة للعمل الشاق الذي يقوم و ما زال يقوم به يجعلك تشعر بالورع بين يديه رغبة جامحة تسكن جانات و هي مصاهرة النوق العلمي بالديني . لم يقلها بنفسه ؟ ... "أحلم بمصالحة الدين و العلم ، هذه المشاركة يجب أن تقام عن طريق فلسفة متقنة التشكل توفق بين الإدراك و الإيمان . لم أجد هذه الروعة ، و لكن بقيت فيلسوفا ... "

بعدما نال للدكتوراة في الطب ، بدأ جانات في ملاحظة الحالات الهستيرية ، مارس التنويم المغناطيسي بإصرار كبير . إنه يبحث ... كان عمره ثلاثون سنة عندما قدم أطروحته حول : الآليات النفسية . كان ذلك عام 1889 .

بعد ذلك ، نزل جانات في باريس ، وتوجه مباشرة نحو شاركو في

"لاصال بنتريار" . أرضية مثالية بالنسبة له ! فكل الظواهر الغريبة للتنويم المغناطيسي و الهستيريا هي موضوع الجدول اليومي لشاركو . و تابع جانات الدروس التي يعطيها شاركو ؛ و أصبح بعد ذلك مدير مخبر الأمراض النفسية و بقت مجلدات ضخمة تشهد له على الآلاف من الملاحظات الثاقبة ، و المعمقة في إطارها الإنساني دائما . أربعون سنة من الملاحظات !...

هاهو ما قاله جانات : " ... التوقع عند الاختصاصات ليس بالشيء الجميل ؛ إذا كنا نهتم بعلم النفس ؛ فذلك له عواقب وخيمة ... تعريفيا فإن علم النفس يمس بكل شيء . هو عالمي . هناك أحداث نفسية في كل مكان ... "

الرجل الطبيعي و غير الطبيعي بنظرة جانات .

هاهو تصور رئيسي لعلم النفس ... و للتوازن عند كل يوم . ما هي المواقف المشتركة لكل إنسان ؟ كونهم يسبحون كلهم في نفس الظروف . إذن هذه الظروف تفرض تكيفا ... و بأقل خسارة ممكنة . هنا يبرز الفرق بين الإنسان الطبيعي و غير الطبيعي .

ولكي نفهم أكثر نأخذ كمثال فيزيولوجي : وجبة غذائية .

أ - الإنسان الذي يكون طبيعيا : يهضم غذاؤه بشكل جيد . تحدث عملية الهضم دون أدنى مشكلة ، و دون أي إزعاج .

ب - الإنسان الذي يكون غير طبيعي في وقت هضمه للأكل ، تستغل معدته بشكل عسير جدا . و هذا (كما نقول بالعامية) " يبقى الأكل فوق المعدة " إضافة إلى هذا يمكن ظهور بعض الأعراض : الإرجاع ، التقيؤ ، توعك ، دوران بالراس . هناك إذن مادة موجودة في الأكل لم تهضم بشكل منسجم مع الأطعمة الأخرى .

فلنمر إذن إلى الطابع النفسي :

الإنسان الطبيعي هو إنسان يملك ضغطا " نفسيا " قويا و منسجما . نفرض أن هذا الإنسان يواجه ظروفًا لم يكن مهيا لها . ماذا يحدث ؟ يقوم ببساطة " بهضم " الحدث ، و بيسر كبير .

اعطيكيم مثلا : فرض عليكم الدخول ، دون تهيئة ، إلى قاعة مملوءة بالبشر ، و منات من الأعين موجهة إليك إذا كنت طبيعي :

أ - بما أن الظرف يعتبر مفاجئا ، فإنك تتوقف لكي تنظر إلى الموقف .

- ب - تقرر بسرعة ، و تتقدم بحذر .
 ج - بهذا الفعل يحصل التكيف التدريجي و بشكل سريع .
 د - و بعد بضع دقائق ، تتقدم بيسر كبير ، دون خوف و لا انفعال ، و لا عدوانية أو تصلب .
 هـ - لا تشعر بعدها لا بتعب، و لا بانفعال. هذا الفعل لم يكلفك أية طاقة .
 الفعل قام و أنتهي . أنسجم مع الظروف الأخرى المشكلة لشخصيتكم .
 إذا كنتم غير طبيعيين (مثل : مصابون بالخجل ، الكبت ، التشنج ،
 العدوانية)

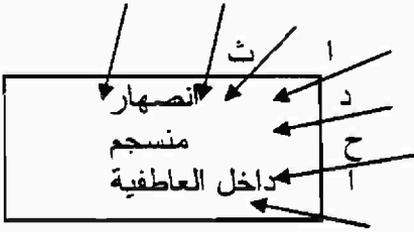
- أ - بما أن الظرف مباغت و فجائي ، فإنكم تقومون بالوقوف .
 ب - تخضعون " للارتباك " ، و الصدمة الالتهالية .
 ج - الخوف و الانفعال يظهران .
 د - إما أن تبقوا مندهشين في جمود ، أو تهربون أو كذلك تهجمون .
 هـ - تشعرون بعدها بالتعب . هذا الفعل كلفكم انفعالا كبيرا . فضلا عن أنه لم يتم ، يبقى بعد ذلك خطر ظهور اجترار الفشل لعدم التكيف ، و الذي يقوي الإحساس باللقص ، الخوف ، الرهاب و الغيظ ..."

الطبيعي و غير طبيعي في الحياة العادية .

تتطلب الحياة العادية آلاف التكيفات ! هناك الظروف الجديدة مهما كان نوعها ، هناك الأحداث المفاجئة ؛ المسؤوليات الجديدة ؛ المأساة ، الفشل الانفعال الخ .

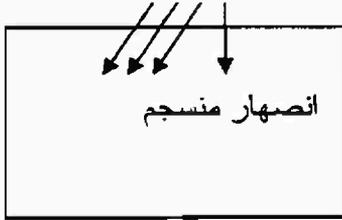
ماذا يفعل الإنسان الطبيعي ؟ يقوم بإدماج كل الظروف ، يبتلعها ، ثم يهضمها عقليا . كل هذه الأحداث تنصهر في " الأنا " بعد اندماجها المنسجم في الشخصية العامة للفرد . يفعل كل ذلك دون اصطدام و لا تعب .
 انفعالية الإنسان الطبيعي تشبه إلى حد كبير " الخزان " الذي تذوب فيه كل الأحداث ... مثل إلقاء به معجون بفواكه مختلفة (أو مثل أطعمة مختلفة داخل معدة سليمة) .

كما هو مبين في الشكل . ماذا يفعل الإنسان غير الطبيعي ؟ لا يهضم الحدث عقليا . لم يقبله "أناه" . يبقى ذلك الظرف خارج "أناه" و يعمل على حسابه الخاص يتشكل بعد ذلك خارج " خزان "



الانفعالية مذنب أو عدة مذنبات عقلية تعيش حياتها الخاصة ، و لا تستطيع الاندماج في الخزان العام للانفعالات . كل واحد من هذه المذنبات تقرض نزاعاتها الداخلية الخاصة بها و تحدث

بذلك مجموعة من الأعراض (مثل عسر الهضم الذهني إذا صح التعبير...) . تتفكك بذلك وحدة الأنا . و يلاحظ هذا في العقد النفسية ، الكبت ، عند الانفعالات التي لم يتم التخلص منها الخ. و يأتي بعدها أنواع عديدة من الأعراض ... تذهب من الضيق النفسي البسيط إلى غاية الوسواس الرهيب (1).



كما هو موضح بالشكل التالي :

ماذا يقول جانات عن الشعور ؟

نرجع إلى الصورة : الشعور يشبه الخزان الضخم بتصهر بداخله كل الأحداث . عمل الشعور هو نشاط تركيبي . و يجب عليه تحقيق انصهار

منسجم لآلاف من الظروف المختلفة الأشكال . يقوم الشعور بجمع عدة ظواهر على شكل ظاهرة جديدة ، و لكن مختلفة عن الظاهرة المنفردة . حالة الإنسان الطبيعي في المقهى : " أناه " بقي على حاله ؛ بينما هو كسب تجربة جديدة ؛ و لكن هذه التجربة اندمجت داخل شخصيته . هنا وقع تركيب للأحداث .

حالة الإنسان غير الطبيعي : الطرف بقي خارج أناه ؛ هذا الأنا موجود في صراع مع " المذنب " العقلي ، و الذي يتمثل في الفعل المفقود . و بالتالي ، كل إصابة نفسية ، مهما كان نوعها ، ناتجة عن الضعف للقدرة التركيبية . كلما يبرز حدثا ، لا يقدر الشخص على أن " يعدله "

(1) سوف نرى هذا عند دراستنا للتحليل النفسي

حسب أنه . فإن وحدة شخصيته تتلاشى ، و ينقص الضغط . إلا نسمع في الكلام الشعبي : (ذلك ؟ ... لم أستطع هضمه بعد!...) هذا يعني أن الحدث بقي خارج الأنا ، يزعجه و يوسوسه .

النقاط الأساسية في علم النفس جانات .

من الأكد أنه لا تحظى جميع أفعال الإنسان بنفس القيمة . يمكنكم مثلا التكيف بسهولة لبعض الظروف و التي تمثل عادات يومية . حياة المكتب العادية مثلا لا تتطلب أي تكيف عند إنسان طبيعي ، و لكن كل شيء يتغير عندما تكون الحياة في العمل المكتبي غير طبيعية (مدير مستبد مثلا) أو إذا كان الموظف غير طبيعي (به خجل كبير ، عدواني ، متشنج الخ) ، كل شيء مرتبط إذن بما يلي :

- إذا أدى الفعل عن طريق اكتساب عادة - منعكسة : فليست هناك أي صعوبة ، و التكيف يحصل دون عناء .

- إذا كان الفعل يتطلب تنظيمات جديدة يمكن أن يحصل التكيف ... أولا يحصل . كيف؟ ببساطة لأن التكيف مرتبط بحالة الفرد(الفيزيائية،العقلية) . هذا يعني؛ النظر في ما إذا كان الفعل يتطلب تنظيمات جديدة و غير اعتيادية ! حيث هذه التوجهات تمثل عادة في : الانفعالات ، فقد قريب عزيز ، خطوبة، جنس ؛ زواج ؛ مسؤوليات جديدة ، سفر ، معاشرة أشخاص ذوي مزاج سيئ الخ .

مثال آخر : فعل إبداعي ، و فعل يتطلب الذكاء هي أكثر تعباً من فعل عادي و غريزي . الاسترخاء لا يتعب مثل التركيز .

يمكن اعتبار إذن أفعال ذات " ضغط عال " و أفعال ذات " ضغط منخفض " . يتناسب الضغط المطلوب مباشرة مع تعقد التنظيم الذي يرجى فعله . و زيادة على هذا هذه التنظيمات يجب عليها أن تتركب و تنصهر وسط الأنا ؛ و هذا الأنا يجب أن يبقى منسجماً و ميسوراً .

و يؤكد جانات : " من البديهي أن بعض الأفعال مكلفة أكثر من غيرها و مستهلكة أكثر للقوى ... يجب أن نفهم جيدا أن أداء الأفعال السامية و التي تنتمي إلى سلسلة التفكير ، قدرة على إحداث الإنهيار ... "

أين الحكمة إذن ؟

كلنا يعرف أن مفهوم الجاه المادي يختلف من شخص لآخر . و الكل يعرف أن رأسمال الطاقة يختلف كذلك من شخص لآخر . لكن إذا كان الناس يصرفون الأموال حسب رأسمالهم ، فكم هم الذين يصرفون طاقتهم بمقدار ما لديهم من قوة ؟ ...

هل تريدون الحكمة الذكية؟ ... اعرفوا رأسمالكم! اعرفوا حدود طاقتكم . اعرفوا خاصة الأفعال التي تكلفكم الكثير . سفر بسيط لا يمثل أي تكلفة للطاقة عند ذلك الإنسان و لكن يصبح فعلا رهيبا و منهكا عند ذلك الشخص . يجب إذن معرفة الحدود الذاتية . أليس من الذكاء أن نستثمر رأس المال و نعيش بالفوائد التي ينتجها ؟

الأشخاص " العصبيون " يميلون نحو الأفعال القليلة . يكون تكيفهم أمام الظروف الجديدة صعب جدا ، و يتطلب استهلاك هام للطاقة . فضلا عن هذا ، إذا كان العمل يتعب ، فإن الانفعال ينهك أكثر . و لا ننسى أن "العصبيين " تطاردهم أفكار العجز و الخوف من التعب .

يجب إذن معرفة المعامل الذاتي للعمل الجسمي و العقلي ، و عدم تجاوزه . صرف الأرباح ، نعم ؛ لكن لا يجب المساس برأس المال ! إنه شمين جدا تدريب الذات على الكيفية في العمل . و لكن أثن منه حين نتعلم كيف نتوقف عن العمل ، كلما ظهر التعب . و الطاقة المعوضة تضاف إلى رأس المال الذي يقوم بدوره بإنتاج الفوائد . يجب على الإنسان توزيع الفعل بين النشاط و الراحة .

يجب تنسيق النشاط حسب وتيرة منسجمة . يجب الانتباه إلى التعب ، ليس خوفا ، و لكن لأخذ الدروس و الموعظة . لكي نحفظ عن ظهر قلب كيف يجب علينا تنسيق وتيرة حياتنا الذاتية تماما مثل القيام بالحسابات في آخر النهار ، لكي نلاحظ إذا كنا لم نتجاوز الاستهلاك الطبيعي .

لا بد على العصبي أن لا يعير أي اهتمام لوسوسته بالتعب ؛ و كذلك لا ييأس من ضعف ذاكرته . بالعكس و أكرر يجب استغلالها ليلاحظ و يعرف حدوده ، القادرة على الامتداد بسهولة عن طريق التدريب على نمط الحياة الذي يسمح له " أخيرا " في " إدماج " كل أفعاله ، و هضمها دون

جهد ، و أن يتمكّن بذلك بالقيام بالفعل و التفكير بيسر ، و هذا في آخر الأمر شيء يعرف به الإنسان .

الأفعال المنهكة .

قام جانات بدراسة متاملة للأفعال المنهكة ، بمعنى النشاطات التي تؤدي إلى " تخفيض الضغط " و أهمها : التعب ذو النشأة الاتفاعلية و المتواصل (خاصة !) الإرهاق العقلي ؛ كل الاتفعالات الإتهيارية . عند المنهار عادة ما يبقى الفعل في حالة الرغبة و التملص . و تتسببت الجهود دون أي نتيجة إيجابية . الشخص يبقى في منتصف أي فعل يريد القيام به ، و يعظم بذلك تتسببت الجهود ، ثم يظهر الاتفعال ، و بعده أفعال غير مجدية ، ثم التردد ، ثم الشك ، و يأتي بعد ذلك الاجترار الذهني ، عدم الرضى على النفس و الإتهاك .

تكلمنا عن ذلك في باب " التعب أنظر الفهرس " .

طبعاً كل شيء مرتبط بالاستعداد النفسي المسبق لكل فرد . ما هي الحكمة مرة أخرى ؟ المعرفة الذاتية لكل الأفعال المنهكة ! و لكن بعض الأفعال هي منهكة لأنه توجد في البنية الأساسية إصابة بالعصاب .

هنا ، من المؤكد أنه يجب على علم النفس الاهتمام بالعصاب و ليس بالأفعال المنهكة . التي لا تعتبر إلا أعراض .

بالمثل ، تناول وجبة غذاء بسيطة في جو عائلي مشحون، يكون عند البعض متعباً مائة مرة أكثر من القيام بدراسة مكثفة. لماذا ؟ عن طريق التشنج ، الكبت ، الضغينة " الدفينة " الخ ، التي يمكن أن يحدثها هذا العشاء . هذه الحالة تأخذني إلى الحديث عن الأشخاص المنهكة . معاشره هذا النوع من الأشخاص يمكن أن يولد أقبح عصاب في أغلب الأحيان . يمكن كذلك أن نعطي اسماً لهؤلاء الأشخاص ب " أكلة الطاقة " لماذا و كيف ؟ هذا ما سوف نعرفه بعد قليل . و لكن كما قلت من قبل ، يوجد هؤلاء الأكلة للطاقة غالباً في المحيط الأسري . أين تكون و ببساطة المعاشره مطولة و تخضع للقوانين الأخلاقية ، و الاحترام المطلق ، و تحريم الكراهية الخ . و لكن من الأكيد أن هناك بعض المديرين " أكلة " طاقة موظفيهم ، لأن هنا كذلك توجد معاشره .

أكلة الطاقة

أو الأشخاص المنهكة

من هم هؤلاء الأشخاص ؟ إنهم كثيرون ، و يملكون أقدعة متعددة و مختلفة الأشكال حتى أنني يجب أن أمتنع عن ذكرهم كلهم ... و لكن و بصفة عامة تربطهم صفة إنتاجية مشتركة و هي : حب الهيمنة !

هم أولئك النوع من البشر الذين يغلب عليهم حب التسلط ، الاستبداد ، المصائبون بالهوس، الكثيرون الطلب ، المدققون في التفاصيل الفارغة ، المستاعين المصابون بالغيرة ، الحساسون و الحاقدون ...

هؤلاء الأشخاص المنهكون يملكون أقدعة مختلفة ، أهذا ما قلته ؟ فكم من شخص (و هذا ما سوف نراه في الحالات المرضية) يخفون حاجتهم للسيطرة تحت قناع " الطيبة " المفرطة ؟ ... (مهما كان غير شعوري) فالميكانيزم يبقى في غاية البراعة . شخص في عائلتك يهيمن عليك ، تشعر بعدها بالضغينة الداخلية ، و المشحونة بالانفعالات . لكن إذا كان هذا الشخص " طيبا جدا معك " كيف لك أن تفرغ هذه الضغينة الانفعالية ؟ و بهذا نشاهد الكبت بكامل جماله ... كذلك كم من شخص يؤدي " دور المكافح " ليحصل بشكل أفضل ، على كل ما يريده ؟ كم هم كثيرون الذين يتعلقون بأبنائهم، و " يحضنونهم " ؟ كم من امرأة تمنع و بدون شعور ، أن يصبح ابنها رجلا ويقمن بفعل كل شيء لكي يبقى طفلا صغيرا ؟ ... و تستعمل في هذا المجال كل الوسائل المتاحة ؛ سواء التسلط بأتم معنى الكلمة ، أو استعمال أقدعة لتغطيته ..

متى هذه الفئة من الأشخاص المنهكة تأكل طاقة الأفراد الذين يقومون بمعاشرتهم ؟ أولا ، عندما يستحيل عليهم إفراغ شحنة الضغينة الانفعالية الموجودة لديهم (يمكن أن تكون حالة الطفل تجاه والديه أو موظف تجاه مديره) زيادة على هذا ، فإن كل إنسان يشعر أنه بحاجة كبيرة بأن يهيمن على الآخرين فهو مصاب بالعصاب . هذه الهيمنة هي عبارة عن ميكانيزم يضمن عن طريقها أمنه الداخلي . التكيف إذن مع هؤلاء الأشخاص ليس فقط صعبا جدا ، و لكن متبدل و متغير دون انقطاع .

لا يوجد معهم التعود على نمط معين من الحياة يجب البقاء في حالة ترصد قصوى، و في توتر و تشنج. (و لا يعرف بأي رجل يرقص ...) هذا

هو نمط الحياة اليومي . لكن لا يجب أن ننسى أن هذه المعاشرة قد تمتد إلى عدة سنوات ، ساعة بساعة ، و دقيقة بدقيقة . ألا ندرک ما يمكن أن تخلفه تلك الانفعالات، تلك التمردات، ذلك الغضب " المدفون " هذا الخضوع السلبي الذي يحدثه أكلة الطاقة ؟

بماذا يشتكي الأشخاص الخاضعون لهم ؟ يظهرون عدة نقاط مشتركة : الإنهاك دائما ؛ الضعف أو الإبادة التامة لشخصيتهم ؛ استحالة الإحساس بالذات ؛ استحالة القيام بالفعل بشكل تلقائي ؛ القيام بحسابات خذرة أمام أدنى فعل ؛ الإحساس بالنقص و الإحباط ؛ التملص من المسؤوليات الخ ... و قد قلت بأن الهيمنة يمكن أن تأخذ شكلها الأصلي . أو تنقصر تحت ألقعة متعددة . و غالبا ما تكون هذه الأخيرة الأكثر خطورة .

الحالة التسلطية البحثية .

هناك فرق شاسع بين السلطة و التسلط . السلطة تعتبر الحكم عبارة عن وسيلة . تبحث عن تحقيق نظام شرعي فعلي . و هي تحترم كلية الأشخاص الذين تحكمهم . يعني هذا أنه حكم ديمقراطي بحت . و هذه السلطة الحقيقية تعتبر معطاءة لأنها تملك الجاه و القوة .

أما التسلط؟ فهو عكس ذلك تماما . يعتبر المتسلط الحكم هدفا في حد ذاته . يمثل هذا الحكم بالنسبة له " أمنه الداخلي " . فهو يرفض إذن أي مناقشة حول هيمنته . يطلب كل شيء و لا يعطي أي شيء . المتسلط يعتبر عدوانيا : إذن هو ضعيف . يعتبر حكمه هجوما مقنعا . إنه يهجم خوفا من الهجوم عليه ؛ أو تجريحه أو استضعافه . يعتبر التسلط و الهيمنة ، بالنسبة للضعيف ، كتعويض من الدرجة الأولى . استضعاف الآخرين يوهمهم بالسمو و القوة . زيادة على هذا ، فهم يشعرون أنهم يؤدون أفعالا ، دون الحاجة لاستهلاك الطاقة الإبداعية الضرورية ، و هذا الذي لا يستطيعون فعله . و للأسف هؤلاء أشباه الأسياد تعج بهم الأرض ...

في نفس هذه الحياة العادية ، المتسلطون يتمنون من البقاء و العيش و هذا بفضل عوامل كثيرة : أولا بسبب عامل المنفعة : مثال : موظف يسكت خوفا من طرده من العمل ؛ إنه موظف خائف الخ .

ثانيا : بسبب الخلط المستمر الذي يقع بين القوة و العدوانية ، و قد رأينا أن العدوانية هي نقيضه القوة ...

هناك خلط آخر بين جفاف الهيمنة و الإرادة . حيث ، إذا كان المتسلط يبدو مالكا لإرادة جامحة ، فهالضبط لأنه فاقد لإرادة فعلية ... بما أنه لا يملك قدرة عقلية ! و نشاهد المتسلط يتعنت عند أنني فرصة تسمح له بذلك . فلماذا ؟ لأن كل معارضة له تضعه أمام جحيمة المتمثل في الضعف ، و التناقض . تعنت المتسلط هو القريب الفاقد للإرادة .

إذا كان للتعنت يمكن له أن يكون إرادة ، بهذه الحسابات حتى الحمير ، تصبح لديها إرادة ... (سوف نتحدث عن هذا في باب الإرادة)
انتظرا لكل هذا أكرر القول: أن معاشره شخص متسلط هو فعل منهك ، خاصة عندما يتعلق الأمر بالقوانين الأخلاقية التي تمنع المقاومة ، كما قلت سابقا .

حالة مرضية للهيمنة المتعنة .

- ليفز... رجل في الثلاثين من العمر ، أصيب بالعصاب و الإتهاك لأن خالته التي قامت بتربيته لم تتركه أبدا يؤدي عملا دون أن تتدخل فيه . هذه الخالة تفرض عليه مساعدتها ، تفرض عليه أفكارها و أوامرها . حضور دائم، مدققة للتفاصيل ، كثيرة للنصح .

و ها هو ما يقوله ليفز : (... لم أستطع قط أداء فعل ، حتى البسيط ، دون أن تفرض علي مساعدتها ... و لا أستطيع أن أشرح لها موقفي ... إنه منهك حتى أنني أريد أن أرمي بنفسي في خندق ... و تقوم باحتضاني ... و تدليلي فضلا عن هذا ... أنظر ؟ حتى إحضار الفحم ؟ إنه فعل أحقق ليس كذلك ؟ حسنا ، هي تفرض علي مساعدتي في أمر مثل هذا ... لا تحمل كثيرا ... إنه ثقيل عليك ... سوف أساعدك ... لنا في مكانك أفعل هكذا ... الخ .)
فعل حزمة ؟ الحزمة للسخيفة ؟ (تبدأ ترتعش يدي ليفز من الغضب) ... لا سبيل أن أفعلها وحدي ... إن خالتي هنا ، ملتصقة بي ، ملتصقة بالحزمة ... تنظر كيف أضغ الأشياء التي لا معنى لها ... و هذا يحدث كل يوم هل سمعت ؟ ... و عندما أتمكن عن طريق العلف بأن تتركني و شأني ، أحس بها موجودة على بعد ثلاث خطوات مني تقوم بمرآقتي ... و أحس أنني طفل أبله يبلغ من العمر ثلاث سنوات ... و أشعر أن رجولتي انتزعت مني و دام هذا ثمانية عشرة سنة !... أتمرد ؟ و لكن خالتي كانت طيبة جدا ... فهي تحتضني ... و لا تعلم شيئا ؛ إنها

تعتقد أنها تفعل شيئا جميلا دون أن تعلم أنها متسلطة بشكل رهيب . رغم طبيعتها ... فهي رهيفة حسيا ... مستاءة كثيرا ، و تتألم فوق هذا عندما اعارضها . و أحس بالتشنج عندما أقوم بفعل شيئا رغم أنني أفضل أن تفعله هي ... حتى الأشغال الكبرى ... حتى إدخال مسمار في الجدار ... و أتهم بالكسل و لا أستطيع التعبير عن الغيظ الشديد الذي يملك كيائي و الذي عانيت منه طيلة 18 سنة ، حيث لم أحس يوما أنني رجل تلقاني ... النتيجة ؟ ايفز س ... لم يقدر على تحمل أية مسؤولية ، و أصبح ذو جنسية مثلية (homosexual) ... هذا كل شيء لكنه فظيع .

حالة أخرى:

شاب في سن المراهقة يدعى جاك . أمه ، هي كذلك ، تعتقد أن ابنها غير قادر على فعل أي شيء بدونها . إذن نفس لعبة ايفز نوعا ما ... في أحد الأيام تعين على جاك أن يحمل شيئا سريع الاتكسار . ففعل عاد ! و أمه تتدخل للمرة الألف : " ... ساعده ... و ددت لو حملته بنفسي ... لو تركتني أغلفه هذا أضمن ... أحترس أن يقع لك ... احذر ... أحمله بلطف ... لا تحمله هكذا بعنف ! ... انتظر : دعني أحيطه بورقة الجريدة ... و انفجر المراهق غضبا وياسا ، ورد عليها ساخطا : "لقد حملت أشياء كثيرة طيلة حياتي هل تسمعي ! هل سقط شيئا من يدي يوما ؟ هل تضنين أن عمري ثلاث سنوات ؟ ...

لا يجدي معها شيء . إما أن هذه الأم المصابة بالعصاب تستاء من ابنها ، أو أنها تعلن أن " ابنها له طبع سيئ " و إما تجيب " ... لا و لكن احترس رغم هذا ... " و أخيرا تنهك أعصاب المراهق ، يكسر ذلك الشيء على الأرض بسخط شديد و يخرج دون أن يتكلم كلمة .

هذه الأم ، حكمت لي الحادثة و قالت : (... إنه طبع جحود للخير و أنا التي فعلت كل شيء من أجله ... أه ! من شباب اليوم ! ...)

و لما حاولت تفسير لها بشكل بسيط أن مراقبتها المستمرة و التسلطية تكون سببا في تحطيم ابنها و يعتبر تكسير ذلك الشيء دلالة على الفعل الرجولي المتمرد ، و نجوت بأعجوبة من خنقها لي .

حالة أخرى .

حالة هيمنة مقنعة كذلك . هنا ، الطاعة لا تلزم وجود الأمر ، لكن مطلوبة للتعبير عن العاطفة . و التي يسميها جانات " الحب - الهوسي manie de l'amour ماذا يقوله المصاب بهذا النوع من العصاب ؟ " ... إنني بحاجة أن أكون محبوبا بشكل مستمر ... أن أكون محاطا ... أن أبقى مدللا...أحتاج إلى العناية الدائمة...و لا أتحمّل أن يُفعل شيء دون علمي ..."

و يقول جانات : (ما يقصد بمفهوم " المحبة" هنا : هو أولا ، أن لا يجب أن يهجم عليهم أبدا ، و أن لا تخدش أبدا معنوياتهم بأي صفة من الصفات . فهم دائما في حاجة إلى تدليل ، إطراء ، تسلية متواصلة الشيء الذي يقوي ضغطهم النفسي .) بالنسبة لهؤلاء الأشخاص يفهمون الحب على أنه أخذ فقط و بكل بساطة . أبدا لا يعطون شيئا مهما كان نوعه . الشخص الذي يعاشرهم يبقى دائما مسخرا لرغباتهم ، و ضعفهم ؛ متختلا ليقادى عتابهم تهمهم وعويلهم ، مواقف " التضحية " فيهم ، و إحساسهم المرهف ...

المصابون بالغيرة

الغيرة هي الجرح القاتل لكثير من العلاقات الأسرية . هناك غيرة بسيطة، و يمكن كذلك أن نجد غيرة مرضية جدا. الشخص " المحبوب" يستولى عليه بصفة مطلقة، و يقيد بأغلال حديدية. و تظهر ضغينة كبيرة ، هوس ، عنف بشكل متواصل تجاه أي شيء يمكن له أن يقوم بتلحية "المحبوب" : دراسة ، عمل ، كتاب ، أصدقاء ... حتى تجاه التفكير الصامت ! لا يقبل الغيور أبدا أن يفكر " المحبوب" وحده أو يحلم . لماذا ؟ لأنه يخشى أن يفلت " محبوبه " من دائرته المغلقة التي يريد سجنه فيها . ها هو ما يقوله رجل خاضع لامرأة غيورة :

(...أنهكت قوا يا ، إنني أصبحت لا أطيق...أخاف العودة إلى بيتي...كل شيء يصبح سببا لتجبير نوبة من الغيرة...ربطة العنق الجيدة...علامة فرح، بسمه في الشفاه...يقول لي : " إنك تضحك مسرورا لأنك رأيت امرأة أخرى ليس كذلك؟ ... أوه ، أنا أدرك أنني لست جميلة ، لكن أريدك لي وحدي..." و لا أرد لأنه لا فائدة في ذلك . إنها فكرة ثابتة باتم معنى الكلمة ، أحس أنني سجين داخل جهاز مراقبة ضيق ؛ إذا كنت لا أفكر في

أي شيء ، تعاتبني على عدم التفكير فيها ؛ و إذا التزمت الصمت تعاتبني على عدم مبالاتي بها ... و في الشارع ، المراقبة تصبح رهيبية. يجب أن أمشي متصليبا مثل العمود... هل يخطر على بالك؟ ... هناك نساء في الطريق ! أجبرت على هجر جميع أصدقائي ، لأنهم حسبها يجعلونني أتلهى عن حبها ... لا أجرا حتى على القراءة... إذا أزداد بي الحال سته أشهر على هذا المنوال من الحياة فسوف لا أصلح إلا أن أكون في المستشفى ... حتى أنني أفضل أن أبقى طيلة الوقت في مكتب عملي رغم أنني لا أطيعه (...)

الغيرة إذن ، هي امتياز مطلق . تعتبر الشخص المحب كشيء تافه يمنع كلية من أن يحيا حياته الشخصية و التلقائية . الغيرة تعتبر أحد أعراض الضعف الروحي ، و الفقر العاطفي . يحاول الغيور سد فراغه الداخلي أين يوجد عادة الإحساس بالنقص . كيف إذن يحتفظ بهذا الشيء؟ بسجنه عقليا ، و هذا أمر شائع كثيرا ؛ أو حتى فيزيانيا ... و الذي يحدث كذلك ! حيث ، تملك شيئا يستلزم القيام ببعض الأفعال التي تحافظ عليه . حتى هذا لا يقدر عليه الغيور . يجب عليه إذن استعمال الاستبداد الديكتاتوري ليقطع عليه طريق الفرار ، و يتجنب بذلك أن يبذل جهدا في استرجاعه ... و منه تأتي العدوانية العليفة ضد أي غريب يمكن أن يكون سببا في ذلك الجهد . (مثال : امرأة غيورة ، تبرز عدوانية كبيرة تجاه أصدقاء زوجها و الذين "ياخذونه منها" و تضطر " حسب اعتقادها " أن تسترجع من جديد حب زوجها ...)

يعتقد الغيور أنه يحب ، و لكن يبحث فقط عن أمنه الداخلي . الغيرة عند الكبار هي دائما تعبير عن النقائص النفسية . حيث ، عند الغيور يكون انعدام الأمن العقلي ذو قوة شديدة و مختلفة الأشكال ، حتى أنه أبسط سوء تفاهم يكشف أهوالا عاطفية ... يعجز ضعفه عن سدها . نفهم إذن أن الديكتاتورية و القوة البوليسية تعتبر الحل الوحيد . و كل إفلات للشخص المحب يحدث القلق ، الوسواس و في بعض الأحيان حقدا يدهش في قوته . الغيرة تعتبر الشكل الحاد من التسلسل ، يمكن أن تحدث بدورها ، اضطرابات جديدة للتوازن : الوسواس ، الفكرة الثابتة ، إفراغ شحنة

الاندفاع و الولع، الاجترار العقلي الخ ... على حساب المحبوب . أكرر
إذن أن الغيرة هي دائما عرض لاختلال التوازن العاطفي .

الغيرة عند الأطفال

ميكانيزمات كثيرة تدخل الحسابات . أبسطها عندما يغار الأخ الكبير من
أخيه الأصغر منه ، و الذي يعتبره مستولي على كامل حب والديه . فهي
غيرة طبيعية ، و يمكن التخلص منها بسهولة عن طريق مواقف الوالدين
و المسؤوليات التي يمنحونها للكبير .

في ما بعد يصبح الصغير هو الذي يغار من أخيه الكبير . لماذا ؟ نظرا
للامتيازات الفيزيائية و العقلية التي يوفرها مثل ذلك السن . هنا كذلك كل
شيء مرتبط على التشكيلة العائلية .

و هناك نوع آخر من الغيرة : تلك الموجودة عند الطفل تجاه والديه الذي
يمثل نفس جنسه (مثال : الطفل يغار من أبيه) . و هو النوع الكثير
شيوعا . سوف نراه في التحليل النفسي ، بدراستنا لعقدة أوديب . معظم هذه
الاحساسات تبقى مخزونة في اللاشعوري . (خاصة عقدة أوديب !) و
رغم أنها لا شعورية ، فهي تبقى تعمل ! ماذا يفعل إذن الطفل ؟ يفرغ
شحنة غيرته عن طريق عدوانية خطيرة في بعض الأحيان . و تفرغ
الشحنة يكون إما رمزيا : كتمزيق (و بغضب شديد) دمية يملكها غريمه ،
و يدوسها برجليه الخ

و إما تراه يلعب بعرائس القرقوز ، و يمثل غريمه على شكل شخصية
حقيرة، أو عن طريق الرسم أين يقوم برسم غريمه و هو منبوذ من العائلة ،
مقتول ، مهان ، يسب و يشتم ، و يمكن لغيرة الطفولة أن تحدث أعراضا
عصبية من بينها : خاصة العراة (Tic) و الظاهرة المشهورة المتمثلة في
التبول في السرير (السلس) Enurésie (أنظر للقاموس) .

و أخطر حالة يمكن أن تظهر هي عندما يحصل للطفل تفكك عاطفي .
فهو يستصغر نفسه و يستضعفها ، يبقى طفلي ، و يلعب دور الطفل
الصغير ، ليجذب و يرعى اقتباه والديه . هذا الموقف يعتبر خطير إذا
تواصل ؛ إنه يؤدي إلى العصاب . في هذه الحالة ، نحن سوف نتعامل مع
مراهق مصاب بالعصاب و الطفولية و يبقى عاطفيا مثبتا إلى الخلف، و
غير قادر على فعل أي شيء إلا الفشل المتواصل . أحيانا أخرى ، يشعر

الطفل أن هذه الغيرة العدوانية كخطأ فادح (و هذا ما يثبت غالبا في عقدة أوديب) و إذا لم يتم التخلص منها بشكل طبيعي ، سوف نتحصل على شخص و هو كبير مشحون بأحاسيس الذنب اللاشعورية،الشعور بالنقص، الجنسية المثلية ، الكامنة الخ . سوف نتحدث عن كل هذا .

الغيرة عن طريق الإسقاط

لا بد علي أن أذكر حالة (و هي شائعة كثيرا) تبين " الكواليس " الغريبة في بعض الأحيان للغيرة . هنا يعتبر الموقف أكثر خطورة ، بشكلها الرهيب الذي تقوم بتمثيله ، و طبعا فهي تؤدي أدوارا متغيرة في الشدة . و تصبح لفكرة ثابتة تمس بهذيان الاضطهاد .

هاهو السيد س ... : (... زوجتي تتهمني دائما أنني أخونها مع عدة نساء أخريات و التي هي تعرفهن ؛ و تزعم أنني أرود صديقاتهن عن أنفسهن و كذلك كل النساء اللاتي التقى بهن . و هكذا دوما ، حتى أصبحت لا أطيق العيش في هذا الجحيم . كلما أدخل إلى البيت أجدما غاضبة ، و تقدفني بأبشع التهم ... تفحصني من رأسي إلى قدمي ... حياتنا الاجتماعية فظيعة جدا . فهي تذهب حتى إلى صفع امرأة قد نظرت إليها بحسن نية و تقول عني : " أنلي فاسق و منحل الأخلاق ... صدقتني أنني أعاني الأمرين بسببها ... و الشيء المدهش و الغريب ، أن زوجتي تعلم و متيقنة تماما ، أنه ليس من طبعي أن تكون لي مثل تلك العلاقات الفاسقة كما تقول . و هنا و في هذه اللحظة بالذات تستقيم أذنا عالم النفس . فهو متأكد أن هذا النوع من الغيرة يعتبرها مرضية جدا . لكن يوجد أكثر من هذا . إذا كانت الزوجة أمام المختص في علم النفس فلسوف يلاحظ و بسرعة ميكانيزما يفسر كل شيء .

نرجع إذن إلى الزوج المسكين . فالزوجة مقتنعة أن زوجها يخونها مع النساء الأخريات ، بشكل فاسق و فاجر . و منه تكشف لعبة عميقة ، تجهل عند العامة لكنها شائعة الحدوث عند المحلل النفسي :

1 - هذا النوع من النساء التي تقوم باتهامهن لا يناسب المثال الأنثوي للزوج

2 - نفس هذا النوع من النساء يناسب جيدا المثال الأنثوي للزوجة . إذن ، هل الزوجة بها ميول إلى الجنسية المثلية ؟ نعم . لكن جنسية مثلية كامنة و

لا شعورية . كونها إذن ذات جنسية مثلية لا شعورية ، ترغب ، و دون شعور ، أن تراود نساء أخريات على أنفسهن . لماذا لا تفعل هذا؟ لأن إصابتها بالجنسية المثلية مازالت لا شعورية ، ولأنها مكبوتة في المناطق الشعورية للمخ حسب أخلاقيات هذه الزوجة . أليست تعمل على اتهامه بالفسق ، " و مراودة النساء على أنفسهن " و الذي يعبر أخلاقها على ميولها المثلية ؟ لكن ، و بصفة عامة مكبوتة أم لا هذه النزوات اللاشعورية تقوم بعملها !

ماذا يحدث إذن ؟

- 1 - هذه الزوجة ترغب دون شعور مراودة النساء عن أنفسهن .
- 2 - هي لا تستطيع و ليست قادرة فعل ذلك .
- 3 - من يراود بشكل عام النساء على أنفسهن ؟ الرجل يعني زوجها .
- 4 - في هذه اللحظة ، تقوم الزوجة بإسقاط ميولها الذاتية على زوجها : تصبح هي الزوج ، و أصبحت مقتنعة أتم الاقتناع أنه يقوم بمراودة النساء كما ترغب هي فعل ذلك بنفسها .
- 5 - أولا ، فهي تغار من زوجها التي تريد أن تكون مكانه . ثم بعد ذلك ، إذا كانت مازالت متعلقة بزوجها ، هناك زيادة على ذلك ، مشاهد الغيرة العنيفة ، لصالح ميكانيزم يظهر " خيالي " ، و لكن مرتبط بميول شديد لا إرادي ...

في هذه الحالة بالذات يوجد ضحيتان اثنان : الزوج الخاضع لمنوبات زوجته ؛ و الزوجة التي بداخلها صراعات عنيفة تقطعها :

أ - ميولها للجنسية المثلية اللاشعورية

ب - ما تعتقد عن مظهرها الخارجي : امرأة ذات جنسية طبيعية . و نفس الشيء إذا قمنا بأخذ هذه الحالة بشكل معكوس : الزوج المريض بالشك (العظام) ، به جنسية مثلية لا شعورية ، يسقط ميوله على زوجته . يصبح هو الزوجة ، التي يراودها (حسب اعتقاده) الرجال عن نفسها ، الشيء الذي يريده لنفسه .

نشاهد إذن أن الغيرة يمكن لها أن تتنكر بعدة أقنعة . الغيرة البسيطة لا يمكن اعتبارها غير طبيعية جدا . مثال : الغيرة عند الأطفال لا تصبح غير طبيعية إلا إذا استمرت في المدة ، أو تعطى التفكك العاطفي . بينما غيرة

الكبار ، فهي عمليا ، في اغلب الأحيان غير طبيعية . فهي إذن تعبر عن عرض لحالة نقص عاطفي ، و الذي يتطلب علاجاً نفسياً معمقاً .

التفاني و الإخلاص عند المستبد .

"... فقدت والدي ، يقول بول . و أعيش منذ عشر سنوات مع جدتي ... لا أدري هل كنت أحبها أم أكرهها ، ربما الاثنان معا ... إنها متفانية في خدمتي ... أوه هذا ، نعم !... حتى أنها متشدة في تفانيها معي ... إنها تفرض علي دائماً ما تعتقد أنه خير لي . حتى إذا كان لا يتناسب مع رغبتني ، و لا ذوقي و لا رأيي ؟ إنها لا تهتم حتى بكلامي ؛ طول النهار و هي تنهك نفسها في الطبخ ... و جب علي أن أكل كل يوم لحماً أحمر ، لأنه لذيق ، ذلك اللحم الأحمر ...؛ اللحم الأحمر يمد بالقوى ... حيث أنني أكره اللحم الأحمر ، و قلت لها ذلك ملايين المرات ، و لكن لا يجدي معها شيء إطلاقاً : كل يوم ، لحماً أحمر . و نفس الشيء مع كل شيء ؛ فهي تفرض عليا تفانيها ، تفرض عليا مساعدتها و أنا مجبر علي هضم كل ذلك لتفادي عتابها و استيائها ؛ فهي تحوم حولي كالذباب الطنان . و إذا حاولت إفهامها علي اكتسابي أنا كذلك للذوق ، و كآني أتكلم مع الجدار . و هذا يتعني إلي أقصى درجة . و كم من مرة قمت بالتنقيؤ لأخرج كل ما أكلته من قوة تشنجي و غضبي ؟... لكن أحياناً ، سخطي الداخلي ينفجر و أصبح عنيفاً بشكل رهيب ؛ لأنه لا ينفج معها تفسير ؛ فهي لا تفهم أنني أنا كذلك يمكن أن تكون لي رغبات خاصة بدون شك ؟... إذن كل شيء ينفجر كالفرن الموجود تحت الضغط العالي ؛ و ينتابني غضب شديد تبقى علي إثره مندهشة حائرة كالمكافح الذي يقع ضحية عدم التفهم ... ثم بعد ذلك أحس بالندم الكبير ، قد يمتد إلي عدة أيام و أنا أبحث كيف أرضيها لتسامحني ؛ و أمثل لها دور الطفل الصغير ثم أذلها ... و طيلة ثلاث سنوات و أنا أحاول أن أدفع لها نفقة ما تصرفه علي ؛ و هذا طبيعي ؟... لأنني أشتغل ، و هذا يعطيني الإحساس بأنني رجل مستقل ... لكنها ترفض دائماً ، و تستاء مني لو أكدت عليها . هنا كذلك تفرض عليا تفانيها و مساعدتها ! و في الحقيقة هي ترغب في أن أبقى خاضعاً لها دائماً . إذا أردت أن أصبح رجلاً لا بد علي أن أهرها ؛ و لكن لم أستطع أن أصل

إلى قرار... ما هي نتيجة هذا الشقاء ! إنها لا تدرك مدى المضرة التي تتسبب لي فيها و هي تعتقد أنها تعطيني أجمل شيء في الكون ..."

هنا يوجد استبداد متكرر . هؤلاء الأشخاص لا يتقانون في خدمة الغير ، وإنما يفرضونه عليهم ، و في كل الظروف . لهم هوس إجبار الغير و بلطف كبير على قبول هداياهم ، و قبول فعل كل شيء بمفردهم . يعطون للغير الإحساس أنهم غير قادرين على فعل أي شيء ناجح دونهم ! زيادة على هذا فهم بحاجة كبيرة لاعتراف الغير لهم بالخصال الحميدة الشيء الذي يقوي أمنهم الداخلي . ظاهريا يبدو عليهم طيبة و لطف كبيران ... لكن هم يرغبون أن يعرف الغير هذا ، و يتحدثون به . و نفهم بعد ذلك كيف يظهر التشنج و الإتهاك لدى المعاشرين لهم ، و بكل ما يجلب من نتائج ممكنة الحدوث ؛ خجل ، استضعاف ، انتزاع الرجولة ، فشل ، عصاب ، قرحة في المعدة الخ . سوف نتحدث عن هذا في ما بعد .

كيف يمكن لأكلين الطاقة أن يوجهوا أقاربهم نحو الإتهاك و العصاب ؟

من الأكيد أن يكون لسلوك المتسلطين (عبر قناع أو دونه) أثر عميق على محيطهم الاجتماعي المباشر . ما هي ردود فعل الأقارب ؟ إنها قبل كل شيء انفعالية معمقة . كيف تريدون أن يكون التفاعل ما دام هذا الشخص عبارة عن " جدار " بآتم معنى الكلمة ؟ أمام شخص يفرض على الغير كل شيء ، يقوم بمراقبة كل شيء ، مصاب بالنفاني و الطيبة الهوسية ؟ ينتج على إثره تمرد انفعالي ، تذبذبات ، إرتباك ، تشنج ، الكذب ، الخوف ، سخط داخلي ، غضب مكبوت ، تأنيب الضمير ؛ الشعور بالنقص ... و من خلال كل ذلك يتعلق الأمر أساسا بمحاولة إنقاذ شخصيتهم الذاتية ! ... هي كل الميكانزمات الانفعالية غير المفرغة الشحنات التي تنفجر مثل الورم الأخلاقي الأخرس . و سوف نرى في الطب النفس - جسدي التأثيرات النفسية و الفيزيائية للانفعال .

و هكذا فانا نسمع في أغلب الأحيان العبارات التالية : (... إنه ثقل يومي رهيب ... من المستحيل أن أشرح ذلك نقطة بنقطة ... أشعر بنفحات حرارية تصعد إلى رأسي ، مغص في أمعائي ، غثيان ... لا أدري ما

يجب فعله لأر ضاءه (أو أر ضاءها) ... أفضل منات الأفعال المحددة على هذه الآلاف التفاعلات الصغيرة التي لا أعرف نتائجها...

لنتي دائما في حالة تأهب ... إنه (إنها) يقوم بتقلي دون أن يعلم ، و بأحسن نية ... كيف لي أن أكون رجلا في تلك الشروط ؟ يجب علي أن أصارع بقوة لكي أفعل وحدي (...)

نلاحظ إذن جيدا أن " هضم " العديد من الاحساسات المتناقضة يصبح صعبا جدا . يظهر الإتهاك ، و يصبح الشعور غير قادر على التركيب . كيف لمراهق أن يعيش مع متسلط و يقدر على هضم و تصهار احساسات متناقضة تماما ؟ أحيانا حب و أحيانا أخرى تمرد و حقد مكبوت ...؟ كيف لعاطفته أن تبقى على حالها و هي في صراع مستمر ؟

هل يمكن له أن يحتفظ بشخصيته، بينما يقام بالحفر داخلها على مغارات تلو الأخرى ؟

"الأنا" الذي يكون أمام شخصية منهكة ، سرعان ما يتشتت ، و يتبعثر ، و يحشى " بالمدنبات " المختلفة الأشكال . إنه لمرهب عندما نرى العدد الذي لا يحصى من الأمراض النفسية ، من التربية المخفقة ، للجنسية المثلية ، الفشل ، كل هذا ناتج عن التسلط بكل أنواعه ... و المختص في علم النفس يعرف جيدا مدى نتائجها !

الهستيريا L' Histerie

قد نعرفنا على جانبات من قبل ، و هو مدير مخبر الأمراض النفسية ، و كانت حين ذاك الهستيريا " أميرة جدول أعماله اليومي " فما هو يا ترى سر هذا للمرض الغريب ؟...

الهستيريا مرض متأرجح و هذا على الأقل ما يبدو عليها غالبا . و هي ليست منتوج عصرنا ، المتهيج ! فقد وضعت علماء و أطباء طيلة قرون أمام كابوس و حالة عجز ... فإذا لم تحدث حالة صرع ، فإنها تسبب صداعا قويا . عندما يزول الصرع تظهر تقيؤات . بعد ذلك الشلل . أو يجد للشخص الهستيريا نفسه فجأة أعمى ، دون وجود أي سبب عضوي . و عندما يشفى العمى يظهر الصم . تنتج كذلك الهستيريا حالات الوسواس ، النوبات ، الأفكار الثابتة ، الام و غصص في بعض الأحيان لا يطاق .

و من هنا و نظرا للتعداد الهائل و المتغير لأعراض الهستيريا فإنها تفرق الأطباء في ذهولهم .

و بالطبع ، كل واحد أبدي برأيه الخاص . و غالبا ما يكون نهانيا ، كما يجب أن يكون . " إنها مصابة بالهستيريا " ... جواب سريع . نوبة عصبية ؟ و نلصق عليها البطاقة . امرأة متهيجة جنسيا؟ نفل نفس الشيء . بالطبع هذا سهل جدا و لكن بعيدا كل البعد عن الحقيقة .

يعتقد للكثير أنه مرض خاص بالجنس اللطيف . و هذا راجع كذلك لأسمه المعروف عليه منذ القدم [الهستيريا باللاتينية = الرحم] . لكن ، هنا كذلك ، نحن نوجد بعيدا عن المشكلة .

يجب أن نعلم بادئ ذي بدء :

أ - أن الهستيريا يمكن أن تصيب الرجال و النساء على حد سواء .

ب - لا يوجد هستيريا و لكن مجموعة الظواهر الهستيرية . هذه الظواهر يمكن أن تكون بسيطة و عابرة ، أو فطرية و دائمة .

ما هو المعنى المنطقي للهستيريا ؟

ليس لها سن ... فهي معروفة منذ غابر الزمان . و يعرفها القدماء أشد المعرفة . و لكن (و بسبب كبرياء الرجل أو لجهله) نسبها و بكل لطف و رقة إلى النساء . و بعد فترة طويلة (يجب وجود مجرم !) ظن أن ليسيافار (Lucifer) نفسه أنفجر على شكل نوبة هستيرية . و لم ينتظر المشعوذون طويلا لينهالوا على هذه النساء " الملعونات " اللاتي سقطن فريسة بين مخالبي الشيطان المرید ... حسنا ، حسنا ... و مضى وقت طويل بعدها ، و في القرن التاسع عشر ، يعكف أطباء مختصون في الأمراض العصبية على هذا المرض المعقد . متسلحين بالعلم . لم يقوموا بتفسيرات كبيرة في ذلك الوقت و لكن تغيرت المفاهيم .

الشيطان يدخل الكواليس ، و يخرج منها الأطباء ، و تبقى الهستيريا دائما على خشية المسرح ، تقوم بأداء أدوار متعددة من طرف شخصية واحدة ... و أدرك العلم شيئا فشيئا أن المصابين بالهستيريا ليسوا متصنعين و لا بهم للنعنة ، و لكن مرضى مثل جميع أنواع الأمراض الأخرى .

الطابع الفضولي للطب لا حدود له . فبقت تتعاقب امامه الظواهر الهستيرية ... ولكن اللغز مازال على حاله . ألم يكن يسميها لاساق (Lassegue): "مزبلة المهملات ، أين تصنف الأحداث التي يصعب تفسيرها ..."

و يدخل القرن العشرون ، و يدخل معه علم النفس المعمق . و زيادة على هذا اتضحت المفاهيم أكثر حول الطب النفس - جسدي . و أخذ كل شيء يتغير . و أنزلت الهستيريا إلى مكانتها الصحيحة .

و بين شاركو أن الظواهر الهستيريا يمكن الحصول عليها كما نريد ، و ذلك عن طريق التئويم المغناطيسي . و يمكن أن نقوم ببطلانها و بنفس الطريقة . حيث ، إذا قلنا تئويم مغناطيسي ، يعني إحياء قوي الشدة ، يقبل مباشرة من طرف المراكز العصبية اللاشعورية .

و لاحظ جانسات كذلك التشابه الخارق بين الظواهر التئويمية ، و الظواهر الهستيرية . و فكر بأن المصابين بالهستيريا وضعوا في دماغهم فكرة الشلل أو العمى . استقرت في مخهم إذن فكرة ثابتة عن طريق الإحياء الذاتي الذي لا مقاومة له . لكن من أين تأتي الفكرة للثابتة عند الهستيريا؟ ... من أين لمخ الهستيريا تلك القوة الشديدة التي تحدث الشلل ، الوسواس و البكم ؟ شيئا فشيئا أصبحنا نشاهد تلك القوة التي يكسبها الإحياء و الإحياء الذاتي عند الظواهر الهستيرية . و تعرف أكثر الميكانيزمات العصبية . و يبحث علم النفس على الأسس العميقة . و الآن أصبحت الظواهر الهستيرية تشفى كأي مرض آخر .

ما هي أهم الظواهر الهستيرية ؟

• النوبة - تفكك هيجاتي كلي دون عض اللسان . و لا يصحبها تبول (كما يحدث عند الصرع) ، تدفق كلامي غزير ، كثرة البكاء و الضحك . النواح بصوت مرتفع في بعض الأحيان . السب و التشم . يبقى الشعور نشطا ، و العقل في حالة استنفار قصوى . و إذا كان يجب السقوط ، فإن الهستيريا يختار جيدا مكان سقوطه ، و لا يصاب بأي أذى في جل الأحيان (و الذي يعطي الاعتقاد على أنه تمثيل ...)

* الشلل - و هو شائع عند الإصابات الهستيرية ، سواء يكون :

- شلل أحادي الأطراف : شلل طرف واحد من الجسم أحد اليدين أو أحد الأرجل

- شلل نصفي : شلل يصيب نصف الجسم

- الشلل الكلي : شلل يصيب الأطراف العلوية أو السفلية أو معا

* العمى و البكم : دون قاعدة عضوية (نتذكر جيدا المرأة التي عالجهما مسمر و التي أصيبت بالعمى منذ كان عمرها ثلاثة سنوات)

* التشنجات و التقلصات العضلية : و الذي يأخذ ظننا إلى : شبه التهاب سحائي ، شبه الزائدة الدودية ، و في بعض الأحيان شبه الحمل الخ ... يمكن أن يقطع الإحساس الشعوري ، و يقوم الهستيرى بحرق نفسه أو بقطع لحمه. إجراء عمليات جراحية دون ألم ؛ بمعنى نزع الحساسية (عن طريق الإيحاء) من بعض المناطق في الجسم . هنا كذلك توجد علاقة تشابهيه كبيرة . و هناك سؤال يطرح : لماذا هذا الألم الموجود فعلا (عن طريق الحرق أو التمزيق) لا يدرك عن طريق المخ الشعوري للشخص الهستيرى أو النائم مغناطيسيا ؟ يوجد إذن في كلا الحالتين تنويم للمخ الشعوري ، سواء بشكل تلقائي كما هو عند الهستيريا أو سبب فيه كما هو في التنويم المغناطيسي .

هنا يجب علينا أن نتذكر ما يلي : الفكرة الثابتة تحدث حالة نوم للمناطق المخية الغير معنية بالفكرة الثابتة . هذه المناطق من المخ المكبوحة هي إذن التي تقوم بالإلغاء الشعوري للألم ...

يمكن للشخص الهستيرى أن يفقد الذاكرة ، و يجد نفسه في مكان بعيد عن منزله. و نسقط هنا على حالتين غريبتين و التي تمتد إحداهما إلى الأخرى: السرمنة (المشي أثناء النوم) و ازدواجية الشخصية .

* - السرمنة (somnambulisme): هو أحد أهم الظواهر الهستيرية. ماذا يحدث في السرمنة ؟ يتعلق الأمر بأداء فعل ياتم معنى الكلمة ؛ لكن فعل لا شعوري . يستيقظ الشخص لسبب واحد : حلمه الداخلي . فهو يستقيم واقفا ، يمشي ، يشرب ، يأكل ، يؤدي أفعال مختلفة . يعيش فعلا حلمه ، و يتبع بشكل أعمى كل أوامره . و يجب ملاحظة أن السرمنة الحقيقية معدومة الشعور : إذن لا يشعر بالخوف أبدا ... بما يفسر أن المسرمن يمكن أن

يقوم بأفعال خطيرة مقارنة بالظروف الطبيعية . و عندما يعود إلى وعيه يحى كل شيء من ذاكرته .

و لكن يمكن للنشاطات اللاشعورية أن تستمر . و نصل إذن إلى ازدواجية الشخصية . في هذه الحالة يعيش الشخص بنوعين اثنين من " الأنا " و كل نوع يحيا حياته الخاصة ! الأول هو تحت تصرف الشعور الطبيعي ، تتحكم فيه مناطق القشرة المخية أما الثاني فهو يوجه من طرف " الأنا " اللاشعوري و الذي يوجد في المراكز العصبية اللاشعورية مع عاداته و غرائزه .

وجب علينا انتظار الدراسة النفسية لفنهم كل ذلك . يحدث كل شيء و كان المزوج الشخصية يملك مخين لا تربط بينهما أية علاقة ... و يمكن أن تستمر هذه الازدواجية عدة سنين ، يقوم خلالها الشخص بالعمل و خلق حياة عاطفية و مهنية يصعب على أي إنسان أن يكتشف حقيقته ، سوف نتحدث عن هذا .

يتميز الشخص الهستيرى بسهولة لإحائه . و يظهر جليا أن قشرته المخية لا تعمل بشكل سوي . لأنها لا تملك أية إرادة للتصدي للإحياء . و بهذا تعتبر الهستيرية عصابة " معد " جدا ! و يكفي أن نفكر في تلك الحشود المتموجة ، و الاستنارات الشبانية عند سماعهم لبعض فنانيين الطرب الموسيقي يتفاعلون معه كرجل واحد ، و هذا بسبب العامل الاتفعالي الذي يجرمهم كالمسيل العرمرم ... أقول أن الهستيرية الحقيقية مخلصنة ، إخلاص المرض . و يتفنن " شاركو " في وصف اشتداد النوبات، و الهديان الهستيرى حين يقول : تتميز، بالصراخ و اللعنات ، و السب و الشتيم، و مواقف الإعجاب الشديد(و البقع الجلدية الغريبة أحيانا)، و للتعبير ذو الإثارة الجنسية(الشبقية) الخ . الظواهر الهستيريا هي أعراض عدم التوازن العاطفي العميق جدا .

كيف تعالج الهستيريا ؟

يقف للطب حائرا أمامها ، و يضرب اليمين القاطع أن الهستيريا بقرها هذا من عرض لآخر تريد به إعجاز و إدخال اليأس للعلم لكي لا يقوم بعلاجها ... ماذا تفعل إذا كان الشخص الهستيرى مشلولاً دون شلل ، و أعمى دون عمى ، و أبكم دون بكم ؟ و إذا لوحظ أنها لا تركز على أية

قاعدة عضوية ، وأنها سوف تزول ربما بعد ثلاثة أيام لكي تترك مكانها لأعراض أخرى ؟ و أكرر أنه يمكن إحياء الشخص بسهولة كبيرة وهو تحت التتويم المغناطيسي . من جهة أخرى ، فإن الظواهر الهستيرية لا تمر بصمت :

الهستيري لا يخفي نفسه ، و لكن يفرض (شعوريا أم لا) كل هذه الأعراض على مجتمعه المحيط به (مما يقوي الاعتقاد على عمله التمثيلي البحت) .

إنه يوجد وراء ذلك معنى يجب الكشف عليه . هناك إذن مغزى يجب التوصل إلى الأسباب الرئيسية . و إذا أردنا القول بأن الهستيري يعتبر "متصنع ذونية سليمة " مرتكزا على اضطرابات عقلية و التي يجب دراستها و التمكن من شفائها .

و نظرا للعدد الكبير للظواهر و الأعراض ، فإن الكثير من المؤلفين قرروا شطب كلمة " الهستيريا " من القواميس ، و لا يعتبرونها إلا ظواهر "هستيرية " .

و من الأکید أنه إذا توفرت لكل تلك الظواهر نقاط مشتركة بينها ، يمكن أن تكون لكل واحدة منها أسس مختلفة تماما !حتى لو كانت الأعراض متشابهة ، هستيرية الشيوخة لا تمت بصلة أساسا ، مع العمى الهستيري الناتج عن الصدمات خلال الحروب ! بينما يمكن تطابق الأعراض...

ماذا نفعل إذا حدثت أمامنا نوبة هستيرية ؟

أقصد إذا وقعت نوبة هستيرية ، دون وجود الطبيب . أول نتيجة تحدثها النوبة هو هلع المحيط الاجتماعي المباشر للمريض . حيث ماذا يفعل الطبيب مباشرة بعد وصوله ؟ يخلف جو الفراغ حول المريض ، و الذي يستمر في التخطيط لمدة من الزمن ؛ و لكن ، في أغلب الأحيان ، تتوقف نوبة المريض أمام هدوء الطبيب . لماذا ؟ لأن هلع العائلة يقوي من حدة الإيحاء الذاتي للمريض .

وسائل أخرى : رش المريض بالماء ، صفعات على الوجه ، الضغط على مقلتي العينين ، و بديهى أن هذه الطرق ما هي إلا سطحية الغرض منها فقط هو إيقاف النوبة الهستيرية ! - الظواهر الهستيرية تعتبر

أعراضا . و ليست المرض نفسه . و هذه الأخيرة توجد في الأعماق البعيدة يجب الوصول إليها .

كيف ؟ البحث على المنشأ الأصلي و الدوافع المسببة ، و التي كثيرا ما تكون مخفية . البحث عن الصراعات العاطفية بوسائل علم النفس .

الظواهر التحويلية (Phénomène de Conversion)

التحويل هو ميكانيزم شائع جدا . فبعض النزاعات العاطفية تجد مخرجا لها من خلال الجسم . الصراعات النفسية " تتحول " إلى أمراض فيزيائية . و سوف أتحدث عن هذا .

نأخذ مثلا كلاسيكيا حول الغضب . التفريغ المباشر لشحنة الغضب تكون كما يلي : الشتم ، تدفق كلامي ، حركات عنيفة ، الضرب الخ .

ولكن يمكن لهذه الأفعال أن تتمثل عن طريق التحويل : التأتأة

(Bégaiement) في هذه الحالة يوجد تحويل عن طريق الحبال الصوتية .

يمكن أن يكون التحويل أكثر شدة و يستقر في الأعضاء المعيرة عن الغضب: يصبح الشخص أخرس أو مشلولا . (و هي الظواهر الهستيرية) و نعلم كلنا أن بعض أنواع التفرجات المعدية ما هي إلا عملية تحويل فيزيائي للصراعات العاطفية . فالتحويل إذن هو عبارة عن ظاهرة مذهشة غالبا ما تبرز ... و يمكن للطب النفس- جسدي أن يفسر ذلك بشكل جيد .

و يمكن للظواهر التحويلية أن تبرز بشكل متغير جدا . فاختفاء بعض الأعراض يترك المجال للبعض الآخر بالظهور ، كما هو الحال في الهستيرية . و لكن لا يجب التعميم كاعتبار كل الظواهر التحويلية هستيرية المنشأ ! بهذا المفهوم ، فإن كل شخص (مشلول) مصاب بقرحة معدية ذات منشأ نفساني هو ذو شخصية هستيرية ... و هذا من السخافة .

كل شيء يحدث خلال الإصابة الهستيرية ، وكان المرض النفسي يجب عليه أن يخرج عن طريق الجسد و بكل الوسائل . و هنا ندرك الخطر : الأعراض الجسدية الهستيرية هي عبارة عن إفراغ الشحنة اللازمة . نعرف أن للغضب المكبوت هو أكثر ضررا من الذي يصرف عن طريق العضلات أو اللسان . و إذا دفعنا هذا أكثر فإننا نلاحظ أن الشفاء البحث و البسيط " للتحويل " يشكل خطرا أكثر ... و كأننا قمنا بتوقيف عمل صمام

فرن في أوج غليانه . استحالة بعض الأشخاص ، تفريغ شحناتهم قانتهم مباشرة للانتحار .

فيجب البحث عند الشخص الهستيرى عن الدوافع المسببة ، و الدفع بالفحص العقلي إلى أقصى حد له . و هذا قبل فعل أي شيء . كل حالة هستيريا يجب علاجها بشكل مختلف . و لكن و بصفة عامة هنا يجب على هذا العلاج أن يضرب إلى الأعماق . و ذلك عن طريق الوسائل و التقنيات الطبية و النفسية المناسبة لهذا الغرض .

و لا ننسى إذن أن الهستيرى تشكل أنماط كثيرة من الحالات . و يجب الملاحظة أخيرا أن الشخص نو المزاج الهستيرى يمكن له أن يعيش طفلة حياته دون ظهور أعراض مفرطة . هذا المزاج يقلت إذن من الملاحظات لذوي عديم التجربة . فهو إذن شخص ذو عقلية هشة ، كثير الإيحاء . لا تظهر الحياة الهادئة و العديمة الانفعال لديه أية أعراض غير طبيعية .

هل كلنا ، قليل أم كثير .

الدكتور جاكيل و المستر هيد ؟

بمعنى آخر هل نملك شخصيات متعددة ؟ أحد هذه الشخصيات هل يمكن لها أن تأخذ مكان الأخرى ؟ هل نملك عدة أنواع من " الأنا " ؟ حالات ازدواج الشخصية المدهشة لا هي أو هام ، و لا ضرب من الخيال و لكن موضوعية طبية و علمية ؛ حيث تم استغلالها (غالبا بشكل سيئ) في الأدب و السينما .

فلنتذكر كيف أن الشعور عبارة عن خزان تتصهر ثم تخلط بداخله كل الأحداث الحياتية ، و منه يستخلص إحساس موحد عن طريق التركيب . و إذا أردنا ، يوجد بخزان الحياة تقاح ، أجاص ، و عنب و لكن العصير المستخرج بعد عملية العصر ، فهو ليس بعصير التقاح و لا بعصير الأجاص ، و لا بعصير العنب و لكن عصير جديد ، متجانس و ذو نوق ممتع .

هكذا يجب أن يكون الشعور عند الإنسان . منسجما و ممتعا .

و بالتعريف العلمي الجاف : الشعور هو التركيب الذي يقوم به الشخص في لحظة ما ، لنشاطاته الإدراكية ، الحركية و النفسية ، و التي تبطل

خصائصها الأساسية ، تتجاوزها و تدمجها في سلوك ذي بنية أصلية [سوتر Sutter] و نصل إذن إلى تصور جانات .

رأينا في ما فات ما يلي : حادثة لم تندمج في الكتلة الشعورية ، تصبح شبيهة بالمنذب الذي يعمل خارج تلك الكتلة. هذا الحدث، الغير مندمج ، يقوم بالتشويش على الشخص الخاضع لفقد وحدته .

هذه الحالة موجودة في كل العقد النفسية مثلا . هذه الأخيرة تشبه تلك المنذبات ؛ تفعل على حسابها الخاص ، دون أن يستطيع الشعور امتصاصه داخل كتلته . حيث أن الإنسان يرى عادة أعراض العقد النفسية و قلما يرى العقد في حد ذاتها . في هذه اللحظة ، يوجد به ، وبشكل صغير ، ازدواج للشخصية ، "أنا" الذاتي ، و "أنا" عقده . يوجد بداخله شيء يفعل رغما عنه .

ماذا يحصل إذن ، إذا كان هذا المنذب ، المعزول والقوي ، متفوق عليه؟ ماذا يحصل إذا أصبح هذا الجزء المتفوق هو الشعور الرئيسي ، مبطلا للشعور الأصلي؟ و لكن أسمعوا الفضل ...

حالة غريبة .

فجأة و دون أي علامات تحضيرية ، تغرق فتاة شابة في نوم عميق . إنه نوم غريب ، و أطول بكثير من النوم العادي... ثم تستيقظ هذه الفتاة . و نلاحظ بعدها أنها فقدت كل خصائص شخصيتها . زال كل ما تعرفه من قبل ، و أصبح دماغها فارغا تماما . إنها شخصية جديدة أتت للحياة ، عذراء و جاهلة . زيادة على ذلك فقد نسيت كامل شخصيتها السابقة و ما يتعلق بها .

و كان علينا أن نعيد تربيتها ؛ و تعليمها معرفة الأشياء ، الكتابة و القراءة ... و حفظت كل ذلك بسرعة . و عندما انتهى كل شيء ... نامت الفتاة مرة أخرى بهذا النوم الغريب و المتواصل . ثم استيقظت ... و لكن بشخصيتها الأولى و مع نسيان كامل الفترة الممتدة بين النومتين و دام ذلك أربع سنوات يتخللها نوم و شخصيات جديدة . و كل شخصية لا تمت بصلة إلى الشخصية السابقة ؛ و لا حتى ذاكرة ... و رغم هذا ففي كل شخصية يوجد الفعل ، الدراسة ، القراءة ، العمل و التفكير ! فلنفرض لحظة أنها قامت بفعل يعاقب عليه القانون ثم غاصت في نومها و استيقظت

بشخصية جديدة... كيف تكون مسئوليتها؟ ماذا تفعل عدالة الإنسان؟ كيف يمكن أن نستجوبها بما أن "أناها" الجديد لا يتذكر شيئا من "الأنا" السابق؟

عندما تتصدع الشخصية

تصل فتاة صغيرة إلى سن الثامنة عشرة، وهي مصابة بفترات غيبوبة تتبع بالصمم والعمى. ثم تأتي عليها نوبة من النوم، تستيقظ الفتاة بعدها فاقدة تماما لذاكرتها. هنا تختفي كذلك شخصيتها الأولى... وكان علينا أيضا تحفيظها الكتابة والقراءة ولاحظنا أن شخصيتها الثانية مخالفة تماما للأولى... بقدر ما كانت شخصيتها رقم (1) حزينة وكئيبة، فإن الشخصية رقم (2) مرحة، مبتهجة، لا تتبالي بشيء. وفي هذه الحالة الثانية لا يستطيع أي أحد أو أي شيء أن يمنعها من فعل ما تريده. ثم نامت من جديد واستيقظت بشخصية رقم (1) بمعارفها الأصلية، ناسية تماما شخصيتها رقم (2).

و عاودت الكرة، واستيقظت بشخصية رقم (2)، والتي مازالت تتذكرها ولكن ناسية من جديد الشخصية رقم (1) ووصت إلى الست و ثلاثين من العمر، وبقت على حالتها الثانية حتى وافتها المنية...

هذه الحالات نادرة جدا، وتسقط الإنسان في كامل ذهوله. ها هي إذن هذه الشخصية الإنسانية المتميزة، هذه الكتلة التي نعتقد بصلابتها فما هي تتكسر؟ وكل جزء منها يمكن له الفعل، جاهلا ما يفعله الجزء الآخر؟ هذه الحالات المتطرفة هي، هنا كذلك تعتبر متجاوزة الحالات العادية والشائعة. فمن الأكيد أن معظم الناس يمتلكون خارج كتلتهم الشعورية، "منذبات" غير مندمجة، والتي تظهر حسب الظروف. ويمكن للتويم المغناطيسي، التحليل النفسي، التحليل تحت التخدير أن تسمح باقتفاء أثرها. وسوف نرى ذلك في دراستنا للاشعور.

* - مثال شائع: خجول يعيش في عزله بشكل منسجم على حساب كتلته الشعورية الرئيسية. يقوم بإدماج كل الظروف داخل خزانه العام. لكن ها هو بين للجمهور؛ في هذه اللحظة يضغط الانفعال على "الزر الفاتح"، و يضعه مباشرة باتصال مع "المنذبات" (الخوف، الاستضعاف، العقد

النفسية الخ) ماذا حدث؟ " المذنبات " العقلية تعمل على حسابها الخاص ،
و تقبل بدخول الظروف المتعلقة بها . هو إذن ازدواج الشخصية مصغر .
* - مثال آخر : إنسان يعيش تحت وطأة الوسواس المتعلق بالخوف من
الجراثيم ، يأتيه خاصة قبل النوم . نجده طول النهار يعيش على حساب
كتلته الشعورية الرئيسية ، و كل شيء يبدو على ما يرام . حتى مجيء
الليل ها هي تلك " المذنبات " تجبره على تنظيف يديه عشرات المرات .
يوجد إذن بداخله شيء شديد القوة يفرض عليه القيام بذلك الفعل .

إن أعيد أنه ، إذا كان الجزء المنفصل عن " الأنا " قويا ، يمكن له بذلك
أن يبني الشخصية الأصلية (مثل في ازدواج الشخصية) ؛ أو يضعفها
(الارتياب ، العقد ، الوسواس ، الفكرة الثابتة ...)

و بما أن الكتلة الرئيسية للشعور تتحكم في الحواس ، فإن الأجزاء
المنفصلة عنها تفعل نفس الشيء ! و يصاب المريض بهلوسة سمعية
بصرية . إنه يسمع فعلا أصواتا ، و يرى حقيقة أشياء . و يعتقد أن هذه
الأصوات و الصور تأتيه من الخارج ، بينما هي منتوج الأجزاء المنفصلة
عن كتلة الشعور : فهي إذن تأتيه من الداخل . و يمكن لهذا الميكانيزم
كذلك أن يسمع المريض لأصوات آتية من الغيب ، الخ. إن الحذر الشديد
الذي أبدته الكنيسة الكاثوليكية له مبرراته عن طريق الحقائق العلمية
(يكفي أن نتذكر الطفح الجلدي و العلامات المؤثرة التي تحدثها
الهستيريا)

يتشكل الشعور إذن من مجموعة التفاعلات المختلطة في حس واحد . كل
فردا إنساني مكون من عدة شخصيات ؛ حتى و لو كانت الشخصية
الشعورية و الشخصية اللاشعورية . فالمثالية تبقى إذن في توحيد كل من
هاتين الشخصيتين . فاليسر و التناسق الداخلي مرتبط بهما . و يفرض
إن أكثر صرامة في التربية ! ينتج عن التأثيرات الضارة لبعض الأجواء
الأسرية ، و بعض التربية السيئة ، نقائص معينة : و خارج الكتلة
الشعورية، تبدأ الأجزاء المنفصلة في العيش والاستقلالية . بالطبع ليس
لديهم الكفاية من القوة لكي يصبحوا " أنا " و لكن ، يأتي لمساعدتهم كلا
من الاضطرابات العاطفية ، الأنواع المختلفة للكبح ، الكبت ، الخوف . و

تقوم بتغذيتهم . تكبيرهم . و تعظيمهم . و تصبح هذه الأجزاء مذنبات داخلية بأنم معنى الكلمة ... مثلا في حالة العقد الكبرى .
و الإنسان الذي كان عليه أن يكون موحدا ، و منسجما ، يصبح فردا ذا شخصيات متناقضة . و يفجره هذا العدد الكبير من " الأنا" و يوصل به في أغلب الأحيان إلى مرض العصاب المؤلم ...

الاشتراك الحر Libre Association

نتسلل الآن نحو التحليل النفسي . لكن مباشرة قبل دراستنا لهذا الجزء الكبير ، هاهي وسيلة ممتازة تستعمل في التحليل النفسي تعرف باسم "الاشتراك الحر" يقول المختص في علم النفس كلمة ، و على المريض أن يجيبه إما بكلمة أخرى ، أو فكرة أو إحساس ، بإيحاء من تلك الكلمة .

مثال : عالم النفس يقول : ثلج

المريض يجيب : أبيض - أو ناصع - أو شتاء - أو نقاء - أو فتاة شابة - الخ فالاشتراك الفكري بين الثلج، البياض - النصاعة، الشتاء هو أساسي .

بين الثلج و : النقاء توجد استعارة

بين الثلج و : الشابة يوجد رمز

يذكرنا الثلج بالطهارة، و الطهارة تذكرنا بالنقاوة ، و النقاوة بالفتاة الشابة .

فالثلج إذن هو رمز الفتاة الصغيرة

الرمز ، و سوف نتعرف عليه ، يلعب دورا رئيسيا في حياة الإنسان . فهو تشبيه مميز مشحون بكل المعاني العاطفية و الانفعالية .

مثال : القطار هو رمز للهروب ؛ النهر يمكن أن يكون رمزا للقوة و

الهدوء ؛ قمة جبل رمزا للكبرياء الخ .

ما هي شروط الاشتراك الحر؟

بما أنها تسمح التحليل العاطفي، يجب عليها أن تتمكن من الظهور. إذن ،

يجب على الإدراك المنطقي أن لا يتدخل بقدر المستطاع . ضرورة إحداث

ارتخاء لتثليل قوة المنطق كما يحدث في النوم النصفى. يجيب المريض

تلقائيا بكل ما يخطر على باله . لا يجب أبدا و مهما كانت أنواع الإجابة ،

أن نسخر من سخافتها . لأن المنطق هو الذي يقرر إن كان هذا الشيء

سخيفا أم لا . و لكي نفهمه جيدا ، فلنفكر في أحلامنا الليلية . لا يبدو عليها

أية سخافة في اللحظة التي نعيشها وسط الحلم ؛ ولكن المنطق هو الذي يقرر أمر سخافتها حين نستيقظ من الحلم .
 هاهي إذن الأجوبة لخمسة أشخاص تجاه نفس الكلمة . وقد قاموا بالإجابة كل على حدة طبعا (أنظر ص -157-158)

إعطاء كلمة	أ	ب	ت	ث	ج
	رجل 36 سنة متزوج نكي جدا متوازن كتعب	رجل 50 سنة عدواني مدير شركة	رجل 40 سنة عازب يعيش دائما مع أم متسلطة	امرأة 22 سنة عازبة هجولة تفعل عادي مدرسة	رجل 50 سنة بدني جدا
1 شجرة	رجولة؛ أفكر في رجل عار و بصحة جيدة	ثاقور	القوة	أشقر	أخضر
2 نبت الصبار	الاحتصاب	أنا!	الجنس	خبث	يشك
3 الغلبة	خلود الإيمان	العدو	أرى نساء؛ أحس بالوقوع في الفخ	أفكر بالرب بان PAN	أشجار
4 عمود حديدي	فضيع رأيت يوما رجلا يعاقب بالخوزق	خنجر	-	قوة	نوم (!)
5 زهرة	فتاة شابة	—	فتاة شابة	ملاصقات رقيقة (تردد)... لطف	عطر
6 حوض	امومة: أفكر في الشمر "أنا موجود فوك كالماء الهادي" ! ...	ماء	—	هنوء ، مماء	ماء
7 الوحل	حياة الإيمان ...في بعض الوقت	أشعر أنني أرفعها ثم ألوحها في الفضاء	أفكر مخبأة	—	تبيل
8 حارس	أرى حارس يضحك	البقشيش	أم	شجرة	كبيرة بجعة عسكرية

9	تويج	أفكر في مستنقع، العذر	أرى كناها يترك مكانا نظيفا	زهرة	ملاصت رقيقة	هار
10	فيضان	قوة	فعل	البول	يجرف، هدوء موت	يسيل
11	زهريّة	أمومة، امرأة	مطرقة	عطر	يملن، يستقبل	الماء
12	صعود	أمل، ضياء	التفوق	الإتقان	شمس	إلى أعلى
13	هبوط	أفكر في بيت الطفولة في أسفل الطريق	لم أظنه أبدا!	يشبهني!...	انزلق إلى الأبد	في الأسفل
14	الأب	شجرة	قسوة، لا عدل	لو كان لي ...	خوف	أم
15	الحب	إبتقان للنفس، عطاء	هذا غير موجود	أم	انتظار	ود
16	باب	—	ضربة كتف	امراة، لغز	—	—
17	امراة	أفكر بمثل مقلوب عند السيفلة خطر! <hr/> (1) موريس كاران	الاكتشاف	أم	ضعف	رجل

نفحص بسرعة الإجابات الأكثر أهمية فقط . بغض النظر عن الشخص (ج) الذي كانت إجابته بدائية جدا ! ما عدا إجابة واحدة لا إرادية و يقصد بها الفكاكة؛ على العمود، يجيب: النوم (يفسر العمود بالسرير !)

1- شجرة :

أ - يفكر في الرجولة ، والقوة السليمة ، هذا هو رمز الشجرة بالنسبة له
ب - الشجرة (يشرحها بعد فترة) تمثل القوة الهائلة ، و التي يجب إسقاطها . و لا ننسى (ب) هو عدواني ، يجيب إذن شاقور .
ث) أجابت : أشقر ... رد يمكن أن نعتبره سخيفا ، لكنها تعلن في ما بعد أن الشجرة تفكرها بالقوة ، و مثالها في الجنس الذكري هو رجل قوي و أشقر اللون . فهي تجيب إذن أشقر .
و بالنسبة للأغلبية فإن الشجرة تمثل إذن رمز القوة و الرجولة . ويمكن أيضا عن طريق العلاقات المتعدية أن يرمز إلى الجنس بصفة عامة ، كما يحدث في أغلب الأحيان ؛ أو رمز الأب (القوة) أو للعدو(كما عند (ب) الخ .

2- نبت الصبار Cactus

أ- الشكل الخارجي للصبار يفكر بجهاز التناسل الذكري لكن ابره الواخزة يعطي له الطابع العدوانى . فهو قد أشرك إذن بين الجنس و العدوانية أو الاغتصاب .
ب - بما أنه ذو طابع عدواني ، فإنه يتقمص الصبار
ت - رمز جنسى كما هو الحال عند (أ)
ث- اشتراك مبسط

3- الغابة :

ت - إجابته تظهر كبتة . فهو يتقرب النساء دون أن يجراً على الاقتراب منهن .

6- الحوض Vasque

أ - اشتراك شعري جميل بين الغابة و حوض الترقوة للام
ث - يذكرها بحديقة هادئة ، و بداخلها يوجد حوض ماني .
8 - الحمرس : سوف نتعرف في التحليل النفسى أنه يوجد في الحياة البشرية ميكانيزم ظخم للرقابة . و يتمثل في التحريم ، عن طريق التربية ،

لكل ما هو غير لائق. وتلعب دورها خاصة في مجال الجنس ، لأن هذا الأخير يعتبر المجال الوحيد الذي تقع فيه معظم التحريمات! فالرقابة الناشئة من المنطق تعكس عادة العاطفية للغريزة و الانفعالات القاعدية .
 مثال : الإحساس ذو الطابع الجنسي الذي يمكن أن يربط أخ تجاه أخته ، و هو إحساس عاطفي ، يقوم كل من الأخلاق ، الدين ، و الطب بتحريمه و مراقبته . هذه الرقابة يمكن أن نرمز لها بعدة شخصيات مختلفة تمثل عادة سلطة : الأب ، الأم ، الأخ الكبير ، الأخت الكبيرة ، للدرك ، الحارس الخ ...
 ت - يجيب الأم. و هو شيء بديهي لأنه ربه أم مستبدة مالكة لكل الموانع.
 فهو إذن أشرك بين الأم و الحارس.
 ث - أجابت شجرة فهي أشركت الشجرة = قوة الحارس

9- تعويج Pétales

أ - تذكر بالعزيرة الهشة و النقية مثل التويجة ، و يمثل المستنقع نفس هذا النقاء
 ب - يقول انه فكر في اغنية الأوراق الميتة . و يعلن بعدها أشركت "الأوراق الميتة" مع "الذكريات" و أنا أمقت الذكريات . كل ذكريا حياتي يملأها الخجل و أصبحت على إثر ذلك ذا عدوانية فظيعة . أريد أن أتخلص من كل هذا ، و لا أفكر فيه إلى الأبد !

10- الفيضان

أ - يجيب : القوة (و هذا شيء طبيعي)
 ب - يجيب : الفعل (بمعنى فعل عدواني الذي يحرف في طريقه كل شيء)
 ت - يجيب : الهول ! إذن إنها سخافة حين نراها للوهلة الأولى. و يعلن بعدها: عندما قلت فيضانا رأيت هابطا من خلال تشقق ضخم وسط الجبل. ثم ، و في لمحة بصر ، الجبل أصبح امرأة ضخمة و عظيمة واقفة عارية تبول (من التشقق) . حيث دائما أحلم في المنام أن الناس تبول علي ربما لأنني أشعر بالضعف و اللجبن و الهوان ...
 12 - الصعور رمز قوي جدا نجده عند أغلب البشر

أ - أمل و ضياء
 ب - التثوق (له نفس المعنى الإيجابي كما هو الحال عند (أ) و لكن بشكل عدواني)

ت - إتقان معنى إيجابي كذلك مثل (أ) و (ب)

ث - شمس (نفس للشيء)

و سوف أتكلم في ما بعد عن كل هذه الرموز الجميلة .

الهبوط : يمثل معنى سلبيا عكس الصعود

أ - منزل طفولته . بالنسبة له يعتبر هبوط إنه يرجعه إلى طفولته .

ب - نفس المعنى ؟ هو يرفض الهبوط (يعني التفهقر إلى الوراء ،
الانحطاط)

ت - يجيب : " متلي أنا " الهبوط بالنسبة له هو الانحطاط (نتذكر المقولة
المنشأمة " إنه يهبط نحو المنحدر "

14 - الأب :

أ - يجيب : شجرة بمعنى قوة و رجولة

ب - قسوة و لا عدل . والذي يبرز الطريقة التي ربي عليها .

ت - هنا كذلك التعلق بأمه . إنه يخاف النساء أنظر 3 - 8 - 10 - 17
يشعر بالنقص الفضيع ، و الإهانة . فهو يعتبر فريسة سهلة للجنسية المثلية
... و الفشل على كل حال .

إذا تحققت الشروط كما ينبغي يصبح الإشتراك الحر ذا أهمية كبيرة . فهو
يسمح ليس فقط في العمل التحليلي و لكن كذلك في الكشف عن
الميكانيزمات المسببة للقلق و الوسواس .

مثال : " لبيديا " شابة في السادسة و العشرين من عمرها بالنسبة لكلمة
المقعد الخشبي تجيب(و بعد تردد لمدة ثلاثين ثانية : للجلوس ... ثم بدأت
ترتعث . بعدها فتحت عينيها و استقامت فجأة : " ... مقعد يفكرني في الدم
و لكن قطعت عنها الجواب ... كان عمري ستة عشرة سنة عندما جلست
رفقة قريب لي في الغابة . كان الجو مظلماً . و اغتم قريبي هذا الظلام ...
و شعرت بالتمزز حينها . و منذ ذلك الحين لم أجلس قط فوق مقعد خشبي
عمومي ... و أبذل قصارى جهدي بأن لا أراه أمامي . فعندما أشاهده أرى
الدم ... و هذا يعطيني إحساس بالتنقيز "

التحليل النفسي

سيغموند فرويد Sigmund Freud

مكتشف اللاشعور (1856 - 1939)

كانت و كأنها قنبلة انفجرت على العالم. وأوقعت به الدهشة و الذهول، و الغضب . و حتى السخرية في النفوس البشرية ! فلنتذكر إذن ! نتوغل داخل ، ما يشبه ، اللاواقعية العقلية ، في عالم مشوه ، غير مفهوم و مضحك . لا شيء أصبح يتناسب مع الواقع ؛ و ملك الخوف قلوب الناس " لأنهم " ، ذلك " الأنا " الممجد من قبلهم ، المعظم ، و المنطقي ما يكون إلا " هو" ، و ليس إلا " هو " ؟ ... كيف ! لهذا الرجل أن يسمح لنفسه بتوجيه صفعات لهذا العالم كله؟ ألم يتجرا بالقول أن أعماق الإنسان عبارة عن محيط شاسع و مجهول ، يحتوي على كهوف جد عميقة ؟ و أن الجزء المنطقي و الشعوري بالنسبة لذلك المحيط الداخلي لا يساوي شيئا ؟

و ذهب الإنسان يتحسس نفسه بسخرية باحثة عن ذلك اللاشعور الذي يجهل حتى وجوده . لا ، فالسخرية حاضرة دائما و لا تغيب . و إضافة إلى هذا ، فإن فرويد أراد أن يعطي للحلم تفسيراً صارماً ! و قال أن الحلم ليس بالفوضى السخيفة ، و لكن هو حقيقة منطقية !...

ألم يزعم أن الصراعات الداخلية لدى الطفل ، صدماته الانفعالية ، تواصل وجودها و بصمت عند الكبر ، مثل المذنبات التي تحدثنا عنها ؟ و أن تأثيراتها يمكنها البروز عند أدنى فرصة تتاح لها ؟ هذا الرجل الذي اعتقد في نفسه أنه قاهر، مسيطر، مقيد ، أصبح فريسة سهلة المنال للاشعوره ! و يتحكم في معظم أفعاله !...

و كذلك (و هذا الشيء المقحم !) فإن فرويد يرى الجنس في كل مكان ... و قام بفتح أبواب مجالات ممنوعة ، محظورة و مراقبة ، حتى إذا أريد التحدث فيها ، و جب للكلام بصوت خافت و وراء ستائر جد ثخينة. و ها هو هذا " الشيء " الأخلاقي ، يريد أن يفعل به حقائق علمية .

كان إذن من المؤكد أن نصرخ بأعلى صوت . لأنه و جب على الإنسان هجر أفكاره العائلية . و كان عليه أن يغامر في بحر ملوث و هنج . و

طعن الإنسان بذلك في كبريائه كما طعن من قبل حين اكتشف أن الأرض ليست مركز العالم ... و اتخذوا من السخرية دفاعا لهم .

و لكن واصل فرويد بعظمته ولا مبالاته . و من ذلك الحين فقد غزا التحليل النفسي كل شيء : علم النفس ، التربية ، الأدب ، المسرح ، المستشفيات ، المدارس ، الفن ... وواصلت عملها بدون هوادة و في كل الاتجاهات مستقيمة أم لا . ألم يكن حلم الإنسان التوغل إلى العقل حتى آخر رواق يحتويه ؟

مصطلحات المستعملة في التحليل النفسي

التحليل النفسي عند فرويد هو قبل كل شيء ، طريقة متميزة للتحليل و المعالجة النفسية ، و التي أخذت مكانتها في العلاج النفسي . هاهي المترادفات (البربرية) لكن منطقية و التي سوف نصادفها بكثرة في التحليل النفسي.

Inconscient	- اللاشعور
le ça (Sub-conscient)	- ال " هو " أو الشعور - التحتي
Pulsion	- النزوات
le Moi	- الأنا
la censure	- الرقابة
le sur-moi	- الأنا الأعلى
les complexes	- العقد النفسية
les réves	- الأحلام
abréaction	- التفتيس

نبدا بتشكيل مخطط بياني يوضح تصورا للتحليل النفسي .
أولا ، نشاهد شخصا يجذف فوق قاربه على سطح بحيرة صغيرة . فالمقارنة مع إنسان له الشعور ، بمعنى يقوم بالتركيب لمختلف حواسه . و لنفرض الآن أن هذا الجذاف لم يغطس في الماء طيلة حياته . و لم تكن له الفرصة لمعرفة ، أن هذه البحيرة تحتوي على أعماق أو قعر ؛ فهو يعتقد إذن أنه لا يوجد شيء في البحيرة ما عدا السطح ، و نفس الشيء عند إنسان آخر يجهل كلية وجود أشياء أخرى ما عدا حياته الشعورية .

متى يفتتح أن لهذه البحيرة قعرا ؟ عندما يرى فقاعات الهواء تتفجر على السطح . أو هناك أحسن من ذلك ، عندما تتفجر فقاعة هواء ضخمة مباشرة تحت قارية ، الشيء الذي يجعله يتأرجح ...
و عند هذه اللحظة بالذات يتيقن هذا الجذاف بوجود جزء غير مرئي يمكن له أن يحدث بعض التأثيرات ، و لا يكشف عليه إلا عن طريق الغطس داخل الماء . هذه المنطقة الغير مرئية تدعى :

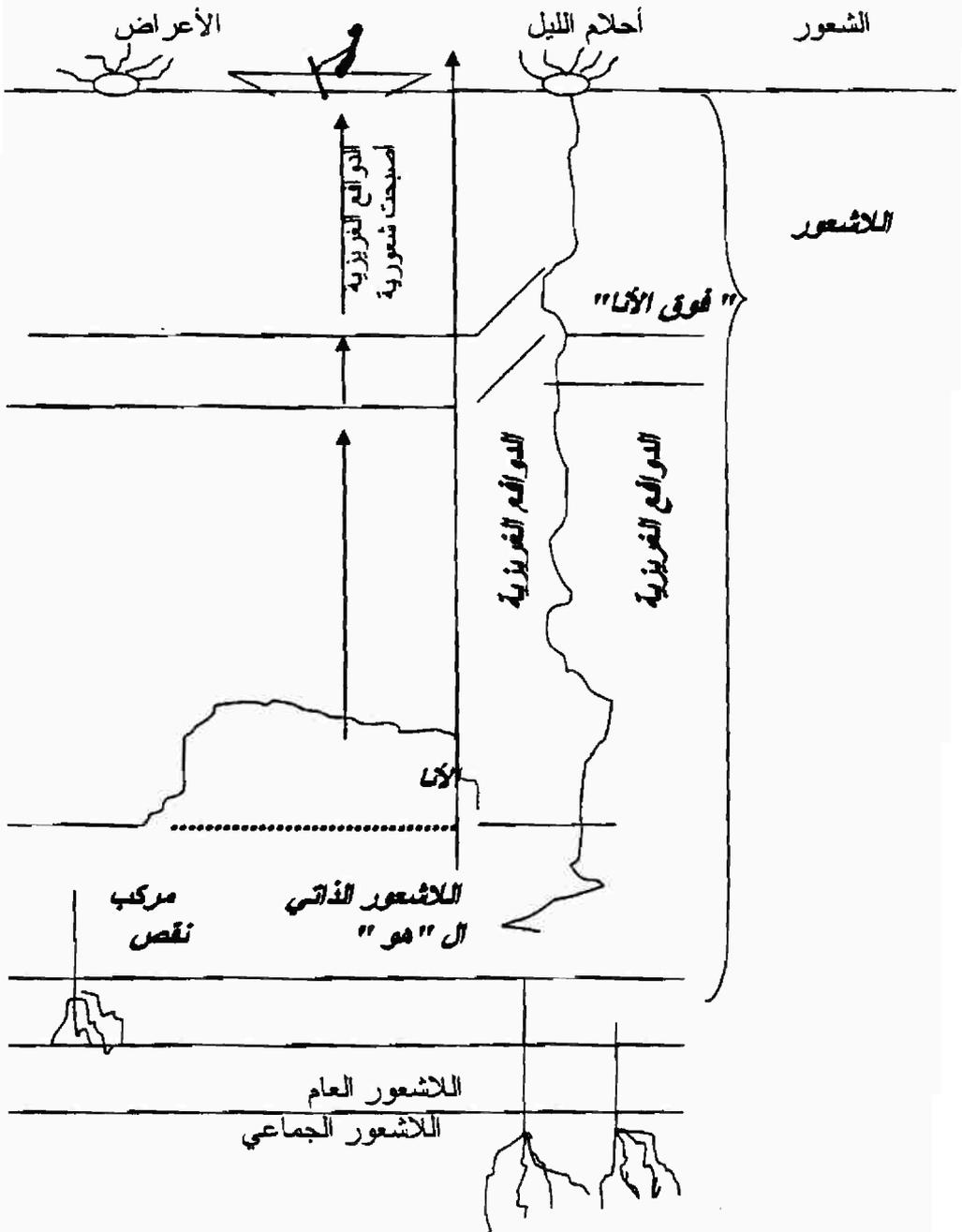
الاشعور :

الفرد الاشعوري (هنا الاشعور هو صفة) هو الذي لا يعرف الأحداث النفسية و الفيزيولوجية . هذه الحالة هي مؤقتة عن الإنسان الطبيعي ؛ معظم الوقائع الاشعورية تستطيع أن تصبح شعورية حسب الحاجة إليها .
مثال : أنني لا أشعر بنبضات قلبي ؛ لكن يكفي أن أوجه انتباهي إليها لكي أشعر بها .

- أنا أقوم بالكتابة ، أشعر بهذا الفعل . لا أفكر إذن في صديقي جاك . بينما ذكريات صديقي موجودة في ذاكرتي . و فجأة أرفع عيناى نحو الساعة ، و أتذكر الموعد الذي يربطني بصديقي . في هذه اللحظة سعد جاك إلى حقل شعوري . كل هذا هو طبعا وادئح و بسيط .

الفكرات

الذكريات هي جزء من المناطق الاشعورية للفرد ، إنها موجودة بأعداد هائلة ؛ بعضها مشحون بالانفعالات الممتعة و البعض الآخر بانفعالات مزعجة . و سوف نرى أهميتها الكبرى في التحليل النفسي .
الكثير من الذكريات تبقى مخزونة (منسية) و لمدة طويلة جدا ؛ في بعض الأحيان طيلة حياة الفرد . و رغم ذلك فإنها تكتب في الذاكرة . يمكن التصور المباشر إنها باستطاعتها إحداث تأثيرات دون علم الفرد! يمكن كذلك لبعض الذكريات المنسية أن تصعد فجأة إلى طبقة الشعور في حالات (التويم المغناطيسي، الحلم الليلي، صدمة انفعالية، ضخ دماغي على إثر صدمة ، التحليل عن طريق التخدير و التخدير الجراحي الخ الخ)



العادات

تعتبر هي أيضا جزء من اللاشعور ... بمعنى آخر فالعادات هي عبارة عن " عراة " طبيعية ، يمكن لها أن تصبح شعورية في لحظة وقوعها . تشمل العادات على مجمل الأفعال الحركية ، و كثير من الآراء ، شعارات داخلية أحكام محفوظة. و تتكفل بها خاصة الجرائد ، الإذاعات ، الإعلانات الإشهارية ! فإذا كانت تأثير العادات هو غالبا شعوري ، فإنه ليس نفس الشيء بالنسبة للأسباب الخفية التي تحدثها . توفر العادات فوائد رئيسية في علم النفس : بعض " العراة " توحى على حالة عاطفية مضطربة .

و أمر بسرعة على العراة للشائعة الانتشار : تقطيب الحاجبين ، جحوظ العينين ، النخير، ثني الأنف ، لحس الشفاه ، المضغ ، الدقل ، السعال ، نحضة الحلق ، رفع الكتف ، دفع الرأس خارج العنق الخ. كل هذه العراة تؤدي بصفة مباشرة ، و بلمحة البصر ، و هي عراة بسيطة . يوجد عراة تضرب بجنورها إلى الأعماق و أكثر تعقيدا :

إعادة تعديل ربطة العنق ، مص الإبهام ، قضم الأظافر ، اللعب بالأنف تعتبر العرة في أغلب الأحيان أحد أعراض الانفعال الأنبي . الكثير من الناس لديهم عراة " عادية " . فظهور و شدة العرة مرتبب بالحالة الانفعالية ؛ نشاهد حدوث العرة عند " النرفزة " في اللحظات المتوترة ؛ و تخفى عند الارتخاء و اليسر .

توجد كذلك عدة عراة كلامية (جملة مهياة ، جناس لفظي يكرر عشرات المرات في اليوم . الخ) و تختفي كذلك مع الارتخاء . و هناك كذلك عراة مرضية بلتم معنى الكلمة . و تعبر عن مواقف عاطفية أو نفسية . و عند دراستها يكتشف غالبا صراعات عاطفية لا شعورية . بعض العوامل العصبية يمكن أن تكون سببا كذلك .

فلنرجع للشكل في ص 156

نشاهد إلى الأسفل اللاشعور الفيزيولوجي و النفسي . هذا اللاشعور يأخذ نشأته من عدة عوامل . فهو شبيه بقعر البحيرة الذي يحتوي على زهريات ، أو حال ، ذهب ، لؤلؤ ، تربة . و الذي ، يضرب بجنوره نحو أعماق أكثر شساعة : كل الأرض ، و هو جزء منها .

إن لا شعورنا متشكل هكذا : فكما أنه يتركب من الأحداث النفسية فهو يتركب كذلك من إفرازات غددنا الصماء ، و عمل كل أعضائنا الجسمية . كما أنه متشكل من الوراثة و كذلك من التركيبات المختلفة للدم . يأخذ نشأته من كل شيء ؛ الوطن الذي ينتمي إليه يكونه فطريا و منذ الولادة ، الأجواء الدينية ، الاجتماعية ، الجغرافية تقوم بتنسيقه كذلك . الصحة العامة للفرد تقرر كيفية إعطائه الشكل و الامتداد ... هذا اللاشعور يجمع كذلك بين الميول المشتركة لأفراد مجموعة اجتماعية واحدة ... لا شعور فرد صيني يختلف ، منذ الولادة ، على اللاشعور الفرد الفرنسي مثلا . و نرى إذن أن هذا اللاشعور الضخم هو صعب الاكتشاف ؛ و يجب تحليل أدنى الألياف العصبية ، لمعرفة الآثار العميقة التي تتركها عشرات الملايير من التجارب الإنسانية التي سبقتها (1)...

بالنسبة لفرد و يد فإن ذلك اللاشعور لا يصعد دائما إلى سطح الشعور . يجب إذن وجود لا شعور " و سيط " يمكن أن يصبح شعورا بالمناسبات الا وهو :

ال " هو " sub-conscient

هذا المصطلح الذي يبدو عليه البربرية ، و لكنه هو المنطق الدقيق بعينه . كلنا يقول العبارة التالية: " هذا أقوى مني ، لم أستطع منع حدوثه ، هو أقوى مني يفسر إذن ؛ " يوجد في نفسي شيء يدفعني أن أؤدي ذلك الفعل دون وجود أي رغبة شعورية في فعله " .

و أعود إلى ذلك المثال البسيط للشخص الذي ينهض عشرات المرات في الليل ليتفقد حنفية الغاز . فليست له رغبة شعورية ليفعل ذلك . و لكن دافع لا شعوري يجبره على ذلك . و لهذا هو يقول : " هو " أقوى مني أنا " .

(1) هذا اللاشعور الضخم يقع " في أسفل "؛ هو لاشعور سفلي بدني، حيواني، يخطس بجنوره وسط التجارب الإنسية المختلفة الأشكال . و تعقب عنده السلطة الروحية الغيبية . و لكن عند دراستنا لاجتق يمكن أن نطرح سؤال " أليس هو كذلك لا شعور سامي ؟ وسطه يخطس الإنسان مثل جهاز الراديو وسط الموجات الإذاعية؟ و يفعل (كاللاشعور الأسفل) عند الإنسان ؟ ألا يضع هذا اللاشعور السلمي الإنسان في اتصال مع العالم الغيبي، يمكن أن يلتقطه بشكل شعوري عندما تتوفر الشروط ؟ و نلاحظ أن هذه التصورات كانت دائما و لهذا أساسا قاعديا للعلوم النفسية في العالم الشرقي ، و يكمل بشكل بدعي التطويل النفسي لفرد و يد .

ال " هو " يطلق عليه كذلك الاسم - *الشعور التحتي* - و يقصد به الميول الموجه لبعض من أفعالنا .

ويربط بين اللاشعور ، و الهو علاقة وطيدة . و هذا طبيعي لأنهما يسلكان كلاهما الخزان المظلم للغرائز ، و العادات و الذكريات الخ .

و تمتد جذور " الهو " (الشعور التحتي) نحو اللاشعور العام . تتبادل الأفعال بشكل ضخم . " الهو " إذن عبارة عن مجموعة الوقائع النفسية التي تقلت بشكل مؤقت ، من شعورنا . و لكي يصعد إلى السطح و جب توفر بعض الحالات الخاصة (مثل : الحلم الليلي ، التويم المغناطيسي ، التحليل النفسي الخ) و يوجد وسط ال " هو " العنيد من الذكريات و الاحساسات " المنسية " . حيث أن الكثير منها تحتفظ بكامل شحناتها الانفعالية . فهي تشبه " المغناطيس " النفسي الذي يترسب في أعماقنا الذاتية ؛ و يجذب نحوه كل الظروف التي تتناسب معه ، كيف يكون البحث على " مذنبات " الشعور - التحتية العالقة ؟ عندما تصعد الأعراض إلى السطح .

مثال : شخص مصاب بالقلق . هذا الأخير ليس المرض نفسه ، و لكن يعتبر من أعراض المرض الموجود في " الهو " (= الشعور التحتي) و سوف نراه بعيدا .

الخلاصة

أ - الجذاف الموجود على سطح البحيرة يمثل شخصا شعوريا .
ب - قعر البحيرة غير المرئي يمثل " الهو " [الشعور التحتي]
ج - من الحين إلى الآخر يحرر هذا القعر فقاعات هوائية (أعراض) تأتي لتنفجر على السطح و التي تقوم بالتحذير أن " شيئا ما " يحدث في القعر . أما إذا كانت تلك الفقاعات شديدة المفعول ، فهناك خطر فقد التوازن للمركبة . و هذا هو إذن العصاب الذي سوف أتحدث عنه .
يعمل كل من اللاشعور و " الهو " بوساطة بعض المراكز العصبية ، و التي سوف أتحدث عليها كذلك . سوف نرى أنه يمكن للاشعور أن يصبح ذا قوة خارقة ، و شدة مرعبة . و نحن نلاحظ أنه عند تحرره يفلت تماما من أي مراقبة أو كبح يقوم به الشعور .. و نراه في العقد ، الوسواس ، العصاب ، و ازدواج الشخصية .

و لكن هناك أمراض عقلية تكون فيها القوات اللاشعورية في هيجان حر لا يربط . و توجد هذه الحالة مثلا في الهوس - الاكتئابي . و الذي سوف نراه بعيدا .

و لا يعرف تحرر الغرائز في هذه الحالة لا أخلاق ، و لا مراقبة ، و لا عيب . و تكنس كل القوانين الاجتماعية المتكونة منذ قرون كالأوراق الميتة ... و هنا يطرح سؤال :

هل الشعور التحتي هو متخلق أو غير متخلق ؟

السؤال وجيه جدا . فالشعور التحتي ليس لا متقلقا و لا هير متخلق . فهو يجمع بين ميولنا ، و رغباتنا ، و غرائزنا . كما لو نسأل : - " هل الرضيع ذو الشهرين من العمر متخلق أم لا؟ " فهذا لا معنى له، لكون هذا الرضيع يعيش فقط على حساب غرائزه العميقة .

الشعور - للتحتي هو إذن خارج دائرة الأخلاق . ببساطة لا يعرفه . و يجهل حتى وجوده . إنه لا يعرف الآداب الاجتماعية ، العائلية ، الأخلاقية ، الأدبية و الجنسية . و يميل الشعور التحتي (مثله عند الحيوان ، و عند الأطفال الصغار) لإشباع شهواته العضوية و النفسية و هذا بأسرع وقت ممكن ، و بأنانية بحتة . و تعرف هذه الرغبات : " بالنزوات " .

إذن : (أ) الشعور التحتي (الهو) هو الخزان العام للغرائز .
(ب) النزوة هي ميول أتية من الشعور التحتي ، و لكن تطالب بتحقيق الرغبة الخاصة بها .

مثال : رجل له ميل جنسي تجاه امرأة .

- (أ) - يعتبر هنا " الهو " الغريزة الجنسية العامة .
(ب) - " النزوة " توجه هذه الغريزة نحو تلك المرأة .

"LE MOI" " LE LA"

نحن نشعر جيدا أن " الأنا " الذي نملكه ليس لغيرنا . فا " الأنا " إذن هو شخصية خاصة بالفرد .

و إذا قلنا : ("أنا " سوف أفعل ذلك) فهذا ، يعني أننا على وعي . بما سنفعله شخصيا و إراديا .

فلماذا إذن يضع الشكل البياني " الأنا " في طبقة الشعور التحتي ؟

1 - في بادئ الأمر ، الطفل يعيش على حساب شعوره - التحتي الغريزي ["الهو" الذي يملكه] . فهو لا يدرك بعد أنه " هو " . إنه لا يقول : (أنا) فهو يتكلم عن نفسه عبر الشخص الثلاثي .

2 - ماذا يحدث بعد ذلك ؟ تبدأ الظروف الخارجية في قنبلية الشعور التحتي للطفل .

3 - بعد هذه " القنبلة " من قبل الظروف ، يبدأ الطفل في الإحساس ب "أناه" .

يبدأ في الإدراك بشخصيته الذاتية . يدرك أن الأشياء التي تصيبه ، فهي تصيبه هو بالذات و ليس لغيره . في هذه اللحظة يبدأ يتحدث عنه نفسه "أنا" . فالشاب الصغير " أندري " [Andri] لن يقول بعد الآن: أندري ، فعل هذا ؛ أو هذا لأندري الخ - ولكن : أنا أفعل هذا ؛ هذا ملك لي .

يظهر إذن " الأنا " . إنه إذن جزء من " الهو " يحول بفعل الظروف الخارجية. إذا شبهنا ال"هو" بالعجين الذي يكون في حالة تخمر فإن"الأنا" هو النتوء الذي ينتفخ على سطح هذه العجينة . ف " الأنا " الذي نملكه يبقى على علاقة وطيدة مع غرائزنا العميقة .

إذن الجزء الكبير من "الأنا" يبقى في الشعور التحتي ، يحتاج لظروف خاصة لكي تصعد به إلى سطح الشعور .

الرقابة *la censure*

كلنا يعلم أن الكثير من نزواتنا الغريزية هي بذينة ، فظة و بدائية . يكفي التفكير في الغرائز العدوانية ، الشعور بالحقق أمام كل ما يناقض رغباتنا ، و لبعض النزوات الجنسية العنيفة و الحيوانية ، و إلى النزوات الخسنة ، و تلك التي نمتلكنا لأخذ الثأر ، أو للاستحواذ التسلطي الخ (و الذي هو موجود إذن في " الهو ") اجتماعيا ، لا بد من توقيف كل من تلك الحياة الغابية التي تغلي داخل الشعور التحتي . و أكرر أنه مع ذلك لا وجود في تلك الغابة لمفهوم التخلق أو عدمه . فالذنب الذي يلتهم الخروف ، فهذا الفعل لا يندرج تحت غطاء أخلاقي أو القسوة . " فالقسوة " هو التفسير الإحساسي و الأخلاقي الذي نعطيه لذلك الفعل ، حيث ، أن الذنب لم يفعل إلا عمله كذنب لا غير . فهو يوجد خارج كل الاعتبارات الفلسفية و الأخلاقية التي يجهل حتى وجودها ! و هذا شيء بديهي .

و يفعل ال" هو " نفس الشيء ؛ فهو يؤدي فعله دون الاكتراث بما سوف ينجر عن عمله ! و لكن كتب على الإنسان أن يعيش حياة اجتماعية . فيجب توقيف معظم النزوات الآتية من الشعور التحتي ، أو على الأقل توجيهها نحو أفعال الخير ، و مقبولة داخل حياة مشتركة . و ينهال إذن على الشعور التحتي للإنسان وابلًا من التحريمات و الممنوعات ، و جبالًا من الرقابة . كل هذا يعتبر ضروريا ، و لكن سوف نعرف أهمية " الاعتدال " أو " وسطية في الأمور "

من الذي يقوم بالمراقبة ؟ ... التربية .
ها هي إذن التربية تجلس جائمة ، بأعلى مكان تترقب و تنتفخص مختلف النزوات . فتراها تارة تقطع بمقصها تلك النزوة ، و تارة تترك أخرى تمر و لكن تفرض عليها ارتداء لباس محتشم .
تأتي إذن المراقبة من التربية . فهي تمنع تحقيق نزوة ما أو تقوم بتحويلها إلى هدف اجتماعي متخلق .

مثال: الطفل تأخذه لذة كبيرة عند اللعب ببعض أعضاء جسمه .أؤكد هنا : أن بفعله هذا و هو يوجد خارج كل الاعتبارات الأخلاقية ، و التي لا يفكر حتى بها . فهو ينصاع لأوامر أعطيت من قبل " الهو " الغريزي الذي يملكه . و لكن ها هم الكبار موجودون هنا ، يترقبون . ماذا يفعلون ؟
1 - إما و بكل بساطة يقومون بمنع هذا الفعل ، عن طريق التهديد ، و الوعيد . طبعا الطفل لا يفهم شيئا ، و يرد بالطاعة و الاتصياح عن طريق الاتعكاس الشرطي أمام هذه التهديدات (تماما ، مثل الحيوان الذي يخاف من العصا)

2 - و إما يقوم الكبار بهدايته نحو القيم الأخلاقية ، و يستعملون بذلك مفهوم البساطة ، الحياء ، الاحتشام ، و يجعلون بذلك من " الهو " و " الأنا " الغريزي للطفل " أنا " اجتماعي (بمعنى مروض) .

مثال آخر : يتلذذ الأطفال باهتمامهم بوظائفهم المعوية . تتدخل التربية في تعليمهم العفة ، التقرز ، الحشمة و الحياء ، أمام أفراد مجتمعاتهم .

و هنا يحصل شيء رئيسي في علم النفس التحليلي .

" الهو " ذلك " للشعور التحتي " و لغريزي يصبح " أنا " اجتماعيا ، مهذبا ، يتجه نحو الحياة الاجتماعية ، يشعر بالآخرين ، و برغباتهم ، و

احتياجاتهم . فيبدأ " الأنا " في النظر بمشاكل الآخرين ، بدلا من التركيز
الأثاني على لذاته الخاصة . و هو ما نسميه ب :

"الأنا - الأعلى" *Le Sur-moi*

يعرف هذا المصطلح نفسه بنفسه ، ما يوجد فوق " الأنا " الخام .
و لكن بالنسبة لفرويد ، فإن " الأنا - الأعلى " لا يعتبره بالنظرة الأخلاقية
على أنه أسمى من " الأنا " . و نفهم جيدا لماذا ؟ يتشكل " الأنا الأعلى "
عن طريق التحول الاجتماعي ، و الأخلاقي الذي يفرضه الآخرون عليه .
" فالأنا الأعلى " هو " أنا " مكبوح من طرف التربية . إنه " أنا " أخضع
لعملية الترويض . لا وجود للتلقائية لديه ، و لكن يسمح بالحياة المشتركة .
لأنه بالنسبة لفرويد دائما "الأنا الأعلى " هو نتاج الضغط الاجتماعي
الذي يجبره على التحلي بالآداب العامة .

و نشاهد جيدا ما يلي : فقد تمت مراقبة كل من " الأنا " و " الهو " اللذان
يعتبران أنانيين و ذلك عن طريق التربية . و كل جزء من " الأنا الأعلى "
يصبح جزء من " الأنا " يعجن من طرف المربين (الذين يقومون
بإعطاء الأوامر "للأنا" : يمكنك أن تفعل هذا ؛ لا يمكنك أن تفعل ذلك
الشيء ؛ هذا خير ، هذا شر ، هذا عمل متخلق ، هذا ليس كذلك ، الخ)
و بعونها لكل جزء من " الأنا " ، فإن التربية بهذا الشكل ، تقوم بإدماجه
لمختلف الموانع و المحرمات أو كذلك المباحات المختلفة (و لكن في أكثر
الأحيان فهي تقوم بدمجه للممنوعات !)

إذن كلما قام " الأنا الأعلى " بالفعل ، فهو يجر معه أليا كل المحرمات
الملتصقة به ...

ماذا يعني كل هذا ؟ أقيمت المراقبة على كل من " الأنا " و " الهو " ، و
هذا من طرف التربية . و لكن يملك " الأنا - الأعلى " جهازا كاملا
للمراقبة الخاصة به...مثل العجين حين يضع (صانع المرطبات الحلوية)
بداخلها حبات العنب الجافة ، فإذا ما انتفخت العجينة(و التي تمثل الأنا -
الأعلى) تتحرك معها تلك الحبات (جهاز الرقابة)...

إذن ، يصبح " الأنا - الأعلى " حارس الحدود المستقل داخل " الشعور
التحتي " للفرد . نشاهد بعدها مباشرة أن ذلك الحارس و الذي هو ملك ل

" الأنا - الأعلى " يمكن أن يدخل في أغلب الأحيان في صراعات شرسة مع نزوات " الهو " !

حتى أن هذا الميكانيزم هو أساسي في كثير من الإصابات العصبية (1) نفرض الآن أن "الأنا" [تغطس في الغرائز] يطلق نزوة غير مقبولة أخلاقيا في المجتمع ، فماذا يحدث ؟

تقع هذه النزوة في اصطدام مع " الأنا الأعلى " و الحرس الذي يمثله . نحن موجودون في الحدود . و ها هي الأسئلة التي أعتيد طرحها :

- الأنا - الأعلى : هل لديك ما تعلن عليه ؟
 - الأنا : أريد التصريح أنه يوجد معي نزوة
 - الأنا - الأعلى : هل هذه النزوة مقبولة أخلاقيا .
 - الأنا : لا أدري ، فأنا أعيش خارج التعاليم الأخلاقية ، لذا أتيت من " الهو " هذه الأرض الشاسعة التي تصنع ليها الغرائز "
 - الأنا - الأعلى : يجب علي إذن فحصها ، و لا أسمع إلا بمرور المقبولة منها ، و أرجع النزوة غير المقبولة من أين أتت)
- هكذا تقع الأشياء بداخلنا ، وهذا يوصلنا إلى :

الكبت le refoulement

هو ميكانيزم خاص بالشعور التحتي ، و بفضلته تلتقي النزوات الممنوعة من طرف " الأنا - الأعلى " داخل خزان ال " هو " . يوجد فرق شاسع بين عملية القمع و الكبت .

1- القمع :- القمع هو ظاهرة شعورية ... يتمتع خلالها الشخص إراديا و شعوريا عن رغبته حكم عليها من طرف اعتقاداته (الرغبة هي نزوة أصبحت شعورية) .

مثال : رغبة جنسية لأخ تجاه أخته : " الهو " الخزان العام يرسل بنزوة جنسية نحو أخته . هذه النزوة تصل إلى شعور الأخ على شكل رغبة . في هذه اللحظة ، يدفع الأخ عن نفسه لهذه الرغبة بشكل إرادي ، لأنها تتناقض مع اعتقاداته الأخلاقية الدينية ، و العرفية الخ . إذن فقد قام بقمع رغبته .

(1) العصب هو موضوع باب ٧

2 - الكبت : يعتبر ظاهرة للشعور التحتي . يشغل الميكانيزم على النزوة ذاتها . فالنزوة تكبت قبل حتى أن تصل إلى طبقة الشعور (سوف نرى لماذا؟) . و هذا يعني أننا لا نعرف أبدا ، في اللحظة نفسها ؛ إذا ما كنا قد قمنا أم لا بكبت نزوة ما . و قد نتساءل كيف نعرف أننا قمنا بكبت نزوة ما؟ عندما تظهر أعراض على السطح حينها نعلم بوجود كبت . هنا أيضا تنفجر فقاعة الهواء على سطح البحيرة . و يدهي أن تلك الأعراض يمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة الأنواع ؛ و تذهب من الحلم الليلي ، إلى حتى الفكرة الثابتة و المرعبة ، مروراً بمختلف الأمراض الفيزيائية و النفسية .
مثال : الرغبة الجنسية للأخ تجاه أخته : يقوم " الهو " بإرسال من قبل الخزان العام ، لنزوة جنسية تجاه الأخت ، تصطم هذه النزوة داخل " الشعور التحتي " مع حراس الحدود التابعين " للانا - الأعلى " الذين يقومون بتوقيفها ، ثم كبتها داخل الخزان الأصلي . في هذه الحالة الأخ يجهل عملية الكبت لديه . و لكن ربما تظهر الأعراض خلال الليل على شكل حلم .

هل توجد دائما الأعراض خلال الكبت ؟... كل شيء مرتبط بقوة و مدة الكبت . بعض الأنواع الصغرى تبقى دون عواقب أو تبرز عن طريق حلم بسيط . كبت آخر يستغرق مدة أطول ، و لكن يمكن أن لا يعطي أية أعراض واضحة . و لكن و بصفة عامة يمكن الكشف عنه ، حتى عن طريق المواقف و سلوكيات الفرد المكبوت .

و لا ننسى أن الكبت يأتي من الصراع الموجود بين قوتين متعاكستين توجدان في " الشعور التحتي " : " الهو " ، و " الأنا - الأعلى " ... صراع يكون في غالب الأحيان شرسا و يؤدي إلى أفطع النزاعات الداخلية . إنه صراع شاق جدا حتى أن الشخص يحس بتشتته بين العديد من الميول ، و لا يعرف ماذا يحدث بداخله .

السؤال الأول الذي يمكن طرحه هو : لماذا في حالة القمع يمكن لهذه النزوات أن تعبر على حراس الحدود " للانا - الأعلى " الشيء الذي لا تستطيعه عند الكبت ؟

التربية و الكبت

إذا قام المرابي (1) بعمله على أحسن وجه ، فإن هذا " الأنا - الأعلى " يصبح عبارة عن مصفاة ، و ليس سقفا فولاذيا خانقا لكل شيء . و يقال بالكلام الشعبي (إنه مكبوت) . هو الشخص الذي عنده سقف فولاذي يفصل بين نزواته و شعوره . لا يمر شيء خلاله ، فكل شيء يحجز عند تلك الحدود ، فهو يشبه لمصفاة زيت محرك السيارة عندما يكون مسدودا ... يقوم بكبت كل النزوات البسيطة منها و المعقدة . يصبح الكبت هو الميكانيزم الاتعكاسي الوحيد . و يصاب بما يشبه " القبض العقلي " . يعيشون على حساب جزء ضئيل من الشعور : يفتقدون لكل تلقائية ، و يحسبون أنهم يعيشون ، و لكن هم في نوم يقظة . و يفرضون كبتهم على أبنائهم . يأخذون " هو " أطفالهم و يعجنونه ، و يشحنونه (دون شعور) بكبتهم الذاتي . و يستمر بهذا التوقيف التلقائي لكل نزوة من طرف " الأنا - الأعلى " ... أما عند الشخص سليم التكوين ، يُسمح لكل نزوة بالمرور دون أدنى مشكلة . ثم بعدها تلاحظ بكل شعور واعي للتكوين فتقبل بعدها أو ترفض إراديا . عند هذا الإنسان كل شيء يجري في وضوح نهار شعوره : يطبق " أعرف نفسك بنفسك " هو الإنسان ذو الشعور المنسجم الواسع ، المتوازن . و الذي يقبل الخير و الشر . لكن دون قلق مرضي . إنه الفرد المعتدل ، العارف أن لكل شيء معنى ، و ينظر إلى شعوره - التحتي بكل تحفظ ، دون أن يحاول سحقه ، رغم أنه يعرف مدى قوته ...

نرجع إلى الكبت .

لنفترض أن هناك نزوة آتية من " الهو " تصل إلى حراس الحدود التابعين " لانا الأعلى " :

1 (يمكن أن تقبل هذه النزوة دون صعوبة . يجب عليها في هذه الحالة أن تظهر بالمظهر الحسن ، يتناسب مع قوانين " الأنا - الأعلى " في هذه الحالة تصعد النزوة حتى تصل إلى طبقة الشعور ، و كما هي ، لا يتغير منها شيء .

(1) بالطبع يحدث أحيانا أن يكون الطفل فالدا للتوازن في البداية ، يفرض على المرابي حتى ولو كان " سليما جدا " حواجز لا يستطيع تجاوزها إلا بالتقنيات الخاصة.

مثال :- يترك " الأنا - الأعلى " مرور كل النزوات العاطفية ، نزوات الصداقة ، الإبداع الفني ، السرور أمام الطبيعة الخ (2) يمكن أن تقبل و لكن بشرط أن ترتدي لباسا مغايرا . تصعد نحو طبقة الشعور و لكن متنكرة ، مثل " متشرد " يرتدي لباسا محتشما . حياتنا العادية تشمل على الملايين من الحالات المشابهة .
مثال آخر : امرأة جميلة تمر أمام مجموعة من الرجال . فيتفاعلون معها :
" بتصفيرات إعجابية " . فماذا حدث يا ترى ؟

أ (أساس هذا التصفير الإعجابي هو طبعا جنسي : نكر أمام أنثى .
ب) " للشعور التحتي " لهؤلاء الرجال يرسل بنزوة جنسية تجاه المرأة ، و هذا شيء طبيعي و غريزي . نفرض الآن أن هؤلاء الرجال هم أناس بدائيون ، لم يسمعوأ أبدا عن مفهوم الأخلاق ، الدين ، الحياة الاجتماعية ، احترام الآخرين الخ. نفرض أنهم يشبهون في الجانب العقلي لقردة الغابة . كيف يكون إذن تفاعلهم ، أمام أوامر " الهو " ؟

إنهم سوف يهجمون عليها جنسياً ، أو يسخرون منها عن طريق الكلام البذيء (كما يشاهد ذلك في حالات الذهانات الخطيرة ، أين تكون الغريزة متحررة و لا تملك فرملة)

ج (حيث يتوقف هذه النزوة الجنسية البحتة من طرف حراس حدود " الأنا - الأعلى " .

د (إذا كان هؤلاء الرجال يتمتعون بسلامة عقلية كبيرة ، فلا يقع أي كبت ، و لكن يتم تصفية هذه النزوة الجنسية ، و تقمع قبل أن تصل إلى طبقة الشعور . و تصبح للنزوة للعنيفة عبارة عن تصفيرات إعجابية و فقط .

ذ (هؤلاء الرجال هم إذن يشعرون بتصفيراتهم ، و أن بهم نزوة جنسية لكن يبقون لا يشعرون بعملية " للتصفية " التي أجريت بداخلهم .

الفاكاهة

أغلب النكت تأتي من سبب واحد . نعرف أن الجنس هو مجال الممنوعات بامتياز ! فهو إذن الموضوع الذي يسقط عليه أكبر عدد من الممنوعات ... إذن من القناعات و الكبت . و إذا اعتبرنا مائة نكتة فإن تسعون في المائة منها ذات طابع جنسي ! و لكن مهما كانت روحية أو

فاحشة فلا يغير من الأمر شيئا. هي إذن تشويه للنزوة الجنسية الأولية ، قامت المراقبة بتصفيتها عن طريق الأنا-الأعلى ، دون علم الشخص . هنا أيضا، التربية غير السليمة تجعل من الجنس أرضية الأساس للعصاب، لأنها تجعل من " الهو " الجنسي أرضية مطلقة الاحتشام والاستحياء . يصبح بذلك " الأنا - الأعلى " عبارة عن صفيحة من الإسمنت الفولاذي ، يقوم بكبت جميع النزوات الجنسية حتى المقبولة منها ... ينشأ بعدها ذلك الصراع الداخلي المحتدم الصامت ، و اللزج الذي يقع بين " الهو " و " الأنا -الأعلى " حتى يصل إلى العقد النفسية و إلى العصاب . حيث ، أليس من المستحسن أن نقوم بالملاحظة الشعورية للنزوة الجنسية (حتى ولو كانت محرمة أخلاقيا ، مثل الرغبة في العلاقات الجنسية مع الأخت أو الأخ) ثم نقوم بالتخلص منها إراديا .. بدلا من كبتها لا شعوريا مع ما ينجر عنه من صراعات ، و الأضرار التي تنتج على إثرها ؟

العقد النفسية Le Complexe

هاهي كلمة كثيرة الاستعمال ! يتحدث الناس عن عقدهم كحديثهم عن مشترياتهم اليومية. و يقرر الأخ الصغير أن أخته مصابة بعقدة النقص . و هذه المرأة تزعم أن تسريحة شعرها تسبب لها " عقدة " الخ . أصبحت هذه الكلمة في متناول الجميع حتى أنهم أصبحو متيقنين من معرفة مكنونها... بينما كل هذا ما هو إلا اعتقاد و فقط !... عند دراستنا لجانات ، شاهدنا أن الأجزاء غير المندمجة يمكن أن تترسب في اللاشعور. و تحيا حياة مستقلة ؛ إليها الطفيليات . العقدة هي عبارة عن مجموعة الجزيئات شديدة التشحن بالانفعالات ؛ أين تأخذ مكانة في منطقة اللاشعور . و توجه ، و ذلك دون علم الفرد ، بعض من أفعاله (الأفعال العقدية) . العقدة هي ما يشبه بالخزان الصغير المنفصل (صغير لكن شديد القوة !) يلتهم بداخله كل الأحاسيس و الانفعالات المتعلقة به . و يبقى لا شعوريا ، و لكن يفرض العديد من التفاعلات .

حيث ، أن المختص في علم النفس يلاحظ عادة الخلط الذي يقع عند المريض بين الأعراض و العقدة النفسية ذاتها . كما لو ظن أن الفقاعات التي تنفجر على السطح هي القعر ذاته .

يعلن إنسان : " عندي عقدة النقص " و هذا قول سخي . الأجدر أن يقول : " عندي شعور بالنقص ، و الذي هو من أعراض عقدة نفسية مترسبة في الشعور التحتي (و التي ربما ليست أبدا ضعيفة) و يعلن آخر : " عندي عقدة القلق " و يجب القول : " عندي الشعور بالقلق ، و الذي هو من أعراض عقدة نفسية موجودة في الشعور التحتي . "

كيف تتكون العقدة النفسية ؟

من قال عقدة ، قال " مجموعة مركبة " . نفرض أن عددا من النزوات تأتي لتستقر عند الشخص الواحد . و نفرض أن هذه النزوات تكبت الواحدة تلوى الأخرى ، لمدة سنوات .

نرجع للمثال ، و أتخيل أن الأخ كبت و لمدة طويلة ، نزواته الجنسية نحو أخته . ماذا سوف يحدث ؟ تكبر عدد " الأجزاء " المكبوتة حتى تشكل بما يشبه الكتلة ؛ تولد العقدة . هذه العقدة إذن هي عبارة عن جهاز للتفكير ، إنه دائما مشحون بالانفعالات المولمة ! إنه الصراع الداخلي و المقلق الذي يقع بين " الأنا - الأعلى " و " الهو " . و تكون أكثر تعنينا كلما كان الشخص لا يشعر بمعطيات هذا الصراع : فهو يشاهد فقط الفقاعات المتفجرة على السطح ، بمعنى الأعراض .

و سوف نرى (العقد الكبرى) أن بعض العقد تبدأ حياتها بشكل الي منذ الطفولة ؛ و يناسب ذلك بعض لحظات التكيفات الصعبة . و يمكن لها أن تتحلل بسرعة ، طبعا . إذا لم يمكن لها التحلل ، استقرت في الشعور التحتي، تبدأ جنور المركب في الظهور . و تدب الحياة في هذه الجذور ، و تتحكم في انفعالات أخرى ، و التي تخلق بدورها جنورا ثانية . و هكذا دواليك ...

في هذه الحالة ، حين يكون الفرد في حاجة لكل وسائله ، ماذا يحدث ؟ (مثلا لو كان موجودا في بعض المواقف الصعبة ، و التي تتطلب منه التكيف ؟) فكل شخصيته تهتز ، بما في ذلك عقده فكامل قعر البحيرة

يتحرك ويهيج ... و تصعد الأعراض نحو السطح : الشعور بالنقص ،
الوسواس ، الفكرة الثابتة ، القلق بكل أنواعه و شدته .

هكذا / كتشف فرويد التحليل النفسي .

نعلم أن فرويد اشتغل مع شاركو ، و برنهايم ، و كان حاضرا في أهم
التجارب التنويمية ، لاحظ ما يلي : يحي المنوم بفكرة . هذه الفكرة تهبط
نحو الشعور التحتي للشخص ، و تكون هناك نواة منفصلة (يمكن
مقارنتها لل "هو" و الذي داخله تتكون العقدة) و عندما يستيقظ المريض ،
فيحدث أن ليست الفكرة التي تظهر و لكن الأعراض .

مثال : يحي المنوم للشخص الخاضع للتنويم المغناطيسي ما يلي :

" عندما تأتي العاشرة تماما ، تخرج من هنا ، و تأخذ معك المظلة . و
على الساعة العاشرة ينهض الشخص و يأخذ مظلته . ويسأله المنوم عن
السبب . يمكن أن تكون الإجابة كالاتي : " نهضت و أخذت مظلتي لأنك
أمرت أنت بذلك " ... بينما هو يجيب بشيء آخر تماما : " نهضت لأنني
أريد الخروج ، المظلة ؟ و لكن إنه يمكن أن تمطر ! "

مثال آخر: يقوم المنوم بليحاء النائم: إنه أحترق على مستوى ذراعه ، ثم
يستيقظ من نومه ، و يجد بثورا في ذراعه . و عندما يسأل عن سبب تلك
الإصابة ، يعطي جواب بعيدا تماما عن السبب الأصلي . فهو لا يتكلم لا
على الإيحاء و لا حتى على الحروق ، و لكن أنه أصيب بمرض جلدي
مثلا . فهو إذن يتكلم عن الأعراض جاهلا تماما للأسباب . و في هذه
اللحظة نهض فرويد من مكانه صارخا: أنني مسكت بالمفتاح! ... فهم أنه
لا يجب الأخذ بعين الاعتبار للأجوبة المعطاة من طرف المريض . لماذا ؟
لأن هذه الإجابات تقصد فقط الأعراض الظاهرة (فقاعات الهواء) ، بينما
تبقى العقد راسخة و غير مرئية داخل " الشعور - التحتي "

و يأخذ بذلك التحليل النفسي طريقا معاكسا تماما لتلك التجارب التنويمية:

أ - التنويم يحي بفكرة : تظهر بعدها الأعراض

ب - التحليل ينزع الفكرة من الشعور - التحتي: فنزول بعدها الأعراض .
و كل المشكلة تكمن بالطبع في كيفية نزع تلك الفكرة ... و هذا ما تفعله
تقنيات التحليل النفسي .

كيف تعمل أشباح الشعور - التحتي؟

عن طريق الأعراض ، كما رأينا . و لكن ماذا كذلك ؟ عرفنا أن حراس حدود " الأنا - الأعلى " تمنع مرور بعض النزوات . متى يمكن مرور تلك النزوات ؟ عندما تكون الحدود غير محروسة ؛ إذن عندما يكون هناك تسبب للرقابة من طرف " الأنا - الأعلى " ، ما يحدث خاصة خلال النوم ، و الذي يظهر عبارة عن تغير في وظائف المراكز العصبية .

هاهو إذن الليل . ينام الفرد البشري ، و يغيب شعوره . و تضمحل قوة "أناه الأعلى " . و تتلاشى الرقابة . الإنسان في نومه يعود إلى منابع غرائزه . و تقترب نزوات " الشعور - التحتي " إلى نقاط حدود " الأنا - الأعلى " . و لكن هاهم حراس الحدود ذهبوا ليناوما ، و ذهبت الشرطة تتسلى بلعبة الأوراق ، فتسللت بذلك النزوات بصمت مستغلة فراغ نقاط الحدود من المراقبة ... و يتعاقب على المخ صوراً متتابعة يحضر الشخص أحداثها . إنها :

الأحلام

الحلم هو مجموعة من أعراض الشعور التحتي. و يسمى فرويد الحلم : "الطريق الملكي المؤدي إلى اللاشعور " . و ننبه أن التفسير التحليلي لعلم النفس الأحلام لا يمت بصلة مع " مفاتيح الرؤية التنبؤية " أو أشياء أخرى . و كانت تعتبر الأحلام عند الأوائل مصدر إنذار و إيداء للنصائح من طرف الآلهة . و مازالت في بعض الأحيان تلك المعتقدات سائدة إلى يومنا هذا . من الممكن أن يوجد حدس يسبق حدثاً ما . و كذلك من الممكن أن يمثل المستقبل (و الذي تم تحديده اليوم) أمام بعض الأشخاص تحت شروط معينة . لكن هذه التصورات تنتمي إلى مجال آخر ، و يجب علي تركه رغم ما يحتويه من منافع . يظهر الحلم عادة على شكل رموز .

حلم إيفا (EVA)

هاهو ذا حلم بسيط جداً . رأته إيفا في منامها و هي التي تكره أختها كرها شديداً . و إذا ما دفعنا بالأمور أكثر ، فإنه من المنطق أن حقد إيفا يذهب بها إلى حد الرغبة (الشعورية أو لا شعورية) أن ترى أختها زالت من هذا الوجود ، إذن ترغب في موتها . حيث ، و حسب التحليل الذي أجري على " إيفا " ، إذا كان حقدها على أختها كان شعوريا ، فإن " رغبتها في

موتها " كان مكبوتا في شعورها التحتي ، لأنه غير مقبول من الوجهة الأخلاقية .

توجد ايضا في حجرة . و على طاولة وضع نعش مفتوح . تدخل أختها تلك الحجرة . تتوجه نحو النعش . تلقي بنظرة مطولة نحو ايضا ، تبصق على الأرض ، ثم تدخل وسط النعش ، و تبقى جاثمة مثل الجثة الهامدة . تبدأ ايضا بإطلاق ضحكاتها ... ثم تستيقظ من نومها و هي مذعورة . إنه حلم بسيط . النعش هو رمز الموت شيء بديهي . تدخل الأخت ، تنتظر إلى ايضا ، ثم تيزق (رمز الاحتقار) . تدخل النعش (الموت) ، تضحك ايضا من شدة السرور ، و تستيقظ ، لماذا استيقظت مذعورة ؟ لأنها أدركت عن طريق شعورها لرغبتها في الموت الموجودة في الشعور التحتي ، و المكبوتة حتى الآن ، و لكن استغلت النوم لكي تظهر .

حلم بيير (PIERRE)

نفرض الآن ، أن رجلا شابا أجبر على مقاطعة دراسته بسبب ولادة أخت له . أصبحت مصاريف والده ثقيلة على كاهله ، فرضت عليه ترك مقاعد الدراسة ، وهي التي كانت شغله الشاغل . فشعوريا ، الأخ كان يحب أخته . و لكن ، و هذا طبيعي . كان قد تأسف جدا عن تحطيم مستقبله . و تمر السنون ... و هاهو حلمه :

نعش (دائما) . يوجد في هذا النعش والد ذلك الشاب ؛ لكن هذا الأب يبدو على وجهه أنه مازال شابا . يقترب بيير من النعش ، و يسمع أباه الميت يقول له : " عمري ثمانية و عشرون عاما و لقد مت "

يصبح هذا الحلم بسيطا إذا عرفنا أنه كان سن الأب 29 سنة لما ولدت أخته . و هذا يعني إذن : " إذا مات أبي في الثامنة و العشرين من عمره ، فإن أختي لم تولد ، و أنا استطعت بعدها أن أكمل دراستي ... "

يوجد هنا إذن تفكير جد منطقي ، حتى و لو كان حلما ؛ و بديهي أن هذه الفكرة لا ترى النور أبدا في حالة يقظته ... لماذا ؟ لأن " الأثنا - الأعلى " لبيير يكتبها مباشرة و برعب شديد . سوف أرجع إلى هذا الحلم فيما بعد .

حلم جين Jean

والدة جين متسلطة . و هو خجول جدا ، و يستحي من جسمه . و من البديهي أنه يخاف النساء ، و حلمه كذلك بسيط جدا :

يدور موضوع الحلم وسط غابة ، و " جين " موجود في منطقة لا تكسوها الأشجار إلا القليل منها. يشعر أنه مغطى من رجليه إلى رأسه ، و يضرب بلباسه حتى يستتر كامل جسده . و توجد على بضع خطوات منه شجرة عملاقة ، تغطي وراءها شجيرة صغيرة تدعى بالزنبقة البيضاء . يأخذ في البكاء أكثر فأكثر ، كلما يضرب بلباسه على جسده ، و ينظر محملاً نحو الزنبقة . و في هذه اللحظة ، تظهر أمه ، رأسها مغطى " بخمار " أسود ، تأخذ هي كذلك في البكاء . و يجد " جين " مباشرة نفسه عار . و يظهر لكلمته لأمه ، التي تأخذ خنجرا ، و تشير إليه لتلك الشجرة الكبيرة ، ثم تقتل نفسها . يتجه حينها " جين " إلى الشجرة ، و يدخل وسطها . و يخرج منها مرتديا لباس الفرسان ، و ماسكا في يده سيفا لماعا أقرب من الزنبقة و قطعها بسيفه . في هذه اللحظة أصبحت الزنبقة ذات لون أحمر ، و شعر بعدها جين بشهوة جنسية تعتريه و تستيقظه من نومه .

فلننصاهد الآن تلك الرموز .

- * - **الشجرة** :- (أنظر رقم 1⁰ في الاشتراك الحر ص 135) قوة ، رجولية ، جنس . لا يوجد شخص في العالم تأتيه الفكرة في تمثيل الشجرة تحت رمز الضعف، أو الجبن . و من هذا ، فإن الشجرة هي رمز عالمي .
- * - **الزنبقة البيضاء** :- رمز النقاء طبعاً ، هنا ترمز إلى الفتاة الشابة .
- * - **"الخمار" الأسود** :- رمز التأسف ، الإهانة و الحزن .

يشعر جين أمام " الزنبقة البيضاء " [الفتاة الشابة] بالعار و الحياء من جسمه (إنه يغطي جسمه بحنق) . يبكي (حياء و سخا أمام الزنبقة التي لا يجرا على الاقتراب منها) . تظهر أمه بخمار أسود (تأسفا لما لحق ابنها من جراء تسلطها) . و تبكي من جراء ذلك (نفس الشيء) ؛ تخرج خنجرا و تضرب نفسها (سواء نفس التكبير ، سواء رغبة شعور تحتية لجين أن يرى أمه تموت) . تشير لجين على الطريق الذي يؤدي إلى الشجرة (طريق الرجولة) . يدخل جين وسط الشجرة ، و يخرج منها مرتديا لباس الفرسان (القوة ، و اليسر) ، ماسكا لسكين (اليسر ، القوة ، الأناقة ، التسلح مدى الحياة) . يقترب من الزنبقة (الفتاة الشابة) هنا تظهر عدوانية : يتحرر جين فجأة من استحيائه و عجزه : يقطع بعنف الزنبقة . (السيف يرمز إلى الجهاز التناسلي الذكري الذي يقوم بفض بكرة الفتاة) ، و

تصبح الزنبقة حمراء (رمز الدم) . الفعل الجنسي واضح بما أن "جين" يحس بلذة جنسية ليقتطه من نومه .

بإقتصار

ينطلب التحليل الجيد للحلم إلى عاملين اثنين :

أ - معرفة معمقة في التحليل النفسي .

ب - خبرة كبيرة .

المحلل النفسي هو بمثابة المفتش العقلي . يقنني أثر الخطى ، ليكتشف عن المجرم . لا يتعلق الأمر إذن في التشبث بأول تفسير يمر على العقل . إن العثور على شعرة صفراء في مكان الجريمة لا يعني أن القاتل يلبس كعبا قصيرا ! فالتحليل الجاد طبعا يأتي من خلال عدة أحلام مختلفة . و أيضا طبعا لظروف متطابقة . و على المريض المشاركة النشطة في عملية التحليل . كما يجب إعادة سرد الحلم نقطة بعد الأخرى ، و نعرض عليه طريقة الاشتراك الحر ، حسب المواد التي يحتويها حلمه .

تحدثنا عن الرموز ، يمكن اعتبار البعض منها متشابهها في المعنى العميق عند الكثير من الناس . و لكن رغم هذا ، يمكن أن تتغير من شخص لآخر ، و ذلك حسب المزاج ، و الذهنية الأتية .

أين نحن من الحلم؟

شاهدنا أن تفسير الأحلام يمكن أن تكون له فائدة كبيرة في التقنيات المستعملة في التحليل النفسي . أكرر أنه بالنسبة لفرويد ، فإن تلك الفوضى التي يتميز بها الحلم ، ما هي إلا مظهر خارجي فقط . فأغلب الأحيان ما تكتسي بمعنى محدد حتى و لو تنكر فيها الممثلون . و يعبر كذلك في أغلب الأحيان عن رغبة مكبوتة .

و سوف نفهم ذلك حين نعيد القراءة لحلم ايغا (رغبة في موت أختها) و حلم بيار ، و إذا دفعنا بالأمور أكثر :

أ - ولادة الأخت تمنع بيار من متابعة دراسته

ب - إذن ، إذا لم تكن هناك الأخت ، فإن بيار استطاع مواصلة دراسته

ج - " إذا لم تكن هناك الأخت " يستلزم ذلك " إذا لم تولد الأخت "

د - " إذا لم تولد أخته " يستلزم ذلك " إذا توفي الأب قبل إحداث إخصاب لأمه " حيث :

أ - عقلائي و شعوري
ب - مازالت العقلانية ، و يمكن لبيار أن يلاحظ دون الاصطدام بالوازع الأخلاقي .

ج - لم تكبت بعد في الشعور - التحتي ، و لكن يمكن أن تظهر في لحظة مزاج ، مثال : " لو لم تولد أختي ، لأصبحت اليوم مهندسا " عندها يتفاعل الشعور قائلا : " ماذا حملني على هذا التفكير ؟... إنها حماقة ..."
د - أتية من " هو " هذه النزوة حدثت في لمحة بصر ، ثم كبّنت مباشرة و لكن وبصفة عامة ، فإن النزوة (د) حدثت ، ثم سقطت في " الهو " ... لكي تعاود الخروج منه عندما يكون حراس الحدود في حالة غفلة ، و على شكل دراما يعيشها الحالم .
فلم يبار عبر إذن عن " رغبة " في الشعور التحتي ، ذا منطق لا يقهر .

الفضيلة الماخطة

هناك طبعاً خطر ترمد بعض الأحاسيس أمام التحليل النفسي ! و لم تقوت أية فرصة لهذا الفعل ؛ صدقوني ! فلنتخيل ذلك السب و الشتم و السخرية احتقارا لفرويد ، و طال ذلك مدة طويلة .
ما هذا ! أهل يعقل أن يوجد مثل هذا الوحل في الكيان البشري ؟...
و لكن شيئا فشيئا . من قال " وحل " قال حكما أخلاقيا .
و لكن (و مرة أخرى) هل نحكم أخلاقيا على الذنب الذي يفترس الخروف ؟

أو نتعجب أخلاقيا على الخروف الذي نجا من مخالب الذنب ؟
كلا الطرفين يؤذيان دورهما ، لا أكثر و لا أقل . القول أن النمر شرس ، فهذا لا معنى له ، فالنمر هو النمر و بكل بساطة .
نفس الشيء بالنسبة لل " هو " إنه " هو " و كل إيداء حكم أخلاقي فيه فهو من السخافة . يجب معرفته و ليس للحكم عليه .
إذن ، أليس جميلا أن هذا الإنسان ، ذلك الحيوان " زائد " بعض الشيء ، أن يتخلص شيئا فشيئا من هذه الأتانية البحتة ، و يتملك شعورا أخلاقيا ، و متبصرًا يسمح له أكثر فأكثر معرفة نفسه ، و القدرة على حب الآخرين ؟
و لأنه ، و بالعكس يسمح التحليل النفسي للفرد البشري أن يشاهد نفسه كما هي ، بمحاسنها و مساوئها .

أن يرى نفسه دون احتقار . يلاحظ فقط ، أليس من الأفضل أن يرى نفسه من كل زاوية و مهما كانت ، ليعرف بعدها ما هو السلاح الذي يجب استعماله لكي يتخلص من حيوانيته ؟

التحليل النفسي ليس موجها للمرضى ؛ بعيدا عن هذا الاعتقاد فهي طريقة للتبصر ، فهي لا تصطدم إلا بالعقول الخائفة من رؤية الجانب الحيواني من الإنسان ، و رافضة (خوفا في أغلب الأحيان) لاتصهاره مع طبيعته العقائدية . بالطبع ...مثل قاليلي (Galiléé) ، فالتحليل النفسي يوجه طعنة لكبرياء الإنسان (و الذي بدوره أتى من الجهل و الخوف)... و لكن عند دراسته يمكن أن ندرك كم أنه يستطيع توضيح الكثير من الحقائق النفسية . و إلى أن يأتي اليوم الذي يتجرد فيه من إفراطه ، و غروره ، فإنه سوف يصل إلى ركب العلوم البحتة ، و يلتحق بالفلسفات العالمية العظمى .

التنفيس Abreaction

يحدث عندما يتحرر الشخص من كبت ما ، باستئصاله نهائيا . مثال : البوح بسر هو الترويح البسيط عن النفس ، إنه " الصمام " العاطفي ، و يقول الشخص بعد ذلك : " اختنقت بكبتي لهذا السر ، و أشعر الآن بالراحة حين بحت به ... " و نعرف أن الكبت يصدر عنه في أغلب الأحيان أعراضا شاقة . بينما يكون هذا الكبت في بعض الأحيان موجودا وراء مزاج يبدو عليه الاعتدال .

و ينتج عن الحروب ، كبتا عنيقا (الخوف) يؤدي إلى بروز إصابات هستيرية عند المحاربين ، و كذلك ظواهر " تحويلية " : شلل ، بكم ، عمى ، دون أية قاعدة عضوية" في هذه الحالة كذلك يفرض وجود " صمام التنفيس "

كيف يمكن إحداث التنفيس ؟

- 1) يمكن أن ينفجر تلقائيا : غضب عنيف يمكن أن يحرر مثلا لوم مكبوت . بعض الاندفاعية تقوم كذلك بتحرير الكبت .
- 2) يمكن إحداثه : عن طريق الصدمة الكهربائية ، يخرج المريض في بعض الأحيان صراعات موجودة في الشعور التحتي . لا تظهر الأعراض (التي نحن بصدد علاجها) و لكن العقد نفسها .

3) التحليل النفسي يمكن أن يحدث التفتيس و ذلك بفتح أبواب الشعور
التحتي .

4) بعض المواد الكيميائية تستعمل كذلك ، تعطي عن طريقها منفذا
لطبقة الشعور التحتي " الهو" إنه التخدير التحليلي أو " مصمل
الحقيقة " و الذي سوف نتحدث عنه .

الفريزة الجنسية .

الجنس هو أحد أسس التحليل النفسي . يجب معرفة مباشرة ما يلي :
يجب عدم الخلط بين الجنس و التناسل . لا يجب ان تخلط الفريزة الجنسية
مع الرغبة في العلاقة الجنسية التناسلية . الفريزة الجنسية العامة تشبه آية
غريزة أخرى : إنها موجودة منذ الولادة .

و جلب هذا التصور الجريء لفرويد بعض من السخریات الإضافية .
طفل في السنة الأولى من حياته يمكن أن تكون له غريزة جنسية ، يبدو
على ذلك نوع من الغرابة و السخافة . لكن اليست الغرابة و السخافة عند
الاعتقاد ان الفريزة الجنسية تظهر مع البلوغ ! زيادة على هذا، لماذا الفرد
البشري يخرج عن نطاق القوانين الكبرى للطبيعة ؟

* أصبحنا نعرف الآن أن الفريزة الجنسية تبرز في عدة ظواهر لا نشك
حتى بوجودها ببعض سلوكيات الطفل تجاه جسمه تعبر ظواهر جنسية(و
لا أقول عضوية تناسلية) . بعض سلوكيات الطفل نحو أمه (أو البنت
نحو أبيها) تعبر عن نفس الفريزة . بينما يكون كل ذلك منطقي : هناك
جنسية عامة كلما كان جنسان متضادان حاضرين . إنها القوانين الكونية
الشاملة ، و لا يوجد ما يحبر فيها ، بشرط أن نعتبر تلك الفريزة عفيفة و
متخصصة من كل القيود الأخلاقية التي تهطل عليها ...

سوف أتحدث عن الجنس في ما بعد . بينما الآن أريد التحدث عن بعض
ممارسات الطفل ، و التي ترهب في جل الأحيان الآباء : استمناة العزلة .

إذا كان الطفل يمارس

الاستمناة في عزلة .

لا يجب في أي حال من الأحوال ، أن يقوم العربي بترهيبه ، أو
تحسيسه بالحياء ، فاستمناة الطفولة يؤدي في أغلب الأحيان إلى كوارث

في الكبر . لماذا ؟ هل لسبب الممارسة نفسها ؟ لا أبدا . و لكن لسبب الجو الأخلاقي المصاحب لها .

يجب اعتبار هذا الاستمنا كظاهرة طبيعية بنسبة تسع مرات على عشرة . و يجد الأباء أنفسهم أمام مسؤولية ، و التي تتمثل في التفهم السليم .

حيث ، كيف يكون تفاعل الكثير من الأولياء ؟ - " إنك لن تكبر ... " -

"سوف يتحذب ظهرك ... " - " سوف تصاب بالجنون ... " - " إذا واصلت هذا الفعل فإنك تفقد ... " (هنا ، تستعمل كلمة لطيفة لتعيين الجهاز

التناسلي) - " إن الشيطان يترقبك ، و سوف تدخل النار ... الخ !

و إما الأخطر من هذا ، هو الكشف أمام الملأ لما يسمونه " بالعيب " ! و

هذا تصرف شنيع جدا . يجب تجنب هذه التصرفات بأي ثمن . فلا يجب

أبدا التفاعل بهذه الصفة . لأنه إذا واصل الطفل هذه الممارسة ، فإننا لا

ندرك أبدا مدى حدة الرعب ، الحياء ، القلق و الانفعالات المختلفة التي

تستقر بداخله ! و تكون أسس انطلاق لأمراض عصبية ساحقة .

فيجب استعمال الصراحة و ليس الرعب . و الحرص على السلامة

الروحية للطفل . فلا نخاف إذن من أي خطر بعدها .

و إذا اكتشف أمر الطفل فيجب علينا أن نهدي من روعه . و يجب أن

يقنع بأن هذه الممارسة تعتبر طبيعة جدا و لا تخلف أي مرض . فنحصل

إذن على مشاركة كاملة منه ، و تخنفي هذه الممارسة في أغلب الأحيان و

يكفي أن نشاهد عزاء الطفل حين يعلم أنه ليس ذلك الوحش الحقيير ، و

كذلك أنه ليس الوحيد في هذا العالم الذي يفعل مثل هذا "العيب المخزي "

فالاستمنا الطفلي يمكن أن يأخذ منشاها انطلاقا من جو أسري متعفن .

يصبح الطفل في تعاسة ، و حالة لا أمن . يبحث في نفسه إذن عن لذته و

سعادته لم يقدر العثور عليهما في حياته الأسرية . في هذه الحالة يخنفي

الاستمنا في حالة ما إذا رجع الجو العائلي إلى حالته الطبيعية (و منه

يعثر الطفل على أمنه) .

زيادة على هذا ، يمثل الاستمنا الطفلي تمردا ضد جو العائلي . فهو

يستنمي بنفس الحالة النفسية الذي يمص فيها إصبعه ، في مخياها ، أو

حلوى مسروقة . يجب النظر لهذه الممارسات المنفردة بطريقة سليمة .

فيجب على الأباء أنفسهم أن يعتبروا هذا المشكل الجنسي بوجهته الصحية

و بحكمة . و إذا أستدعي الأمر يجب الاشتغال من أجل تخلصهم من كبتهم الذاتي و استحيائهم أمام الجنس .

عقدة الخصاص .

الخصاء الجسدي هو قطع الأعضاء التناسلية للذكر . يمكن حدوث الخصاص على إثر حادث اصطدام ، أو جريمة ، أو عند العمليات الجراحية و تخلف في أغلب الأحيان ، انعكاسات جسدية و عقلية شديدة المفعول . و الكثير من الناس ، عندما " يتخيلون " فقط عملية الخصاص ، فإنه ينتابهم على إثر ذلك انفعال قوي . حيث يوجد عند بعض الأطفال خوف ذهني من الخصي أو التمزيق الجسدي . و يبرز على إثر بعض الظروف التي ينشأها المربي نفسه . و يصاب الأطفال الذين يملكون هذا النوع من الخوف التمزقي بالانفعال الكبير ، و هذا مفهوم . فقلقهم يكون شعوريا أو لا شعوريا . و نرى عادة الكثير من الأطفال يهربون ، و هم ماسكون بأعضائهم الجنسية قصد حمايتها من التمزيق . لماذا ؟ هل هذا يعتبر خوفا جسديا أو عقليا ؟

و يلاحظ الكثير من الأولياء ، أن ابنائهم لهم ميول كثيرة نحو لمس أو إظهار أعضائهم الجنسية الذكرية . و هذه تعتبر ميول عادي و طبيعي . و أمام هذه التصرفات ، يتفاعل الأباء بارتباك شديد ، و تكون ردود فعلهم أحيانا خطيرة كمثل : " ... إذا قمت بلمسه مرة أخرى فأنتك سوف تفقده ... " – إذا عاودت لمسهم ، فسوف يأتون إليك و يأخذونه مثلا ، و تصبح بعدها طفلة صغيرة ... " " ... لا يجب فعل ذلك إنها قذارة ! إنه فعل ذني ، إذا أكملت هذا ، فإتهم يتون و يسرقونه لك ... " و الأخطر من كل ذلك : " ... إذا شاهدتك مرة أخرى تلمسه ، فسوف أقطعه لك ، هل فهمت ؟ ... " و هذا قد يبدو لا معنى له ، لكن انتظروا ، و سوف تشاهدون حاله جين (JEAN) مع كل العواقب الممكنة الحدوث :

حالة جين طفل في السنة التاسعة من عمره

جين ، هو طفل شديد الانفعال . و عند ذكر أمامه كلمة " حطاب " يصاب باصفرار قاتل . و نفس هذا الرعب يحدث عند ذكر كلمة " الشاقور " أو " السكين " . و طلب منه أن يقوم برسم مشهد يتعلق بهذا الموضوع . و قام جين بتخطيط رسم يبين شجرة ينهال عليها الحطاب

بشاقوره . و ينزل من خلال هذه الأخيرة سانلا . طفل صغير يهرب ، و يجري وراءه رجل كبير .

و عندما سلم لنا ذلك الرسم ، قام بالتفسير التالي : " هذا ، هو أبي " (مشيرا إلى الرجل الذي يجري وراء الطفل) " هذا لا أعرفه ، ولكنه يتألم كثيرا " (يشير إلى الشجرة) " ذلك هو (الحطاب) لأن ... لأنني لست عاقلا " . هذا هو الدم ... (مشيرا إلى السائل) في نفس الوقت حمل يديه إلى أعضائه الجنسية ، و كأنه يريد حمايتها من التمزيق ، ثم أخذ يرتعش .

كل شيء أصبح واضحا . و كان التأكيد من طرف الأب عندما سألناه ، كان متسلطا و كاسرا .

و قد صرح أنه كان يهدد ابنه بشكل سخيف : " إذا لم تكن عاقلا ، فسوف يأتون و يقومون بقص تلك القطعة الصغيرة التي أنت معجبا بها كثيرا ، أفهمت ؟ ... "

إنه أصبح واضحا جدا . الشاقور هو الوسيلة التي تسمح بهذا الخشاء المرعب الذي يخشاه الطفل . الشجرة تمثل الطفل نفسه (الرجولة) . الحطاب هو رمز الأب الذي يقوم بالعملية . و الحركة الأخيرة للطفل اصدق من ألف تعبير ! ...

ماذا حدث لجين ؟

لا يجب النظر لحالة جين كأنفعال بسيط . نفترض أنه واصل حياته بنفس تلك الحالة النفسية دون أي تدخل للمختص في علم النفس . ماذا يمكن حدوثه ؟ أولا (و كما حدث من قبل) فسوف يعيش في العديد من انفعالاته المرهبة . حيث يصبح الانفعال أكثر سحقا عندما يتكرر . و يظهر حينما يعتقد جين أنه " ليس عاقلا " . " هؤلاء " إذن سوف يأتون لتمزيقه . هل ندرك فظاعة تلك الليالي البيضاء التي يقضيها و هو في خوفه ؟ " هؤلاء " هم هنا ، في مكان ما ، يترصدونه ، لينزعوا له أعضائه ماذا يجب فعله إذن ؟ كل شيء لكي يتجنب أية إصابة بسوء . و إذا تواصل هذا ، فإن جين يفعل كل ما في استطاعته لكي لا يقع في الخطأ . و لكي يتجنب ذلك اللوم ، و العقاب . كل ذلك يحدث بأي انفعال ! يصبح جين أمام أبيه و أمام كذلك الآخرين مستضعفا لنفسه ، محتقرا لها ، لكي

يتجنب إبداء " هؤلاء " لأي لوم عليه . و ينساق جين نحو الضعف و يصبح ذلك الصغير " الوديع و العاقل " و جب عليه إذن تجنب أي موقف يتطلب منه فعلا رجوليا كي لا يصطدم مع الآخرين . و يتوقف نموه كشاب ذكر . فقد تم خصائه "ذهنيا" ، لكي لا يخصى جسديا . و عندما يصل إلى سن الرشد ، يدرك سخافة خوفه . لكن بعدما استقرت بداخله جملة من العقدة النفسية . و تنتظم حولها حياته بأكملها ... و قد دخل إلى المراهقة مشحونا بالقلق ، الخجل ، و الأتوثة الذهنية . إنه لا يستطيع النجاح في أي فعل رجولي ، و لا مهني ، و لا حتى حياة زوجية . إنه رجل لكن دون إثبات لرجولته . كل ذلك بسبب انفعال قوي أحدث من طرف أب ليس نكيا .

و ما يحدث عادة .

يوجد شيء آخر في هذه العقدة . حين يدرك الطفل ذلك الاختلاف الجنسي بين الذكر و الأنثى ؛ فإنه يعتقد أن البنت ليست كاملة جسميا ، لأنها تفتقد لذلك العضو الجنسي الخارجي . و يكمل الطفل في منطقته : " إذا لم تكن عندها أعضاء جنسية خارجية ، فذلك لأنهم قطعوه لها " فيخشى بالتالي نفس ذلك المصير . لماذا ؟ هل يخشى فقدان أعضائه الجنسية بالذات ؟ لا أن يفقد تقوقه ، و هذا شيء مهم بالنسبة له . يخشى أن يصبح ناقصا مثل البنت ، أن يصبح محبطا و مستضعفا . يجب الاحتفاظ بهذا لأنه مهم جدا !

إذن ، إذا قام الأولياء بتهديد الطفل بهذا المصير ، فإنهم ينشئون قلقا عظيما لديه . يجب إذن تجنب أن يصبح الخوف من الخصاء عقدة نفسية و اعتقد مثلا أن الخوف من الخصاء يكون مرتبط بالاستمناة في العزلة (بعد تهديدات المربي) و تشهد هنا أيضا ترسب القلق الطفلي ، و الذي يمكن أن يستمر إلى الكبر .

في بادئ الأمر يكون الاستمناة مرتبطا بالخوف من الخصاء ؛ في ما بعد يصبح الجنس بمثابة عملية خصاء ، بمعنى : تمزيق ذهني ، نقص ، استضعاف ، إحباط ، أتوثة ، فقد الرجولة ، عجز جنسي ، و تنتشر هذه الأعراض إلى جميع ميادين الحياة . يفقد على إثرها الذكر كل مقوماته العقلية ، ثم ينطوي على نفسه . يفعل الرجل إذن و هو كبير كالطفل

الصغير الهارب مخبئا بكلتا يديه أعضاؤه الجنسية . فهو يقوم بحماية نفسه من أي تمزيق ذهني ، أو لوم ، أو صراع و هذا عن طريق الهروب و الاختفاء كلية عن الأتظار . و لكي ينجو بجلده لا بد عليه أن لا يدخل في لية معركة من شأنها أن تضعه موضع الممتحن . و لذلك فهو يتجنب أي فعل يتطلب هذا . إنه يهزم منذ البداية . فهو يستضعف نفسه قبل أن يستضعفه . إنه الفشل في علاقاته الجنسية ، ثم الاثهيار ، و القلق ... و الخوف أو ما يعرف بالخوف من النساء . و إما يقوم بالتعويض : يصبح رجلا يحتاج إلى عدوانية جنسية ليؤكد على رجولته و هذه العدوانية يمكن لها أن تذهب إلى حد السادية بكل أشكالها .

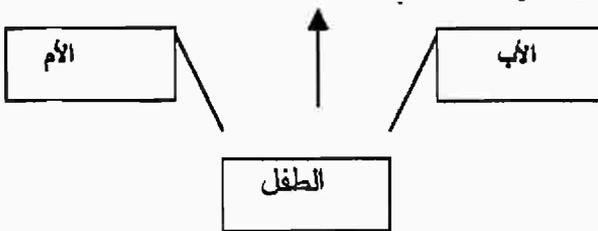
و تعتبر هذه العقدة صعبة الفهم إذا لم تكن هناك خبرة كبيرة في التحليل النفسي ، بينما يكفي أن نسمع لبعض المراهقين لنثبت على شيء ما ...

عقدة أوديب **Complexe d'Œdipe**

يبدو للوهلة الأولى على هذا المصطلح نوع من البربرية ، ولكن سوف نكتشف مدى منطقه ، و تأخذ هذه العقدة الشائعة الانتشار نشأتها أساسا من العلاقة الموجودة بين الطفل و الآباء . فهي تهم بصفة خاصة المربين . فأنصح الأولياء أن يتمعنوا جيدا عند دراستها . بعد معرفة ميكانزماتها الحساسة يمكن تجنب نتائجها الشاقة ، و المؤلمة . المختص في علم النفس يعرف جيدا كم أن هذه العقدة لها القدرة على إحداث عدة أمراض نفسية . و بسببها تتفكك كامل حياة الفرد ، تجلب عادة التخنت ، الجبن و الخوف لدى الرجال ، أما عند المرأة فتظهر عندها رجولة كبيرة . و من بين آثارها الرئيسية نجد : اضطرابات في العلاقات الجنسية – العجز الجزئي أو الكلي – البرودة الجنسية لدى المرأة – الخجل – فشل متواصل – الضغينة الداخلية – كثرة المطالب أو الخوف المستمر من الانتقاد – الشعور بالنقص – الشعور بالذنب دون مبررات بارزة – الإحساس بأنه عالمة على الغير أينما ذهب – الإحساس بالإحباط في الحياة أو العدوانية – الجنسية المثلية بالنسبة للمرأة أو الرجل .

هـام: تظهر هذه العقدة بشكل طبيعي خلال الطفولة . ثم لا بد عليها أن تزول عندما يتحقق توازن الأولياء و الطفل . و إما سوف تستمر إلى سن الرشد حيث تأخذ أقنعة مختلفة .

فقبل التطرق لعقدة أوديب ، يجب أن نكرر بأن الكوكب العائلي له دور هام جدا في حياة الطفل . و لنا الميزان العائلي التالي . و يكون الكوكب العائلي في حالة جيدة عندما تكون العوامل الثلاثة المكونة له في حالة سليمة . لكن نادرا ما نجد الثلاثة كفات المكونة للميزان في حالة توازن تام و نرى إذن أن أي خلل يطرأ على أحد هذه الكفات يحدث هزات . و في آخر المطاف نجد أن الطفل وحده الذي يدفع الثمن ، لأنه له قابلية أكثر للتحويل .



مثال : الأب مستبد ، كثير القسوة ، ضعيف جدا، رخو ، الخ
الأم : ضعيفة جدا ، متأومة كثيرا ، عدوانية ، مزعجة ، مهيمنة .
الطفل : ضعف جسدي أو نفسي .
نفترض قبل كل شيء أن جميع كفات الميزان متوازنة ، ونحن نتعامل
مع عائلة سليمة ماذا يحدث ؟

أوديب و التحليل النفسي

أذكر بالأسطورة . " تزوج أوديب بأمه جوكاست ؛ و قتل أباه لايبوس . و
عقبا لنفسه قام بقتل عينييه ، ثم هرب إلى مدينة تيباس مقتديا من
طرف أبنته أونتيقون .

فما دخل هذه الأسطورة مع التحليل النفسي ؟

بالنظرة الأولى (بالتطابق) فإن الطفل الصغير " يتزوج " أمه ، و يقتل
أباه . يظهر أنه شيء سخيء ، إذن سوف أطابق هذا بشكل مختلف .

فنفرض (كما يحدث عادة) أن الطفل الصغير يرغب في أمه " لوحده
فقط " لكن يوجد حاجز و منافس له : أباه .

يصبح الطفل يغار من أبيه . يتمنى (بشكل شعوري أم لا) أن أباه يتترك
له أمه كلية . فكيف ؟ بذهابه ، باختفائه أو حتى بموته .

و نحصل على ما يلي :

الطفل : يحب أمه و يريد لها وحده

يصبح يغار من أبيه و يريد التخلص منه .

يشعر بالذنب تجاه أبيه .

يحس بالآثم .

البنيت : تحب أباه ، و تريده لها وحدها

تصبح تغار من أمها ، و تريد التخلص منها تحس بالذنب تجاه أمها .

تحس بالآثم .

مشاهدات الأطفال :

يوجد معاني كبيرة لبعض الرسومات للتخطيطية التي يقوم بها الطفل . و

نشاهد في بعض الرسومات كمثل :

أ) طفل صغير مع أمه داخل كنيسة . و أمامهم راهب .

ب) على الجهة الجانبية يوجد باب مغلق ، ووراءه يقف والد الطفل إذن هنا ، " يتزوج " الطفل الصغير بأمه ، و يتخلص من أبيه ، بتركه وراء الباب . و تفكير الطفل في هذا الشأن أمر شائع الوجود :

- أمي ، عندما أكبر سأ تزوج بك

- و لكن ماذا سيقوله أبوك ؟

- أبي ؟... أوه ... سوف يموت

أو عند البنت الصغيرة :

- أبي عندما أصبح كبيرة ، أريد أن أكون زوجتك .

- و لكن هناك أمك عزيزتي ، فماذا تقول ؟

- ماما ؟...حتى ذلك الحين سوف لا تكون موجودة .

أو عند الطفل :

- ماما أريد الزواج معك .

- عزيزي ، أبوك لا يسره هذا الفعل

- حسنا ، عندما أكبر سوف أتصارع معه الخ... الخ...

هذه الرسومات و التعبيرات غالبا ما تضحك الأقارب . و لكنه هو التعبير الأساسي لعقدة أوديب . و أكرر أن هذه العقدة تظهر بشكل طبيعي لدى الطفل ، و يجب أن تختفي كذلك بشكل طبيعي .

هاهو مخطط بياني ، نفحص من خلاله الظهور الطبيعي لعقدة أوديب و كذلك تطورها الطبيعي ، و نهايتها . يبين إذن هذا المخطط موقف الطفل أو البنت تجاه والديه من نفس الجنس أو الجنس المخالف .

الطفل

تجاه أمه	تجاه أبيه
الطفل متعلق عضويا و نفسيا . بأمه (عناية، حنان ، و انتباه)	يكتشف شيئا فشيئا معنى (أبيه) يكتشف أنه ليس وحده الذي يحب أمه . يصبح أبوه منافسا له فيها .
الطفل يريد أمه لوحده ، يرغب في امتلاكها كلية ليصبح حاجيته الجنسية و النفسية	يبقى في صراع مع أبيه . معجبا بقوته . فهو يقلده . يرغب أن يصبح مثله أو أقوى منه . " يلعب دوره كرجل "

نصل إلى سن الكبير	يتحرر، و يفصل ذهنيا من أمه ، تتأكد شخصيته الرجولية
ياخذ استقلالته ، و يتوقف المناسفة مع أبيه ، لأنه انفصل كلية عن أمه	ينتهي للآخرين
تتكمّل رجولته الطبيعية	يتزوج بشكل طبيعي

عند البنات	تجاه أمها
تجاه أبيها	البنات متعلقة عضويا و نفسيا بأمها . تريد أمها لوحدها ، لأنها وجدت عندها أمنها ، و سعادتها
تعتبر الأب منافسا لها ، لأنه يتمتع كذلك بحنان و رعاية الأم . تصبح البنات تغير من أبيها .	

هنا ، تتغير المواقف	
يبرز الأب بمظهر القوة ، القائد ، الإشعاع الرجولي . تريد " الزواج " بأبيها	تصبح الأم منافسة لها . لأنها تسترعي انتباه ، حمالية وحب الأب . تدفع عنها أمها بدوافعية .
تضع أباهما " كمثل أعلى " لها و يصبح في بعض الأحيان هو الرب .	تدخل في منافسة مع أمها لكسب أبيها . ولكنها تميل لتكلمد أمها لماذا ؟ للإغراء . فهي تحاول أن تكون أكثر جاذبية من أمها . (أنها الفترة التي تحاول فيها البنات أن تسفر من أمها ، و تصغرها في عين أبيها ... و كذلك أمام الآخرين)
تلعب دور المرأة تجاه أبيها و الآخرين	تطمع في إغراء أبيها أكثر من أمها له .

نحن في سن الكبير	
تغير نظرتها على أبيها ، يصبح ذلك الأب المحبوب ، لكن ليس الرجل المطلق !	لن نتنافس مع أمها على أبيها ، فهي أصبحت مستقلة ، و تعتبر أمها بمثابة صديقة لها .
تهجر " ذهنيا " أباهما ، و تنتبه للرجال الآخرين	تتكمّل ثورتها
تتزوج بشكل طبيعي	

فقد جسدنا ، عن طريق هذين الرسمين البيانيين ، الطريق الطبيعي . و قد
يمتد عادة طيلة خمسة عشرة إلى ثمانية عشرة سنة .
و قبل التطرق إلى الطريق غير الطبيعي ، يجب أن أذكر بما يلي :

الجنس

رأينا في الصفحة 186 أن الجنس يعتبر غريزة مثل أية غريزة أخرى .
فهي غريزة فطرية تظهر مع الولادة . فلناختار حينما نشاهد طفلا في
السنة من عمره يملك غريزة جنسية مثل إبتلاكه تماما لغريزة البقاء . و
أذكر أيضا أن الغريزة الجنسية (و التي تكون ذات صيغة منتشرة عند
الطفولة) لا يمكن خلطها مع العضوية للتاسلية . فالتناسل العضوي يظهر
بعد البلوغ و يصبح يسمى " بالرغبة الجنسية " الحقيقية ، و الشعورية .
فالجنسية المنتشرة و اللاشعورية تظهر أليا عندما يلتقي جنسان متعاكسان
مع بعض . و قد عرفنا أن " اللهو " يوجد خارج المعالم الأخلاقية . فمفهوم
" زنا الأقارب " لا معنى له عنده . مثل مفهوم الشراسة عند الذئب تماما .
" اللهو " " الجنسي " لا يعرف إلا للزوات الغريزية ، تماما كالغريزة
الطبيعية للاكل و الشرب .

فمن البديهي أن تظهر الجنسية المنتشرة في العائلة الواحدة ذات تمثيل
جنسي مغاير .

في عقدة أوديب :

الطفل : يوجه الجنس نحو أمه



الابنت : توجه الجنس نحو أبيها



هذا يساعدنا على فهم الطرق غير الطبيعية . و هي متعددة كتعدد
الإحساس الإنساني . قبل التطرق إلى عقدة أوديب الحقيقية نشاهد ثلاث
حالات جد شائعة :

أ رجل متزوج يحب كثيرا زوجته . و لا يقدر على ممارسة العلاقة
الجنسية معها . و لكن هذه الممارسة الجنسية يستطيع فعلها مع امرأة
أخرى ذات مستوى اجتماعي أدنى .

ب) يوجد رجل في حالة عجز جنسي نحو زوجته . في أحد الأيام سئمت زوجته من هذه الحالة ، فاتخذت لنفسها عشيقا . و تدور الأيام ، و ترجع للزوج قوته الجنسية الطبيعية .

ج) شاب يقوم بخطبة عدة فتيات . و كل خطبة رسمية يمر بها ، تغطسه في حالة قلق كبير ، و يكون ذلك سببا في إلغاء خطوباته ، معتذرا بشتى الأسباب . و لكن في نفس الوقت ، فإن هذا الشاب تربطه علاقات جنسية مع " بانعات الهوى " و بكل نجاح .
ماذا يحدث ؟ ...

نعرف أن لدى الطفل ميولا طبيعيا في تعلقه بأحد الوالدين ذي جنس مخالف له .

إذن : طفل نحو أمه

بنت نحو أبيها

إذا كانت هذه الميول تستمر بشكل مفرط خلال المراهقة؛ هناك " تثبيت " في هذه الحالة :

الطفل :

" يثبت " فكره على أمه

يتقمص شخصية أمه

يصبح مثل أمه

يصبح أنثوي الطبع

البنت :

تتعلق بأبيها

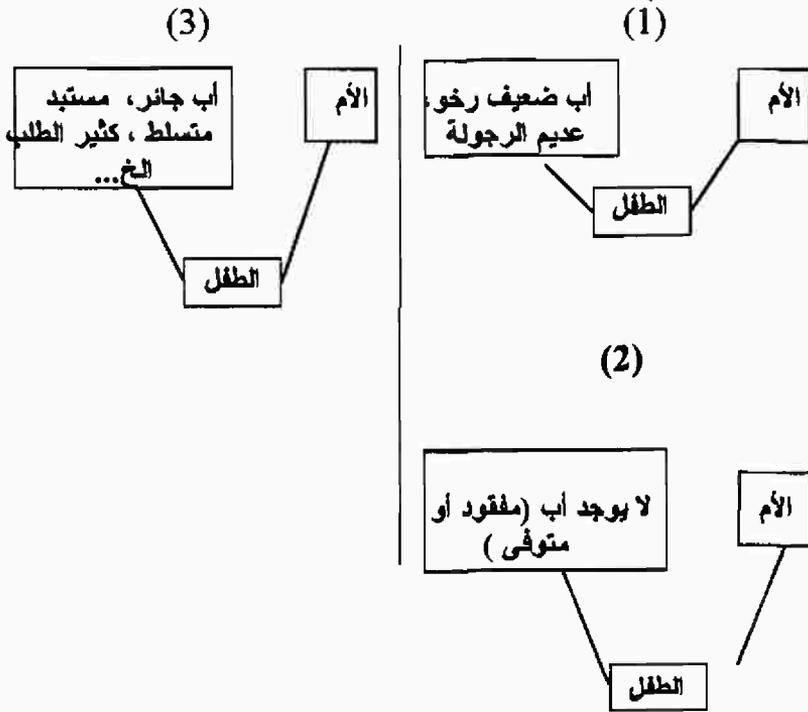
" تثبت " فكرها على أبيها

تصبح مثل أبيها

تصبح مترجلة الطبع

كيف يحصل التثبيت ؟ عندما يختل توازن أحد كفات الميزان .
فلنأخذ مثلا للطفل ، لأنها أكثر الحالات إنتشارا .

عندما يغيب الأب الحقيقي ...



1 و 2 ؛ هذه الإمكانيات متقاربة . في كلتي الحالتين يكون دور الأب مفقودا . أعتبر إذن هنا أن الطفل قد تربي من طرف أمه .

و لإتجاح هذا النوع من التربية يجب توفر كنوز من التوازن و التفهم !
قد عرفنا أن الطفل الشاب لا بد عليه من الدخول في تنافس رجولي مع أبيه . و هو ضروري . تطوره الذكري بهذا الثمن . لا بد على الأب أن يكون مثلا أعلى يجبر الطفل بمساواته أو تجاوزه . حيث أن 1 و 2 المنافسة تكون مستحيلة بالنسبة للطفل . لا يمكنه الدخول في صراع مع رجولة أبويه منعمة ...!
ماذا يحدث إذن ؟

لا يصبح الأب منافسا للطفل . فلا توجد لدى هذا الأخير إذن " أرضية للتدرب " عن الرجولة . فضلا عن هذا ، فالأم توجد في حالة تعاسة لعدم امتلاكها لرجل حقيقي ، فتوجه بعدها كل حبها و اهتمامها لأبنها ، و الذي بدأ منذ الآن بالافتقار لرجولته ! فتخاطر بتعلقها بابنها ، و الاستمرار في احتضانه الخ. و هي حالة كلاسيكية " للطفل المحتضن تحت عباءة أمه " . حيث أن الطفل يبحث عن قائد و موجه له و كذلك عن أمه . و تصبح الأم هي أمه الوحيد . و هناك كذلك خطر التعلق بها . هناك إذن تعلق مزدوج من كلا الطرفين ، دائما يضع رجولة الطفل في موضع الخطر . و تصبح الأم إذن المرأة الوحيدة في حياته ، و أيضا هي المرأة المثالية التي يوجه لها كل حبه (و كذلك كل جنسيته المنتشرة) ماذا يحدث عادة ؟ الجنسية الغريزية للطفل تصبح ملازمة للاحترام المطلوب تجاه الأم . و يمتد بذلك الحب - المحترم لكل النساء .

و عندما يصل إلى سن الكبر ، يحاول توجيه انتباهه نحو النساء الأخريات . فيقوم " بتحويل " حبه النقي الذي كان يحس به دائما نحو هذه النساء . يصبح لا يقدر على تحقيق التوافق بين الحب و الفعل الجنسي . فكل حب يشعر به تجاه أية امرأة ، يصبح احتراما مطلقا يمنع كل علاقة جنسية . و القانون التالي يوضح :

حب = عواطف محترمة + جنس + ممارسة عضوية تناسلية يصبح بالنسبة له :

حب = عاطفة + احترام مطلق مع الامتناع عن الممارسة الجنسية .

و أرجع الآن إلى الحالات الثلاث في الصفحة 196

أ - هذا الرجل غير القادر على الممارسة الجنسية مع زوجته ، بينما يمتلك جنسية عادية مع نساء أخريات من مستوى اجتماعي أدنى. لماذا ؟ لأنه ليس من الضروري احترامهن تاركا العنان لفرانزه الجنسية دون أن يكون هناك تلك اللعبة التي تذكره بالحب = احترام دون جنس .

ب - زوجة ذلك الرجل العاجز جنسيا تقوم بمصاحبة عشيق لها ، بعدها يصبح زوجها متمكنا جنسيا لماذا بصفة عامة ؟ لأنه و باتخاذ زوجته

عشيقا لها ، توقفت عن دورها " كام " و أصبحت ليست جديرة بالاحترام (1)
ج - تضع الخطوبات الرسمية التي يقوم بها هذا الشاب أمام مستقبل جنسي شائك . و يظهر عليه القلق حين يشعر بتطبيق ذلك الميكانيزم عليه الاحترام = فقد الرجولة فيبحث بعدها عن كل الفرص لتفادي هذه الزواج ... لكي يعود من جديد يبحث عن دلائل لنفسه ذاتها ، على أنه باستطاعته إسقاط النساء في شبাকে . و يتم فعلا الغزو ، و يحدث العجز الجنسي المستقبلي من جديد أزمة الهروب . و هذا مثال حقيقي لما يسمى الدون جوان Don Juan بينما يتشابه نجاحه الباهر مع " بانعات الهوى " الحالة (أ) .

من جهة أخرى ، فمغازلتهم للنساء عادة ما تكون سهلة جدا . و ذلك ما يتسم به من طباع أنثوي فيه نوع من اللطف و الرقة المفرطة ، فهم يبادرون دائما باللباقة و المجاملة الخ . هذا الانتباه يؤثر في المرأة ، و يوقظ إحساس الأمومة فيها . مما يجعل ذلك الرجل يبتهج لمثل تلك المواقف ، لأنه " يبحث عن أم " من خلال كل النساء . حتى يأتي الوقت الذي لا بد أن تتغير فيه الأدوار ...

إننا كلنا الأب كثير الاستبداد و الهيمنة :

قبل كل شيء يجب علي أن أذكر أن الإنسان المستبد هو إنسان ضعيف فالاستبداد هو وسيلة لتعويض النقص .

فهنا أيضا تكون المنافسة بين الأب و الطفل من ضرب المستحيل . فإما أن يخاف الطفل من أبيه و يختبئ عند أمه ، و إما أن يشعر بضعف أبيه الفعلي ، و تصبح أمه هي أمه الوحيد .

هناك أيضا خطر ظهور تعلق الأم بابنها . لماذا ؟ فعدم استطاعتها توزيع حبها منصفة بين أبنها و زوجها تكون مضطرة لإعطائه جملة لولدها . و يصل هذا الأخير إلى سن العشرين برجولة مكسورة . و نسقط من جديد في الحالة السابقة .

* - فلا تعتقدون أن هذه المواقف هي خارقة للعادة . بالعكس ، فالشوارع تعج بها . و هي في تزايد مستمر مادامت التربية مفقودة . يسمع المختص

(1) يلعب هنا ميكانيزم آخر : الجنسية المثلية . سوف نتكلم عليها

في علم النفس بمكتبه الآلاف من الشكاوى و الاعترافات في هذا المجال .
تتطلب هذه التربية (حين يكون الطفل دون أب أو له أب ضعيف) الكثير
من الحكمة و المهارة . فوجب على الأم أن تعطي ابنها كامل الحب ، و
لكن لا يجب أن تتعلق به ، و هذا شيء صعب ، بما أنها توجه كل حباها
لابنها ! أيضا هناك ميكانيزم لا شعوري يمكن له أن يلعب دورا الا وهو :
يمثل الطفل بالنسبة للأم حبا الوحيد و مصدر " أمنها " . فكل شيء يصبح
على أحسن ما يرام كلما بقي الطفل على حالته الصغيرة ؛ بمعنى لم تظهر
بعد ملامح الرجولة فيه . فترغب الأم إذن و هذا لا شعوري أن يبقى ابنها
طفلا صغيرا لأطول مدة ممكنة . فتحاول الأم أن " تؤنث " ابنها ، لكي
يبقى ذهنيا بجانبها . و كما أن الطفل يفتقر لأبيه ، يكتب عادة لهذه اللعبة
اللاشعورية بالنجاح . لأن :

أ) الطفل يفتقد لمثال رجولي يمكنه من التشبه به أو تجاوزه ؛

ب) تفعل الأم كل شيء من أجله ، و تعطيه كل ما يريده ، و هذا خطر
على الطفل الذي يعتاد على الحول المثالية ، و سهولة الحياة ...

فلماذا يحاول إذن استعادة رجولته ، مادام ثياب أمه على مفاصه ؟... و إذا
كانت الأم ، فضلا عن هذا ، متسلطة ، فهناك نتائج أخرى يمكن لها
الظهور . و أنصح هنا مراجعة الأشخاص المنهكين ص 134 .

و نفهم إذن أنه من الضروري أن نتعرف على بعض الميكانيزمات
النفسية . إنه صعب جدا قيادة زورق الحياة ، حتى بوجود مجدافين . و لكن
توجيهه بمجداف واحد يصبح من ضرب الخيال . فالمرأة الفاقدة لزوجها و
تكون مضطرة لتربية ابنها لوحدها ، فإنها توضع أمام أصعب دور يمكن
وجوده ، لأنها لا بد عليها أن يتوفر فيها و في نفس الوقت رجولة الأب و
أنوثة المرأة ... و إذا ما استطاعت الأم تجنب التعلق أو الهيمنة فإنها
جديرة بكل الاحترام و التقدير ...

عقدة أوديب باتم معنى الكلمة .

هاهي الآن عقدة أوديب باتم معنى الكلمة . كل لحظة يتطور فيها الطفل ،
يمكن أن تكون مصدر عدم تكيف نحو الأباء . و هذا نظرا لآلاف الأسباب
للممكنة الحدوث من بينها(الظروف الخارجية ، مواقف الأباء ، الهشاشة
النفسية للطفل الخ)

فالميكانيزم الذي تتميز به عقدة أوديب هي في غاية الدقة و كذلك المنطق ؛
الطفل يريد أمه لوحده ، أبوه يصبح منافسا له ؛ فهو إذن يغار من أبيه و
يريد التخلص منه، و ينتج عن هذه الغيرة،عدوانية تجاه الأب

هنا يصبح المسار غير طبيعي .

من جهة الطفل يعجب بأبيه . و من جهة أخرى يحس بالعدوانية و الغيرة
تجاهه . ينتج عن هذا التناقض تأنيب الضمير و القلق . يحس الطفل بالذنب
نحو أبيه ، و لكن دون أن يدري لماذا . (كل هذه الميكانيزمات هي لا
شعورية و مكبوتة) .

كيف يشعر الطفل بالذنب تجاه أبيه، إنه يحاول نيل رضاه. ولكن هو
يجهل لماذا يرغب في نيل رضاه! يجب عليه إذن البحث عن الشيء الذي
يسمح من خلاله نيل رضا أبيه...

يحاول الطفل إذن تقليص حدة عدوانيته .كيف؟ باكتساب إعجاب أبيه
له! عن طريق كسب تأييده له ، سماحته، و الإعجاب به.هل يفعل الطفل
ذلك مظهرا لأبيه لرجولته الذاتية ؟ لا، بالطبع، لأن هذه المواجهة بالذات
(الذكر مع الذكر) هي التي خلقت ذلك الجو الذي يسوده القلق و الشعور
بالذنب! يفعل الطفل إذن عكس ذلك تماما لكي يعجب لأبيه، لا بد عليه
التخلص من "رجولته" ، فُيستصغر بذلك نفسه، ويستضعفها، و يؤدي دور
الطفل الودود العاقل ، بدلا من دور الرجل.

وكل تسامح تعاطفي من طرف أبيه يقوم بتعويض قلقه . وتستمر هذه
اللعبة مدة عشرة إلى خمسة عشرة، عشرين سنة... ولما أصبح الطفل شيئا
فشيئا أنثوي الطبع ، فإنه "يثبت" نفسه أكثر فأكثر بأمه ، مما يقوي مرتين
هذا الميكانيزم...

و أحول هذه الحالة إلى الجدول التالي:

الطفل

تجاه أمه	المسار الطبيعي	تجاه أبيه
يريد أمه لوحده،يرغب في " الزواج "	تجاه أبيه أصبح أبوه منافسا له في امتلاك أمه . يدفع عنه أباه بعدوانية ، يعصي أوامر الكلام بذيء معه ، ثم يظهر بعد ذلك تأنيب الضمير و يتفشى في نفسه	

<p>القلق. يشعر بالإثم تجاه أبيه دون أن يدري مصدره . يرغب في نيل رضا أبيه .</p>	
<p>الطبيعي رفض لا شعوري لأي حضور للأب . ينبذ لا شعوريا أياه . يظهر الشعور بالذنب و القلق يحس بالإثم تجاه أبيه دون أن يشعر بمصدره . يرغب في نيل رضا أبيه</p>	<p>المسار غير رغبة دائمة في امتلاك كلي للأب</p>
<p>يجب أن يمنع مواجهة ذكر بذكر . ينزع عنه مظاهر رجولته . يضع نفسه دون مستوى أبيه . يقوم بإطراء أبيه ، و استصغار نفسه لئيل رحمته و عطفه .</p>	<p>يتعلق بأمه يصبح أكثر فاكثرا ذا طبع انثوي يتثبت بأمه .</p>

و عندما يكبر

عندما يصل إلى سن الرشد ، يقوم " بتطابق " نظرته لأبيه إلى جميع الرجال ، هو الذي يحكم عليهم أنهم أعلى مستوى منه . يشعر بالدونية و الأنوثة . (حتى و إن قام بالتعويض عن طريق العدوانية) فإنه يضع نفسه بشكل ألي دون ذلك الرجل الموجود أمامه (الذي يطابق مظهر أبيه) . فالمصائب بهذه العقدة ، ينكره مسئوله في مكان عمله بأبيه : المدير ، من رتبة العريف إلى اللواء ، أساتنته الخ بجانب كل ذلك ، فإن الإحساس بالذنب (الشعور بأنه على خطأ) لا يفارقه أبدا .

هناك حالات كثيرة و متعددة الأنواع . و يوجد آلاف الظواهر الصغيرة التي تبين هذه العقدة للشعور التحتي ، و التي لا تظهر منها إلا الأعراض . الكثير منهم يفعل المستحيل لكي يرضي الآخرين . لماذا ؟ هل لإرضائهم فعلا ؟ ليس كذلك و لكن لكي ينال منهم تأييدهم ، عطفهم ، و كذلك رحمتهم عليه . يريد إرضاءهم خوفا من إزعاجهم ؛ يريدون التخلص من

الإحساس بالذنب بتحسيس أنفسهم أنهم محبوبون و مرغوبون من طرف الآخرين . مثال:

- س ... يطرح كثير من الأسئلة على مسنولييه في العمل . أسئلة يعرف جيدا إجابتها . لماذا ؟ لكي تكون له حياة طفل مهتم ، و يعتبر الآخر دليلا له . لكي يبين مدى ثقته في الآخر و يخشى فوق كل هذا ، عدم تأييد الآخر له أو لا مبالاته .

- ي ... و دون شعور نجده يفرح و يبتهج كثيرا عندما يتحصل في عمله على عقوبة التوبيخ . و أعلن مسنوله قائلا : (هذا التوبيخ سوف يعمل إلى إعادة تجديده كلية ، لأننا لم أفهم شيئا ، فكأنما يريد نفسه ... فلا يعمل بشكل جيد أبدا ، إلا بعد حصوله على هذه العقوبة التوبيخية ...) لماذا ؟ لأن هذا التوبيخ يمثل بالنسبة له " قسوة أبيه " ! و إعادة تجديد نشاطه بالعمل الجيد يعيد له اكتساب الرحمة ، العطف و الرضى . و يشعر بالفرح لأنه أحس أنه عفي عليه ...

- ز ... سائق سيارة في الخمسين من عمره ، إنسان ذكي جدا يعلن لي : " ... إنه يظهر على ما أقوله السخافة ، و لكن لا أفهم ... تعلم أنني لست متهورا في سيارتي للسيارات ؟ حسنا ! و لكن عندما أرى رجل الأمن في مفترق الطرق ، أصبح أحترم قانون المرور بشكل لا ينافس . و لكن لا يعني هذا احتراما للقانون في حد ذاته ، أو خوفا من العقوبات ، لا ليس هذا ، و لكن هو أعمق بكثير . يتهيا لي أنني أرغب في تحسيس الشرطي باحترامي للقانون ... حيث أنني لا أعرفه و لن أتقابل معه ربما أبدا ... و يأتيني الإحساس بعدها أنني طفل صغير ، يلاحظ من طرف أبيه ، و الذي يقول : (شيء جيد ما تفعله هذا ...)

و أهني هنا ز ... على ذكائه المتبصر ، الذي استطاع بفضل دفع الملاحظة الذاتية إلى هذا المستوى . و عند تحليلنا لحياة السيد ز ... تبين من خلاله أن عقدة أوديب مكنت منه . فهذه للتفاصيل الصغيرة (و التي يوجد منها المنات) تثل بأن رجل الأمن يمثل سلطة الأب . و إذا كان ز ... يقوم بسياقه لا مثيل لها ، فهذا ليس خوفا من تسليط عقوبات قانونية عليه ، و لكن ليتحصل ، حتى و لو من بعيد على إعجاب ، و سماحة الشرطي ، و التي لها معنى قريب من العفو .

عقدة أوديب و العذاب

إن تأثيرات هذه العقدة متعددة و في أغلب الأحيان مؤلمة . ففي الحياة العادية يوجد المئات من السلوكيات الإنسالية التي لا يشعر بها الفرد بوضوح ، بل تبقى في جل الأحيان مبهمة ، تسبب الضيق الشامل ... و تذهب تأثيراتها أحيانا إلى أبعد حد . حيث تبدي حياة أفراد بشكل كلي . كما تسبب هذه العقدة لصاحبها تمزقا عقليا . و فقدا للرجولة العامة . و نظرا للاستصغار المستمر لذاته ، بأنه يشعر حينها بالضعف و الإحباط أمام أي موقف يستدعي منه إيراز رجولته . و يسبب له ذلك ضيقا أمام أخذ مسؤولياته أو أخذ أي قرار ، و يشعر بالإحساس المستمر أنه مذنب و على خطأ . و يشعر بالتخاذل أينما ذهب . عدم اهتمام الناس به أو توبيخه يفجر لديه قلقا مبهما ، في أغلب الأحيان مؤلما . أكرر أن كل هذه الاحساسات ليست شعورية أبدا ؛ و لكن يمكن للتحليل النفسي أن يطفو بها إلى السطح بأكملها . و بما أن الإنسان المصاب بهذه العقدة يكون مستحوذا من طرف الدونية ، فإنه كذلك يكون في بعض الأحيان مستحوذا من قبل فكرة الاستبداد . فهو إذن إنسان جاف ، جانر ، مهيمن و متموري ، فكم من مرة نرى هؤلاء الأشخاص يسقطون في الانهيار العصبي أمام أول مسؤولية يواجهونها ، حتى و لو كانوا هم بالذات الذين طالبوا بها أو تقبلوها ؟

و يدخلون الانهيار على حساب الإرهاق العصبي . و لكن في الحقيقة و هذا لاشعوري فإنهم يخافون من المسؤولية لأنها تخيفهم و يشعرون بضعفهم عند تقلدها . كل مسؤول فهو بالنسبة لهم يمثل أباهم (أو يمثل أمهم ، إذا ما كانوا قد تربوا من طرفها لوحدها و كانت متسلطة) . و تقضي حياتهم كلها للفشل الداخلي و القلق . الطفل يكبر و يبقى طفلا صغيرا . ملايين الحالات المتشابهة تقفز مباشرة إلى الأنتظار ، يكفي أن نرى من حولنا ... خوف شديد من نبذ الآخرين لهم . و عندما يحدث هذا (كما كان حالهم في صغرهم) فإنهم يفعلون كل شيء للنيل من جديد العطف و التأييد . فقد للرجولة هذا يمس كذلك الجانب الجنسي . و يحصل بذلك الملايين من حالات العجز الجنسي أو الجنسية المثلية المعلنة أو للكامنة .

نفس الخصائص غير الطبيعية هذه يمكن أن تبرز عند المرأة ، حتى ولو كان ظهورها نادرا . و هاهو تخطيط بياني . يوجد عندها كذلك الطابع الدوني ، و تأنيب الضمير فهي تخاف من الحب ، و من الرجال ، تخاف حياة الأمومة ، و المسؤولية .حياتها الزوجية يغلب عليها البرودة الجنسية ، و هي في تنافس عدواني و لاشعوري مع زوجها ...إلا إذا بقت على حالتها الطفيلية .

البنات

تجاه أمها	تجاه أبيها
تصبح الأم منافسة لها .تدفع عنها أمها بعدوانية (كما في الميكاتيزم الطبيعي)	يظهر الأب كقوة، مثل أعلى لها . فهي تريد " الزواج " بأبيها
ترفض و هذا لاشعوريا وجود أمها تنبذها بلا شعور . يظهر بعد ذلك القلق و تأنيب الضمير	تريد الامتلاك الكامل لأبيها . و التي تضعه مثلا أعلى لها .
تسهر بالإثم تجاه أمها دون أن تعلم مصدره و لماذا . ترغب دوما في نيل رضاها .	تتعلق بأبيها
تضع نفسها " تحت مستوى " أمها ، و عند تهنيتها الصفات الذكرية فلا يوجد بعد ذلك خطر الاصطدام امرأة بامرأة	تحاول أن تتساوى مع أبيها ، لتتحصل على الإعجاب ، فتضفي على نفسها صفات الذكور .
و إما لنيل رضا و عطف أمها ، فهي تقوم بدور " الطفلة الصغيرة " فتصبح بذلك امرأة - البنت	و إما تتأنت بشكل مفرط جدا . لكي تحصل على الحماية المطلقة و الحنان الكامل من طرف أبيها فتصبح بذلك المرأة - البنت
كس مسن الرشد	
تتمتع بالصفات الذكرية ، تبحث على أن تهيمن على الأخريات ، و هي شاعرة أنها أضعف منهن	و هي منكرة الصفات ، فهي تلزعج كثيرا من الرجال العاديين . و هي حالة بعض النساء نوات البرودة الجنسية . و إما :

المرأة الطفلة ، تبحث عن حنان و
حماية قبل بحثها عن الحب الحقيقي ،
لأنه يستحيل عليها .

تصبح هذه العقدة مرضية عندما يحصل تثبيت تجاه الوالد من الجنس
المعاكس مصحوبا بالشعور بالذنب تجاه الوالد من نفس الجنس . و يكون
أكثر مرضا عندما يكون الشعور بالذنب شاملا . و هي حالة ذلك الرجل
الذي بعدما كان يشعر بالذنب و هو طفل ، يصبح يشعر به تجاه كل من هو
أسمى منه . و نلاحظ مرة أخرى أهمية التوافق العائلي ؛ يسوده رجولة
أبوية طبيعية ، و أمومة أنثوية طبيعية . و يمكن القول أنه إذا كانت عقدة
أوديب تظهر بنسبة عشر مرات على عشرة (لأنها من القوانين الكونية)
فالتخلص منها يكون أقل بكثير مما نعتقد . فثمانية أشخاص على عشرة
يحملون آثارها العميقة .

عقدة ديان *LE COMPLEXE DE DIANE*

اتعرفون ديان - الصيادة ، المرأة - الرجل بامتياز ، و أحد " أرباب " الصيادين ؟ هاهي موجودة في علم النفس اليومي .
فالتحويل الذكري المفرط لدى المرأة يكون لعدة أسباب . أهمها : عقدة
أوديب التي كنا بصدد دراستها . و هاهما سببان كثيرا الانتشار :

(1)

راينا، عند دراستنا " لعقدة الخصاء " كيف الطفل ينتابه فرح شديد لتفوقه
الجنسي المتمثل في أعضائه الجنسية الخارجية .
لا يوجد في هذا شيء يدهش. فلا ننسى أن الفاليس أو القضيب Phallus هو
رمز عالمي للحياة ؛ كانت الديانات في قديم الزمان تمجده كثيرا .
عادة ما يحدث للبنات الصغيرة ، و لكن بشكل معكوس . تعتقد أنه ينقصها
شيء ما . فتظن بعد ذلك أنها محرومة. و تبقى تنتظر، معتقدة أنه " سوف
ينبت " و بما أنه لا يحدث أي شيء فهي تنمرد و تحس بالنقص .
هنا تلعب التربية دورا كبيرا . ألم نترك بعض الفتيات يعتقدن أن
"عضوهن لم ينمو لأنهن ينظرن إليه كثيرا...أو أنهم يقمن بلمسه...؟ " أو
انه لم ينمو عقابا لهن . و كل هذا يحدث لا شعوريا طبعا ، و لكن تظهر
آثاره عن طريق المحادثة بين البنات الصغار ، أو في رسوماتهن . و إما

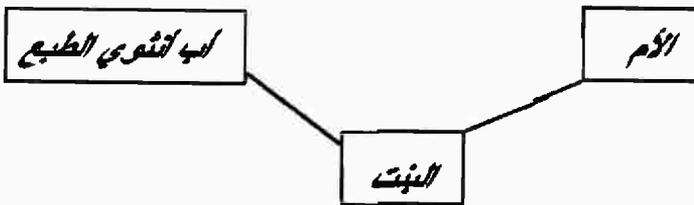
(و هذا يظهر عادة) عند سماع الفتاة ولديها يتحدثان بما يلي : (كنا نرغب في أن نرزق بطفل ذكر . لكن لم يعطينا الله إلا بنتا ... فما العمل ... سوف نصبر ... و بأسف شديد)

و على إثر ذلك تكره البنت جنسها الذاتي ، و تصبح تغار بشكل شرس من جنس الذكر ... و أمام هذا الإحباط فقد يتم التكيف أو أحيانا لا يتم ، كما في عقدة الخصاء . إذا لم يتم التكيف ، فإن البنت تشعر بالاحتقار تجاه جنسها الأنثوي (و التي تعتقد أنه أقل شأنا) و الغيرة نحو الرجال (و التي تعتقد بسموهم) . فلها إذن رغبة جامحة بأن تعوض ضعفها ، و ذلك بتحولها لرجل . تصبح مذكرة .

إنها في بعض الأحيان امرأة - مسؤولة ، تدير كل شيء بإشارة صغيرة من إصبعها ... (خاصة الرجال ، لأنها تريد استضعافهم !) و بما أنها تغير من الرجل فهي تحاول تحريض كل النساء ضده . إنها متسلطة و عدوانية . تحقّر النساء ، و تكره الرجال . و هي ليست لا امرأة و لا برجل ... و لكن تتعذب بشكل رهيب . إذا تزوجت " ديانا " هذه ، فهي دائما باردة جنسيا ، كونها تحقّر الجنس الأنثوي ! و دائما و أينما وجدت فهي تحاول إظهار جانبها " الرجولي المحض " فهي ترفض القيام بالأعمال المنزلية كباقي جنسها (ترتيب البيت مثلا) . يجعلها " الاستبداد البغيض للرجل " تتمرد .

أنهن نساء مستاءات في أغلب الأحيان ، لا يرضيهن شيء . و يمكن إنقاذهن بوسيلة واحدة ألا و هي : الأمومة . خاصة إذا أنجبت طفلا ذكرا ! لماذا ؟ لأنها و بإنجابها لطفل ذي جنس ذكري ، فإنها تحس بمساواتها مع الرجل . و لكن أغلب الأحيان تبقى مستبدة ، و تواصل رفضها لدورها الأنثوي ... و التربية التي تعطيها هي بدورها لأبنها سوف تكون كارثة .

(2)



نفرض أن هذا الأب أصبح أنثويا بفعل عقدة أوديب. يعتقد أنه يكره النساء؛ ولكن في الحقيقة يخافهن. ويخافهن لأنه يحس بالدونية، و عدم القدرة على الرجولة الذكرية. و في الكثير من الحالات، فإنه يقوم بتحويل ذلك "الحقد على النساء" لابنته بالذات، و يفعل كل ما في وسعه أن لا تصبح أبدا امرأة.

* - يحاول إضفاء صفات ذكرية عليها، فهو مفرط الإعجاب بها خاصة عندما تقوم بأي فعل رجولي. فتراه يضخم من قوة أبنته، في مهارتها عند القيام بتمرينات رياضية، برشاققتها، بعضلاتها، و يبتهج كثيرا " إذا عملت مثل الرجل" و إذا انتفخت عضلات ساعديها.

و بهذه التربية فإن البنت تصبح ذهنيا ذكرا. و يقلقها في أغلب الأحيان ذلك البروز للعلامات الأنثوية لديها. و تفقد في بعض الأحيان حتى لطمثها (العادة الشهرية)! و نتصور إذن قوة القلق المستمر الذي يحدثه ميلان متعاكسان الأ و هما :

أ - الرغبة العميقة للأنوثة

ب - رفض الأنوثة الذي ورث عن طريق التربية العائلية.

و هي كبيرة، فإن هذه المرأة تدفع ثمنا غاليا جراء ميولها المتناقض أولا تجاه نفسها بالذات (قلق، رهاب، أمراض، إصابات عصابية) ثم بعد ذلك لمحيطها الخارجي. فهي تظهر مطمئنة داخل ذكورتها، بينما هي في الأم كبيرة، و إحساس عميق بالنقص و الذي لا يبرحها أبدا ...

هنا طبعا أسباب أخرى تكسب المرأة صفات ذكرية. سبب كثير الانتشار و هو : أب مستبد بشكل رهيب، يهيئ دون انقطاع أبنته، و يقوم بإحباطها، و كذلك بإذلالها. إلى حد ظهور الحقد و الكره لدى البنت. فتحول بعد ذلك، هذا الحقد لجميع الرجال، بشكلين مختلفين :

أ - فهي ترفض " الخضوع" للرجل الذي تحنقره. ترفض إذن أنوثتها، و تصبح مذكرة. و توجد في تنافس عدواني مع الرجال. إذا تزوجت تصبح باردة جنسيا. و إذا ولدت طفلا ذكرا فهي تعمل كل ما في وسعها ليبقى أنثوي الطبع.

ب - تبقى محافظة على أنوثتها، لكن ترفض الخضوع للرجال، فتدور إذن نحو المرأة المذكرة لتلعب معها دور الرجل. و تسقط في الجنسية

المتلبية النسائية . إنني لم أذكر بعض الحالات ، المختارة من بين العدد الأكثر شيوعا . وهناك الكثير . و أردت أن ندرك مدى الآلام التي تنتج عنها . و هل يمكن أن نقوم الآن بالحكم ، و نحن نشاهد عظمة الأساليب المستعملة من طرف اللاشعور ؟...

عقدة كايين - Cain

إنها الأكثر بساطة و الأكثر اشتراكا . يحدث عندما يعتقد الطفل أنه فقد مكانته الوحيدة في عطف و حنان الوالدين ؛ إذن بعد إنجاب الطفل الثاني . يتصرف الطفل غالبا عن طريق حقد شديد تجاه أخيه الأصغر . و لكن كل شيء مرتبط طبعاً للظروف و مواقف الآباء .

هذه العقدة (طبيعية جدا عندما يتم التخلص منها) تظهر عادة في أحلام الطفل ، أو في الرسومات التي يقوم بها .

حلم جاك عشر سنوات من عمره

يمشي جاك مع والديه وسط سهل شاسع. الشمس قوية، و فجأة يظهر نهر، انحنت أمه على هذا الأخير لتسحب منه دمية ، و بعد ذلك أدارت وجهها إليه ، و قامت بطرده . و ثب جاك على الدمية التي في يدي أمه و نزعها بقوة ثم رماها في الماء .

هذا الحلم هو بسيط جدا . الدمية التي أخرجت من ماء النهر تمثل الأخ الصغير لجاك . يتفاعل بقتل أخيه (برمية في النهر) . تقوم الأم في الحلم بطرد جاك . حيث أن هذه الأم تعتبر شخصية ذكية ، لأنها لم تقم أبدا بإحباط جاك أمام أخيه .

إن هذا الحلم يبين تفاعلا للشعور التحتي ، و الذي لم يؤثر عليه بتاتا مواقف الأم .

هذه العقدة تفسر نفسها جيدا! بالنسبة للطفل البكر، يعتبر الأخ الصغير (لا شعوريا) منافسا له. و الذي يترجم، ظاهريا، بالعدوانية، الاستهزاء (يقوم بالتخلص منه عن طريق الإهانة) ، التنافس ، و الصراعات الشرسة ، النزاعات و الحقد أحيانا . يمكن لهذه العقدة أن تزول ، أو تصبح عصابة ، متمثلة في الشعور بالنقص ، الإحساس بالذنب ، العجز ، الضغينة .

فالتخلص من هذه العقدة مرتبط أساسا بالوالدين ، و الاستعداد المسبق للطفل ، سوف نتكلم عن هذا في الشعور بالنقص .

و تتحول هذه العقدة غالبا : حين يقوم البكر بحماية أخيه الأصغر . و بهذا يصبح الأصغر مستضعفا بالنسبة للبكر ، و الذي يحتفظ بدوره الرئيسي عند أبويه ... و هذه اللعبة الصغيرة تكمل عملها ... لأنه قصد كل هذا هو تجنب الإحساس بالإهانة و النقص ، و لكن عند الأخ الصغير هذه المرة ... هذه العقد الثلاثة الكبرى ، و يجب اعتبارها (عند ظهورها) على أنها طبيعية، فتطورها مرهون بقسط كبير بالجو العائلي. فمثلا عقدة أوديب يتم التخلص منها بسرعة إذا كان الطفل يعيش بين أب ذي رجولة طبيعية ، و أم ذات أنوثة كذلك طبيعية. و لكن هناك خطر استمرارها عندما يكون الأب ضعيفا و إذا كانت الأم كثيرة التعلق . كما رأينا من قبل .

تتلاشى كذلك هذه العقد عن طريق الكبت . الطفل الذي عنده نزوات عدوانية تجاه أخيه الأصغر يقوم بكبتها . و حسب الظروف فهذا الكبت يمكن أن يبقى طبيعيا أو يتحول إلى عصاب(حسب مدة و شدة استغراقه) . يتعطل بذلك النضج ؛ و يظهر بعده الخجل ، العدوانية ، القلق ، الشرود، بعض اختلال الطباع يستطيع أن يذهب حتى (ارتكاب الجنح) . و نلاحظ أكثر فأكثر ، كم أن مستقبل الطفل مرهون بكيفية حل لتلك العقد ، و التي هي عقد طبيعية في حد ذاتها، و لكن تطلب الحل بصفة منسجمة .

العلاج عن طريق التحليل النفسي

بشكل عام ، يستلقي الشخص على (أريكة ، مثلا) ، بأكبر استرخاء ممكن . و يضع المحلل النفسي نفسه وراء المريض ، هكذا لكي لا يلتفت انتباهه . ثم يرجى من الشخص " أن يستسلم بعقله ؛ و يترك خروج كل ما يأتي على مخيلته. و خاصة لا يجب على الشخص أن يضع نظاما لأفكاره، و لا حتى أن يضمن تسلسلها المنطقي . كل شيء يجب قوله في لحظة التفكير به ؛ فهي بما يشبه " اللاواقعية العقلية " و يمكن ملاحظة في بادئ الأمر ، الصمت و التردد في الكلام ، و هذا شيء لا مناص منه ؛ لأن الشخص يكون في صراع بين ما يخطر على باله و أخلاقياته الذاتية . و لكن لا بد عليه أن يعرف أن المحلل النفسي هو مطلق الحياد ؛ و لا يصدمه شيء أبدا مما يسمعه ، لأنه يعتبر كل هذا شيئا طبيعيا تماما كالأكل و الشرب . و لا يخطر حتى على باله أن يبدي أي حكم أخلاقي. و إلا أصبح كالجراح الذي يرتبك عند رؤيته للجراح ! و شيئا فشيئا تعطى

معاني للكلام المنقطع. تاريخ بدء المرض، الطفولة، الأباء، الكبت، النزوات، التجارب المؤلمة، الجنس... كل هذا ممزوج بأفكار كثيرة و متنوعة، و ترددات، عدوانية، و صمت طويل.

ثم، عندما يحين الوقت المناسب، يتدخل المحلل النفسي. و يشرع في التفسير الحقيقي، و من البديهي أن يكون المحلل النفسي ذا مهارة كبيرة في تقربه للمشاعر الإنسانية؛ فالتحليل النفسي يعتبر مؤلماً كثيراً بالنسبة للشخص الخاضع له، فكل ما يوجد في قعر البحيرة يصبح طافياً على السطح. و أمام مريض متوتر، ناقم فيجب أن يقابل كل هذا بحرارة إنسانية كبيرة، و موضوعية تحليلية صارمة.

و لكن هناك شروطاً للعلاج بالتحليل النفسي أهمها:

* - **السن**: يجب أن يكون السن المثالي محصوراً بين خمسة عشرة و خمسة و أربعين سنة. أين تبقى الشخصية محافظة على مرونتها الضرورية لمثل هذا العلاج. بينما لا يعتبر السن حاجزاً مطلقاً تماماً. فنتائج جيدة يمكن الحصول عليها عند أشخاص مسنين، و أذكفاء.

* - **الذكاء**: الذكاء المتوسط مطلوب على أننى حد. لكن و خاصة يجب على الشخص امتلاك "أنا" منطقي، و قادر على فهم العلاج و المشاركة فيه.

* - **عدم وجود حالة - استعجالية**: فالتحليل النفسي ليس موجهاً للتدخل لحالات استعجالية. و لكن مباشرة بعد تحقيق العلاج المكثف الواجب مده للمريض (مثل: التحليل التخديري، الصدمة الكهربائية، الخ) و يمكن بعد ذلك ممارسة التحليل النفسي بكامل فوائده.

* - **مدة و قلم العصاب**.

كلما كان العصاب قديماً المنشأ، كلما وجب الحفر أكثر في الأعماق. بالطبع هناك الآلاف من التفاعلات الانعكاسية التي تتبلور حول الإصابة الأولية. فكل حياة الفرد تدور حول العقد النفسية الموجودة في الشعور التحتي: أفكاره، التفكير الذي يقوم به، نظامه، زواجه، طريقة تربيته لأبنائه الخ. ندرك بذلك الحذر الشديد الذي يجب اتباعه في هذا المجال من طرف المحلل النفسي فالأجزاء التحت الشعورية تطفو على سطح الشعور، و تبين للشخص في أغلب الأحيان أنه ليس ذلك الشخص الذي

يعتقده بذاته . يتعلق الأمر هنا إذن ، بعلاج المريض دون المساس بحياته الشخصية ، و لا حياة الأشخاص الذين يوجدون من حوله . يجب إذن على المحلل النفسي أن يأخذ بعين الاعتبار ، و هذا دائما ليس فقط المريض نفسه ، و لكن كل من تربطه علاقة وطيدة معه . و نفهم من ذلك ، أنه إذا أسس الشخص زواجه على عقدة موجودة في شعوره التحتي ، فيجب استئصالها دون المساس بعلاقته الزوجية! ... و هي تعتبر مسؤولية عظمى وضعت على عاتق المحلل النفسي . زيادة على هذا فإني أكرر ما قلته من قبل : يوجه التحليل النفسي كذلك لذوي التوازن السليم . إنها مدرسة إنسانية عريقة تعلم التبصر و التفهم .

إن تعلم المبادئ النظرية البسيطة في التحليل النفسي سمح للكثير من الأولياء بفهم ثم إعادة تقويم جو عائلي يسوده الاضطراب . و في الكثير من الحالات لم يكن حتى ضروريا للدفع بالتحليل النفسي إلى آخر خبايا العقل . و يسمح التحليل النفسي للجميع فهم ميكانيزما إنسانيا ضخما ، يظهر في الوجود كل يوم من أيام السنة ، و بالمقابل فإنه يسمح في أغلب الأحيان بالتوصل إلى تقبل الآخرين و إعطائهم كل الحب

تنتمس القوة على قاعدة الضعف

الفرد ادلر (1870-1937) ALFRED ADLER

الفرد ادلر يعتبر من التلاميذ الأوائل لفرويد . و تحصل على شهادة الدكتوراه في الطب و هو مازال في السن الخامسة و العشرين . و في عام 1907 نشر مؤلفا يحمل عنوان : دراسة حول النقص العضوي و تأثيراته النفسية .

و تفصله تصوراته عن منهج فرويد . نحن في عام 1911 ؛ قام ادلر بتأسيس المدرسة النفسية الفردية . و كانت كل اهتماماته منصبية حول تربية الأطفال الأشقياء . و منذ عام 1923 تحصل في نيويورك على منصب مدير إدارة اختصاص يعرف بعلم النفس الطبي .

الشعور بالنقص

" تبدأ عظمة الرجل ، عندما يبدأ في النظر لذاته كما هي "

حين ما كان فرويد منهمكا في تشييد إمبراطوريته حول اللاشعور و الجنس ، أخذ أدلار يبدن تلك الخاصة به على أرضية مختلفة تماما : الشعور بالنقص . و يصبح العصاب (1) عبارة عن شعور بالنقص عنيد .

ما هو الشعور بالنقص ؟

لا أتكلم بالإحساس بالضعف العادي . مثل طالب أمام أستاذه فهو يحس انه ضعيف أمامه سواء في المعرفة العلمية ، أو التجربة . و هذا شيء عادي و مؤقت .

الطفل يشعر أنه أضعف من أبيه . الإنسان يشعر بالضعف أمام قوة الطبيعة . عازف بيانو مبتدأ يشعر بالضعف أمام ممارس كبير الخ .

متى يصبح الشعور بالنقص حالة مرضية ؟

نأخذ مثال ذلك الشاب العازف على البيانو . هل هو أضعف من ذلك الماهر في العزف ؟ نعم ، كونه يملك أقل مهارة منه . و لكن فهو يحس أن هذا الضعف محصور فقط في مجال العزف على البيانو ، أولا . ثم أن هذا النقص لا يخلف أي عدوانية و لا إهانة . فهذا العازف ذو التشكيلة الطبيعية يكون شاعرا تماما بأنه يعرف أقل من الآخر . لكن لا يكون عنده إحساس العميق على أنه أقل منه . لأنه هذا هو الشعور بالنقص الفعلي . إنه مرض بشري . يصبح عصابا عندما يحدث الألم ، الخجل ، القلق ، الخوف ، الضغينة ، العدوانية ، الحاجة الملحة للتفوق على الآخرين ، و السيطرة عليهم يريد أن يكون الأول في كل شيء ، و يجب إهانة الآخرين . يصبح الشعور بالنقص عبارة عن تفاعل كامل للشخصية أمام أي إنسان مهما كان ، و في كل الظروف . إنها " مواقف عقلية " أحيانا شعورية ، و أغلب الأحيان شعور - تحتية ؛ و لكن تتحكم في كل أفعال الإنسان المصاب بها .

ما هي الحلول الاعتيادية ؟

من خصائصنا الإنسانية هو اجتناب الألم و البحث عن راحة البال . حيث الأشخاص المصابون بالشعور بالنقص يتألمون . ينتابهم شعور عميق بلا أمن ، الخوف ، و العجز . و بما أنهم يتألمون ، فهم يبحثون عن حلول .

(1) سوف يدرس العصاب في الباب V

شيء منطقي ، أي واحد في مكانهم يفعل مثلهم . يذهب هؤلاء الأشخاص في البحث عن شيء ما يخلصهم من الأهم الناتجة عن الإحساس بالعجز . ماذا يفعل الخجول الذي أمامه ظرف مفزع ؟ يصبح عدوانيا . نفس الشيء بالنسبة للشخص الذي يتألم من جراء الشعور بالنقص فتراه يبحث عن السمو . وإذا كان يتألم من الشعور بالعجز ، فإنه يبحث عن القوة والشدة . وإذا أحس أنه هيمن عليه ، فإنه يسعى أن يهيمن هو كذلك على الآخرين الخ . هذا هو الميكانيزم التعويضي . ويمكن إذن القول أن التعويض ينقض الحياة الأخلاقية لهذا النوع من المصابين بالعصاب . يمكن لهذا الإحساس بالعظمة و القوة أن يضعف من حدة القلق الناتج عن الشعور بالنقص و العجز ؛ فيسمح بذلك العيش على حساب تسويات حلولية مؤقتة . بينما لا يقضي التعويض أبدا عن الشعور بالنقص ؛ فهو يقوم فقط بتغطيته بواسطة معطف كبير من الأوهام ...

و لهذا فالكثير من الناس في حياتهم اليومية يحققون أشياء عظيمة بسبب شعورهم بالنقص . و يمكن الاعتقاد (كما أعلنت عنه من قبل) أنهم استطاعوا " تجاوز " هذا الشعور ؟ ليس كذلك . فإن الشعور بالنقص هو الذي حرك فيهم بحثهم عن العظمة (بحث في غالب الأحيان ما يكون داخل الشعور التحتي) إذا كنا نتألم جراء إحساسنا بالضعف ، هذا يدل على أننا مهاتون ، و محرومون ، نرغب بسرية على أن نقتع أنفسنا بالقوة . كل المستبدين ، كل المهيمنين ، كل المتسلطين ، كل العدوانيين ينتمون إلى هذه الحالة . تعتبر الحاجة إلى الهيمنة و العظمة دائما و أبدا من أعراض الإصابات العصبية .

ولكي نفهم جيدا .

سوف أذكر أفعالا ، تترك الكثير من الناس يتساعلون : (لكن أنا ... هل أنا مصاب بالعصاب أم لا ...)
أخذ مثلا : كاتب شهير يعلن لي : " إن إعجاب الناس بي ، لا أبالي به إطلاقا ... " و أوضح ثلاثة إمكانيات من المواقف :

(1)

هذه اللامبالاة تكون فعلية (سطحيا و باطنيا) إذا كان هذا الكاتب متوازنا ، متبصرا و نكيا . فهو إذن يعتبر كاملا بذاته . فهو ليس محتاجا إذن لإعجاب

الأخرين لكي يثق في نفسه . تفكيره طبيعي و يعكس الحقيقة .

(2)

نفرض أن هذا الكاتب مصاب بالشعور بالنقص ، و رغم كل مواهبه فهو يخشى أن يكون في المقدمة . إنه يخاف أن لا يكون في المستوى المرجو منه . فهو يتظاهر باللامبالاة نحو الإعجاب . يهرب من الآخرين . و لكي لا يدرك شعوريا لهذا الخوف و الهروب ، يعطي لنفسه الأسباب المهدنة، و التي يؤمن بها هو . فاللامبالاة تعتبر تعويضا ؛ و تفكيره غير طبيعي .

(3)

و نظرا للشعور بالنقص، يمكن أن يكون بحاجة للظهور بمظهر "الكمال" و "تجنب الثرثرة الكلامية التي يعلم مسبقا أنها لا تجدي نفعا !" . و هكذا يقوم بتقوية إعجاب الآخرين له " لبساطته " ؛ إعجاب هو بحاجة إليه ليحس بالأمن . تفاعل غير طبيعي ؛ يقدم أسبابا شعورية لا تمت إلى الحقيقة بصلة . إنه فعل " الإلتقان " إذن فهو مصاب بالعصاب . نشاهد إذن الفرق بين تفاعل طبيعي و تفاعل عصابي . فالتفاعل الطبيعي هو فعل صادق ؛ أما العصابي نجده لا يتناسب مع الحقيقة الداخلية . فهي كالثقور التي تغطي الجرح ، تملعه من الخمج .

بعض الأمثلة من بين الآلاف .

- **المجاملة** هي لعل يمكن أن يكون صادقا (و هذا الحسن الحظ) . لكن في بعض الأحيان يصبح أحد أعراض الإصابة بمرض العصاب . نفرض أن هناك شخصا ينزعج كثيرا عندما تتصب عليه العدوانية و الحقد من طرف الآخرين فقد يشعر حينها بالذنب ، و العسر و الضجر الخ . و لكي يتجنب كل هذا ، يصبح ينتهج طريقة اللطافة ، حب المبادرة و لا يتجرا على رفض أي طلب .

- **المراحة** . يمكن أن تكون طبيعية ؛ فهي عبارة عن عدم الاكتراث للشدائد، و نوع من اليسر الناتج عن القوة النفسية . متى تصبح عصابية ؟ عندما يتظاهر الشخص بالراحة و دون أن يعلم شعوريا . يفلت بذلك من القلق الناتج عن الشعور بالنقص .

مساحة المعرفة يعتبر شيئا طبيعيا في جد ذاته . لكن يصبح من اعراض العصاب : إذا كان الهدف منه خلق تعويضات لإهانات كبيرة مثلا . يكفي أن نرجع لحالة جاككين ص رقم 32.

التفراغة و الإخلاص هي صفات حميدة . و لكن يمكن أن تصبح كذلك من اعراض العصاب .

مثال : يكون الشخص مخلصا ؛ و لكن و دون شعور ، نراه يرغب في أن يعلم بهذا كل الناس . يؤدي أفعالا لكي يلاحظ الآخرون إخلاصه و نزاهته ، فيفضون له بأسرارهم ، و اشيايتهم الثمينة الخ... حتى أنه يحافظ عليها بشكل جيد . فيجني من وراء ذلك الإعجاب ، العطف و الثقة الخ الشيء الذي هو بحاجة ماسة إليه لضمان أمنه الداخلي .

الترغيب في العظمة و السمو هو شيء طبيعي ... رغم أنه نادر و للأسف ! و لكن رغبته في ذلك تكون تعويضا لشعوره بالنقص ، يعطي لهم إذن إحساسا بالقوة و الهيمنة .

و نشاهد أن التحليل النفسي فقط هو الذي يستطيع أن يحدد في ما إذا كان فعل أو إحساس هو عصابي أم لا . فالمصاب بالعصاب ذي النشأة الإستضعافية يدور دائما حول النقاط التالية: الحاجة إلى الهيمنة ، و القوة ، و الشدة ، و السمو و الإعجاب . تنتج إذن هذه الاحتياجات من الإحساس بالعجز و الضعف . إذن، هذا المصاب بالعصاب يفعل كل ما في وسعه لكي يمنع ظهور كل ما ينكره بضعفه .
مثال :

- يرفض بشدة قبول أية نصيحة .
- متناقض مع نفسه في بعض الأحيان بشكل شرس و مباشر ؛ مثل المرأة .
- يرفض " بكبرياء " كل مساعدة تقدم له .
- يريد إقامة حيثته دون مساعدة أحد ، لكي لا يصبح مدقنا لأي إنسان " و يرفع برأسه شامخا " .
- يرفض الاعتراف بالخطأ
- لا يقبل أي انتقاد له .

لماذا؟ بينما كل هذه الأفعال طبيعية جدا! لكن بالنسبة له تعتبر استسلاما و ضعفا. ماذا يقول هذا العصابي: (أنا لست ضعيفا لكي أقبل لصائح الغير ...) و الأجدر أن يقول: و بسبب ضعفي، لا أقبل أي اعتراف بوجود من هو أقوى مني و ذو خبرة أكثر مني (...)

إن هؤلاء العصائيين يريدون و بدون شعور أن يكون كل الكون بسير حسب أهوائهم. (و المحزن عندما يتعلق الأمر بالأباء تجاه أبنائهم) داخليا فهم لا يتنازلون أبدا و يفرضون على محيطهم الطاعة و الإذعان بأية وسيلة كانت (و لننتذكر الأشخاص المنهكون ص 134 .

و يظهر غيظهم للكبرياتي دون سبب. ينتاب العصابي عدوانية شرسة إذا ما ترك ينتظر دوره مثلا. و بداخله إحساس مبهم يفسر: " أنا لست من الذين يبقون في الانتظار، و أطالب بحقي في الانتباه بي أكثر من هذا..." سير اتو نو برجيراك (Cyrano De Bergerac) يعتبر مثل للعصاب من هذا النوع (من بين آلاف الحالات الأخرى) كبرياءه المرضي ناتج عن عيبه الجسدي؛ إذا كان سير اتو متوازنا منذ للبدائية، فإن ثقفه الطويل لا يكثرث به إطلاقا.

العصاب و التعويضات

ينتج عن التعويضات أحيانا تحقيق إنجازات اجتماعية مفيدة جدا. مثال: طفل خاضع لإهانة منذ فترة طويلة، فيقوم بالتعويض و هذا بهدف الثأر و التقوق. و يستطيع بذلك أن يصبح مهندسا كبيرا، أو طبيبا ماهرا، أو محاميا بارعا. و لكن أساسه يبقى تعيسا لأن التعويض لم يمكنه من التخلص من شعوره بالنقص! و رغم كل هذا، يشعر بعدم وجود الكمال الداخلي.

و كما بينت ذلك من قبل، فإن التعويض يأخذ في أغلب الأحيان شكل التسلط المقنع.

مثال:

- العصاب بالعصاب يحب إعطاء النصائح، فهو بحاجة إلى إدارة شؤون الغير، فيكسب بذلك العظمة القوة، و النزاهة؛ عندهم إحساس بانهم "مسؤولون" يجب احترامهم و الإعجاب بهم.

- الحاجة الملحة للتشهير بمعرفتهم العلمية ، أو الحاجة للتدريس (لنفس الأسباب)

- لهم رغبة كبيرة في قيادة الغير .

- فهم يرغبون إذن في مساعدة الغير ، و نجدهم ، و مساندهم ، و يشعرون بالهوان و العار و كذلك بالعدوانية إذا لم نقصدهم لطلب المساعدة.

إن كل هذه الأفعال واضحة بأنها غير طبيعية ، لأن العصائبيين يبحثون من خلالها على السمو و العظمة . إذن الأمن ضد استضعافهم الداخلي . و لا يتصورون أبدا أنهم " متساوون " مع أي كان ، إما أن يحسوا أنهم ضعفاء و إما أن يعتقدوا أنهم عظماء.

إذا أحس العصائبي بالنقص رغم أنه قام بالتعويض فإنه يفعل كل شيء ليدهش الغير . لكي يعجب بمعارفه العلمية ، بذكائه ، علو تفكيره ، هم بالطبع مغرورون كثيرا . قالت لي يوما إحدى المريضات بالعصاب ، تتحدث عن البحث الذي قامت به حول الاجتماعيات ، و هو فعلا بحث معمق جدا : (... أصبحت أعرف الآن أشياء كثيرة ... لكن هذه الدراسة جففتني) هذه الملاحظة يمكن أن تكون طبيعية عند إنسان عادي . لكن ماذا حدث عند عصائية مثل هذا النوع ؟ فهي قامت بدراسة كبيرة لهذه المسألة غير العادية (و منه الإحساس بالتفوق و العظمة) ، تجففت (إنها تنقص من نفسها لكي تحس بالعظمة من جديد لأن التجفف العقلي يعجب به في أغلب الأحيان ... تعتبر نفسها مكافحة من أجل العلم ...!)

مثال آخر - عصائبي ذو نشأة استضعافية يريد النجاح " منذ البداية " فهو يريد أن يتألق منذ البداية مثل بيتهوفن ، يمثل مثل موليار ، و يكتب مثل جيرودو . يريد أن تكون محاولاته الأولى ناجحة تماما و لو قلنا له : " ... لا بأس ، و لكن يجب العمل أكثر ... " فسوف ينهار . لديه إذن طموح جبار ليس لنقته بقوته (رغم أنه يؤمن بها أحيانا) و لكن لإحساسه العميق بعجزه .

حالة أخرى - عصائبيون يتراجعون أمام أي مواجهة عنيفة معللون موقفهم " هذا لا يهمهم " ... بمعنى " إنهم فوق كل هذه الترهات " الخ سوف أتحدث عن سائق سيارة ينظر إليه من هذه الزاوية .

أدغال العصاب ...

ردود فعل العصابي توجد دائما في حالة تعقيد . و هذا طبيعي ، لأنه يمزج دائما بين الضعف و العظمة ! فلنأخذ مثلا حالة العصابي الذي هو بحاجة شرسة للاستقلالية المطلقة ... و لكن و في نفس الوقت هو محتاج إلى الارتباط ، و الحماية و الحضانة الخ . و نلاحظ مباشرة ذلك النسيج المبالغ فيه لمئات التفاعلات المتناقضة . و لكي نقوم بتحليل تلك التفاعلات يجب التقاط إذن كل حركة ، كل إيماة ، كل كلمة ، و نقوم بعد ذلك بتشييرها . و هذا شيء ليس سهلا .

العصاب و الصبغة :-

هؤلاء المصابون بالعصاب يهتمون بالمظاهر الخارجية ذات العظمة المزيفة : مال ، مكاتة اجتماعية ، مواد الزينة المختلفة ، السيارات ، الخ ... و يظهر أن قيادة السيارة تلبي تماما رغبتهم المرضية . ملايين من السائقين لا يطبقون أن يسبقهم أحد في الطريق . و هذا ردة فعل عصابية بحتة ! بالنسبة لهم تجاوزهم يعني " أنه ضعيف " و هذا يتضمن حتما تقمصهم لسيارتهم ! و قوة سياراتهم تصبح قوتهم الذاتية . لا بد أن يكون استضعافهم شديدا جدا حتى يصلوا إلى هذا المستوى ...

العصابي كيف يفكر : لا يقول : (سيارتي سبقتها سيارة أخرى) و لكن يقول " إنني سبقت من طرف آخر ! " . إنه مهم ملاحظة سائق سيارة مصاب بالعصاب فهو بالطبع في حالة غيظ و منافسة مرضية : يتفاعل يومها بشككين مختلفين : إما عن طريق العدوانية ، و إما عن طريق الفرار . العصاب العدواني معروف كثيرا عند سائقي السيارات : ضغط شديد ، كلام بذيء ، شتم و استهزاء . تجاوزات خطيرة . الخ بينما الفرار يلبس قناع المرلعة ، و عدم احترام الميكانيك . الخ
مثال :

- في سباق سيارات ، أحدهم عصابي هزم منذ الانطلاقة سوف يقول : " أنا ؟ ... لا أود أن أفسد مكاتيك سيارتي ... أخسر المال لكي أربح ثواني ؟ أنا لست أحمق !! (فهو لا يؤمن بما يقوله ، و لكن يريد إخفاء ضغطه) " على أعين الغير "

- إذا لم تكن سيارته قوية ، فهو يكذب معلنا إن عداد الكيلومترات معطوب لا يعد السرعة أكثر من ثمانين ، وجب عليه أن يصلحه ...و إذا ظن أنه "هزم" يعلن أنه كان يرغب فقط في تضييع وقته . لكي لا يسخر الآخرون من بطئه و يأخذونه دلالة على ضعفه . أو يقوم بقيادة السيارة بيد واحدة و بعدم اكتراث ، أو يخرج من فمه موسيقى مبهمة . إنها إذن تفاعلات تمنح الأمن الداخلي . فهم يحاولون إظهار المراحة ، الهدوء، و التبصر خارج إطار " المنافسة الحمقاء " . و هذا الكلام لا يعبر أبدا عن مكنونهم الداخلي المشحون بالغیظ و الهيجان العنيف .

إنهم هؤلاء العصاةيون بالذات الذين يتفاعلون بغضب شديد إذا انتقدنا قوة سيارتهم ، و التي يخلطونها بذات أنفسهم ! و إذا كنا نستطيع تخليص الملايين من السائقين من هذا الشعور بالنقص المصابين به ، فسوف ننقص من نسبة حوادث المرور إلى النصف . لأنه سوف نقوم بمنع تلك المنافسة الشرسة بين العصاةيين الذين لا يقبلون أبدا عجزهم .

التربية و الشعور بالنقص

يظهر الشعور بالنقص منذ السنوات الأولى من الحياة. و هو طبيعي جدا . فكل طفل يشعر بالحيرة و العجز أمام القوة المحيطة به . إنه صغير و ضعيف . فهو يجهل هذا العالم الذي يحمل عنه فكرة غامضة . هل ندرك ضخامة الأشياء التي يراها ؟ و لهذا فإن كل طفل يبحث قبل كل شيء على أمه . لا بد أن يشعر أنه مساند و مساعد ... و لكن ليس بالهيمنة عليه ، و يعامل كشيء . و تتأكد شيئا فشيئا شخصيته ، يظهر "أناه" و يبدأ على البحث عن أمه الداخلي . يجرب قوته و يصبح تلقانيا . فالتربية تسمح له إذن بالوصول في أسرع وقت ممكن إلى الثقة بالنفس . فدور التربية المثالي هو إزالة و في أسرع وقت ممكن ذلك الشعور بالنقص ، و توجيه الطفل نحو التأكيد على قيمه الذاتية . لأنه تظهر نواة العصاب عندما لا يتغير الشعور بالنقص ، و تقوم بغزو جميع الشخصية في المستقبل . إنها شبيهة بنمو الفطر المسمم ، يخفق الشخصية الحقيقية ، و يقوم بإدارة معظم الأفعال و الأفكار .

حيث أن الحقيقة يكتنفها الغموض ! وكل ما يكسر إرادة الطفل فهو عامل من عوامل العصاب . هو كذلك نفس الشيء لكل ما يعمد إلى تكسير تلقائيته . كل شيء مرتبط إذن بكيفية إعطاء التربية .

يقوم للأسف الكثير من المربين بتقوية الشعور بالنقص لدى الطفل . فيكفي وببساطة أن نفكر في العدد الهائل من الأشخاص المتسلطين إذن العصبيين . نمسك إذن بمفتاح عدد لا يحصى من عصاب الكبار . إنها سلسلة بلانهاية لمربين مصابين بالعصاب ... و يصبح كذلك للتلاميذ مثل المربين . الشخص المتسلط يقوي الشعور بالنقص ، حتى عند أسلم طفل في العالم . يكفي أن نراجع الأشخاص المنهكين لكي نقتنع ! ص رقم يجب رؤية الأشياء كما هي : والد مصاب بالشعور بالنقص هو بحاجة أن يبقى ابنه ضعيفا . فهو بحاجة أن لا يصبح للطفل حياة خاصة و تلقائية . إنه بحاجة إلى ضعف الطفل ليقوم بتقوية إحساسهم بالهيمنة ، و التي تمنح الإحساس بالشدة.

و كل مختص في علم النفسي يعرف أحد الأسباب الرئيسية لعصاب الكبار : الكثير من الآباء يهيمنون على أبنائهم . الحالة الأكثر انتشارا و أكثر خطرا هي حالة تلك الأم المهيمنة (العصابية) و ابنها و بما أن هذه الأم هي بحاجة للهيمنة، فيجب عليها أن تمنع ابنها أن يستقل بشخصيته و رجولته . فهي إذن بحاجة لضعف ابنها، و لكن في أغلب الأحيان تنتسر هذه الهيمنة و راء واجهة "الإتقان" فكيف إذن إخراجها ؟

كيف نخرجها إذا كانت هذه الأم في غاية الطيبة و اللطف؟ فيجب إذن تدخل المختص في علم النفس لأن الشخص ذاته لا يدرك تلك التعويضات التي تسبب ألما كثيرة للخير !...

نرجع إلى مثال أعطي في التحليل النفسي . نفرض أن لبا عصابيا و الذي يخاف من النساء . فهو يعتقد إذن أنه "يكره" و "يحتقر" النساء . فإذا كانت عنده بنت ماذا يحدث ؟ "يسقط" عقده تجاه النساء ، على أبنته ؛ يقوم بإحباطها بإهانتها باستضعافها . أريد أن أظهر خاصة التعويض الذي يبرز على شكل إتقان . و بما أن هذا الأب "يحتقر المرأة" فهو يفعل كل شيء لكي لا تصبح أبنته امرأة . و هذا لا شعوري ! و لكي يمنعها بأن تكون امرأة ، يجب عليه إذن إعطاؤها صفات الذكر . فإنه يعمل لكي تقص

شعرها مثل الذكور ، تضع ملابس و أحذية رجالية ، أو على الأقل لكي لا توحى أنها امرأة. و يدفع بابنته أن تحقق تفوقات رياضية خاصة بالرجال ، و أن تنمي قوتها العضلية . فحدث كل هذا ، حسنا ... ولكن ما هو المنطق الشعوري الذي يفسر به ما يفعله؟ فهو يزعم أنه "يفعل هذا لصالح ابنته" ... " بهذه الصفة فإنها تقوم بشق طريقها المستقبلي دون الاعتماد على الرجال ... " ، " بهذه الطريقة يمكنها امتلاك عضلات قوية ، و أعصاب متينة ... تقوم باستغلالها ... و لا تسقط فريسة للرجال " ... يظهر على هذا الرجل أنه أب جيد ينزف دمه من أجل ابنته ، وله ميررات في غاية النبل و اللطف . حيث نشاهد أن الحقيقة العميقة موجودة في النقيض !...

النقص في الحنان

العوز في الحنان يحدث بدون شك الشعور بالنقص (الإحباط) عند الطفل و كذلك عند المراهق . متى يكون هناك نقص في الحنان؟ و بجواب عنيف ، عندما يقوم أحد الوالدين بإهانة ، هيمنة ، استضعاف ، أو هجرة ظاهرية و إرادية لطفله . و نتائجه واضحة ، و كل شيء يحدث في وضح النهار إذا صح التعبير . لكن يوجد حالات أخرى أكثر خطورة و أكثر نفاذاً، أرجع إلى حالة الأب الذي تحدثنا عنه . يعطي لأبنته كل المظاهر الخارجية للحنان و الانتباه . هذا الحنان المرئي هل يتناسب مع العاطفة العميقة ؟ لا . ميوله العميق متجه نحو الخوف و الحقد على النساء ... حتى على ابنته .

أعيد الآن حالة الأم المتسلطة و المهيمنة . تقوم إذن بحضانة ابنها و تكون في غاية الطيبة و اللطف . فهي تدفع بلطفها إلى حد منع ابنها بالقيام بأي عمل مهما كان بسيطاً أو أفعالاً رجولية ... و تقوم في مكانه بها . و تأخذ على عاتقها المسؤوليات في مكان ابنها . ظاهرياً هي تحسب ابنها بالحنان . و هي متيقنة أنها تفعل كل ذلك لصالح ابنها . ولكن ... هل هذا الحنان يعتبر حقيقياً و صادقاً؟ لا أبداً هذه المرأة تعتقد أنها تحب ابنها لذاته . و هي تغالط نفسها . و لكونها مصابة بالعصاب ، فهي لا تشاهد إلا مصلحتها الخاصة ، معنى هذا ، إحساسها بالشدة و الثبات اللذين تجدهما في الهيمنة . يوجد إذن هنا حنان مزيف أمامه لا يخطأ الطفل و المراهق أبداً ، فهم يحسون جيداً أن هناك شيئاً ما ليس على ما يرام . و أمام هذه

الهيمنة اللطيفة فهم يتفاعلون بغيض داخلي عنيف ؛ و لكن كذلك بالشعور بالنقص المستمر ولا امن .

و يبدأ الميكانيزم النفسي في العمل اولاً ببطء ، ثم أكثر فأكثر عمقا دافعا الطفل بشدة نحو العصاب .

هل الإحباط يحدث الشعور بالنقص ؟

يجب أن يطرح السؤال كالتالي : عند تربية الطفل ، إلى ماذا يهدف المربي ؟ أعني ما هو هدفه العميق ؟ الهدف العميق للشخص السليم هو الطفل ذاته . تكون التربية متبصرة وصحيحة ؛ الشخص السليم نفسياً، يمكن له أن يرى مصلحة الطفل، وينسى حتى نفسه بالذات . و عند المربي المصاب بالعصاب ؟... قبل كل شيء ، هل هو قادر على نسيان الذات ؟ لا ، حتى ولو يعتقد ذلك . لأن عصابه يفرض عليه الدوران حول نفسه دون انقطاع باحثاً عن تعويض يسمح له بالعيش . و في حالة العصاب المتسلط يكون التعويض موجوداً أمامه : إنه الطفل نفسه . يقوم العصابي إذن بإخفاء افتقاده العاطفي الفعلي و العميق ، و يعلن أنه لا يرى إلا مصلحة الطفل وحده . الشيء الذي يسمح له بالهيمنة و إحباطه ، و استضعافه طيلة السنة ...

فكل ما يكسر الإرادة الشخصية للطفل ينتج عنه الشعور بالنقص ، إذا كان الطفل يشعر أن هناك إحباطاً لقيمه الذاتية . إذا عاقب شخص سليم ابنه بصفة عادلة فلا نخشى شيئاً . يقول الطفل " ... القانون هو القانون ... " و يفكر في شيء آخر ، لكن كل شيء يختلف عند الطفل المربي من طرف شخص مصاب بالعصاب . و قد بينت هذا بشكل كاف . عند هذا الطفل كل شيء مرشح بأن يعمل على الإحساس بنقص في قيمته !

بعض الأسباب الأخرى .

بالطبع يوجد أنواع عديدة و مختلفة للإحباط و الاستضعاف . فضلاً عن الأباء المهيمنين ، هناك الذين ينقلون للأطفال خوفهم الهوسي (إذن عصابي) توصياتهم الدائمة أن يحذروا من الحوادث، من الحشرات ، من السقوط و من الجراثيم ... توصيات لا تعرف انقطاع : " ... تغطي بالملابس الصوفية ، إنك لست قويا ... " - " حذار أن تسقط ، أخطر من أن تصاب بمكروه ، أخطر على عينيك ، على رجلتك ، على يديك " .

و لا أدري ماذا بعد ذلك !

أو حالة الأم المتسلطة التي تجبر ابنها ارتداء سروال قطني تحت سرواله الأصلي و هذا شتاء و صيفا ... إلى أن بلغ ثلاثة و عشرين من عمره ! إنه عبارة عن تسلط لطيف ، تحطم أمامه كل محاولة تمرد . مثل الحائط المصنوع من الحديد ... تبقى خطيبته مندهشة !...

لم أنكر إلا القليل من الأمثلة . هذه التوصيات الهوسية تنتهي بخلق جهاز للانعكاس الشرطي ، و تحطم الثقة التي توجد عند الطفل . إذا كانت هذه "النصائح " لا تنتهي أبدا و آتية من خوف مقلق ، فكيف تريدون للطفل أن ينمي قوته الذاتية ، و لا ينتهي به الخوف هو كذلك ؟ يظهر إذن لديه الشعور بالنقص و العجز .

و كما نكرت فإن الغيرة بين الأخ و الأخت تخلف حقدا شرسا في أغلب الأحيان . و يقارن في أغلب الأحيان بين قيمة الطفل ، و قيمة طفل آخر . مثال : (... أنظر لأخيك ، خذ مثلا من أخيك ... إنه ذكي) . و إما يظهر للطفل أننا نفضل عليه الآخر . أو مثلا أن ولانته كانت غير مرغوب فيها . هذا الشعور بالنقص يمكن له أن يستمر إلى الكبر . فكم من مرة نشعر البنت أننا " كنا نريد طفلا ... و لكن و بما أنها هنا !... " هذه السخافة التي تتصف بها ثقافتنا تترك المرأة في مستوى دنينا (و نتساءل لماذا !) و نحكم على النصف من شعبنا أن يغرق في شعوره بالنقص ...

المرأة و الشعور بالنقص

معظم النساء ينتابهن الشعور بالنقص ، و ذلك لفعل بسيط و هو كونهن لسن رجالا . لماذا ؟ تعنتي ثقافتنا أساسا على الرجولة أو بما يسمى التفوق الذكري ... أصبح الرجل بما يشبه إمبراطور الأرض... دور أصبح يؤمن به كثيرا ! فمنذ قرون ، المرأة لا تعطى أية مسؤولية خارج إطارها العاطفي . و بالطبع فتححر المرأة شق طريقه للوجود، و لكن يصعب جدا التحرر من طابع وراثي دام آلاف السنين ... و تحتل المرأة في حضارتنا هذه مكانة متقلصة جدا . ألا تعتبر ولادة بنت " بالشيء المؤسف " ... "ليست إلا بنتا !..." فقطة استفهام تعقب كل ولادة لبنت . يوجد في هذه الحالة أنانية مفرطة للوالدين الذين يرغبان أن يرزقا بطفل لتلبية حاجة داخلية خاصة بهما . إذا كان الأبوان لديهما هذا التفكير : "ليست إلا بنتا "

فمن الخطر المؤكد أن يحسس بنتهما بذلك و هذا شعوري أم لا .
الاستضعاف ذو الطابع الأثوي يعتبر جزءا من الحالة العقلانية السخيفة و
لكنها راسية في الأعماق . أليس من الطبيعي إذن أن يكون للمرأة و بشكل
ألي الإحساس العميق أنها أدنى من الآخرين ؟

هل الشعور بالنقص عند المرأة ينقطع بعد البلوغ ؟ نعم إذا كانت المرأة
في حالة توازن تام . إنها تؤدي دورها الأثوي بكل سرور و تبصر هادئ .
و للأسف ، فإن التخلص الكامل و الكلي لهذا الشعور بالنقص قلما يحدث
عند المرأة . كل العوامل ضدها : للكثير من الرجال و العديد من القوانين
... حتى الصرغ يفوز به الرجال . و إذا طرحنا المشكلة على المرأة فإنها
غالباً ما تجيب : " أنا؟...ووددت أن أكون رجلاً ..."

هذا يعني أنها ترغب في التمتع بالامتيازات المسخرة فقط للنوع الذكري .
أيضا أنهن ترغبن في امتلاك الصفات (الظاهرة) الخاصة بالجنس
الذكوري ؛ بمعنى : الشجاعة القوة، الاستقلالية ، حق الاختيار الخ .
إصابتها تلك بالشعور بالنقص جعلها و هذا طبيعي "تتمرد" و تبحث
لنفسها عن تعويض . فمن الطبيعي أنها تبحث عن التخلص من دورها
كأمراة ... و تتوجه نحو أدوار الذكور...و هذا الرفض للدور يتجلى في:
تقليص من حجم الأتداء ، المشية الرجولية، اللباس الذكري ، قص الشعر ،
المنافسات الرياضية ،المطالب النسائية الخ الخ . تدخل إذن في منافسة
عدوانية مع الرجل .

كل هذا سخي و محزن ، و لكن فطنا كل شيء من أجل تطويره . و
هناك إذن حلان اثنين ممكنان للنساء المصابات بالشعور بالنقص الناتج
عن دورهن :

- 1 - الإحساس بالعجز و الاستسلام
- 2 - " التمرد" بالمنافسة و التعويضات . النتيجة ؟...يفكر الرجل : " ...
لا أقبل أبدا أن تتفوق علي ، أو تحكمني امرأة... و المرأة تفكر " ... أه ،
هكذا إذن !...سوف أظهر " لهم" مدى قيمتي ، أنا! سوف أبرهن لهم أنني
في مستواهم !"

الشعور بالنقص هو إذن حالة تفكير عام . فكم من أب يرغب في طفل
ذكر لاستمرار اسمه العائلي ، أو ليرث مهنته ..."

هامي الأثانية مرة أخرى...! ولكن من قال الإبقاء على الاسم العائلي يعني أنه قال (أن أرزق ولدا) . فهؤلاء الأباء يتأسفون بشدة عندما يرزقون ببنت . " ليست إلا بنتا " ماذا يحدث أحيانا ؟ هذا الشيء السخيف : يرفض الأب ذهنيا تلك البنت . إذن يحاول أن يجعل منها ذكرا . يعلمها أن تتصرف كالرجل ، يدفع بابنته إلى إنجازات ذكورية ... بماذا سوف تفكر فيه البنت إذن ؟ أن كل ما هو ذكري الأصل فهو الجميل ، و كل ما يرتبط بالأنوثة فهو ضعيف و مهين .

فإنها تتيقن بعدها بضعفها كونها " ما هي إلا امرأة " . أهل تدركون كم من قوة يجب تسخيرها من أجل هذه الفتاة الشابة لكي تجد مكنتها و دورها كامرأة ؟

من هو الأعظم ؟

من السخافة أن نقوم بالمقارنة بين الجنسين . فضلا عن هذا ، فالمقارنة تجري دائما حسب المعيار الذكري . إذن كل شيء خاطئ منذ البداية ، دائما نفس صوت الناقوس الذي يرن (إذا صح التعبير) ...

مثال : من المعتادة أن نفكر بأن المرأة عديمة العبقرية . لكن من يفكر هكذا ؟ الرجل بالطبع ... و المرأة كذلك ، عن طريق شعورها بالنقص . حيث أن تعريف العبقرية عادة ما تعطى من طرف الرجل ! الأجدر بهم أن يقولوا أن المرأة تملك عبقرية من نوع آخر ... الشيء الذي يضع الحقائق في مكانها الصحيح . لكل واحد عبقريته الخاصة به ، و تؤدي الأنوار بشكل جيد . إذا كان الرجل يتميز بعبقرية التجريد و المنطق (كما يمكن له الحدوث) ، فإن المرأة دائما تقريبا ، لها عبقرية طبيعية في الإحساس العميق لحقائق الأشياء . و الذي نسميه " الحدس الأنثوي " و لكن هل الرجل قادر على هذه العاطفية العميقة ؟ نادرا ما يحدث لأنه يغطي عاطفته بقشور من المنطق العقلي .

انطلاقا من هنا ، " يقال " أن المرأة هي أقل ذكاء من الرجل . و لكن ومرة أخرى ، من يقول ذلك ؟ الرجل ! فالذكاء يعرف حسب المعايير المطبقة من طرف الرجل . و تكون إذن الحقيقة : المرأة لا تملك نفس نوع ذكاء الرجل .

حيث ، أن ذكاء المرأة يملك سلطة: فهي " تفهم " داخليا العباد و الأشياء .

فالمرأة لها عاطفية عميقة ، و تشارك بسهولة في التوغل العميق لهذا الكون ، مما يعطي لها عادة اليقين في الحكم ... في الوقت الذي يخفق فيه الرجل الذكي . و ينتهي الخلاف بين الجنسين بهذا التكامل العجيب ؛ فإذا كان الرجل يسعى نحو التجريد المنطقي فإن المرأة تتمتع بأعماقه . أليست شبيهة بالأرض - الأم و الماء ؟ (1)

الوسط العائلي و الشعور بالنقص .

يجب الامتثال لقانون كوني كبير الا وهو : - يجب أن أحرص فيما إذا كان تقدير أبني عن ذاته متوازنا ، فإذا كان كذلك ، يجب الحرص على أن لا ينحني أبداً . " بينت بما فيه الكفاية ، كم هو من السهل استضعاف الطفل . و رأينا أنه يوجد أعداد كثيرة من الأشخاص المنهكين ، المهيمنين ، المتسلطين . و هذه أرضية خصبة لنمو الشعور بالنقص ، العجز ، و الإحباط . و تعتبر كذلك بعض الصفات الأتانية للأباء أرضية مثالية لنمو مثل هذه الإصابات . فالكثير يريد عجن أبنائه على شاكلته الخاصة ؛ يرغبون أن يكون سلوك أبنائهم يتناسب مع إرانتهم الشخصية . في هذه الحالة (و هي كثيرة الانتشار) هم لا يعيرون أي اهتمام ما إذا كان للطفل شخصية خاصة به ، أو لديه تلقائية ذاتية ... و يصبح كالخشب التي نقطعها إلى قسمين ...

* - من قال تربية قال تحويل القوة و التوازن ، و لا نستطيع إعطاء مالا نملك . و ننحني إجلالا أمام الأباء الذين لا يعتبرون أنفسهم سلطة مطلقة على أطفالهم ، و هم يحاولون قبل كل شيء أن يعرفوا أنفسهم .
ليس من الأحسن أن نتعلم قبل أن ندرّس ؟

المحيط المدرسي .

إنه كذلك مهم بالنسبة للطفل . هنا أيضا ثقافتنا تعتمد أساسا على العظمة و بريقها ، انعدام التآزر بين الناس ، العظمة في المال و المستوى الاجتماعي ...! و نرى إذن النتائج . تتشكل منذ البداية كتل الفئات الاجتماعية المختلفة . يقهر الفقير . يحتقر أطفال الفقراء . صغار الأغنياء يمجنون و يحترمون . و إذا كان أفراد يمكن أن يصابوا بالعصاب ، فإن

(1) انظر الرموز ص 232

مدارس باكملها يمكن أن تصاب كذلك . يتعلق الأمر بحالة " تكفير " و التي تميز خاصة بعض المدارس و قد جمعت العديد من الشكايات المؤلمة لأشخاص كبار ، لم يستطيعوا نسيان فترات الإهانة التي مروا بها و هم صغار في تلك المدارس "المتقدمة " أو بالأحرى " المصابة بالعصاب " أين يكون الفقير عبدا للغني . الفقراء،الذين لا يقدرّون على دفع الثمن ، يخدمون أطفال الأغنياء ، الذين يدفعون . و هذا ببساطة نقمة . العظمة المزيفة التي يمنحها الجاه تمتد بشكل بشع . و بذلك يغرق الأطفال الفقراء ببطه في بئر الشعور بالنقص ، لكي يخرجوا منه بعد سنوات ، مشحونين بالتعويضات . و هذه الأخيرة يمكن لها إما أن تنتج رجلا عظيما ، أو رجلا لصا . و نشاهد في المحاكم الجنائية نتائج هذا النقص في الحنان ، و هذه الإهانات . و تحصد إذن ثقافتنا الاجتماعية الحقد الذي زرعت ، لا أكثر و لا أقل . تجردوا من الإهانات و أعطوا الكثير من الحنان ، و سوف تتخلصوا من عدد كبير من الجرائم .

بعض المربين في المؤسسات المصابة بالعصاب يحتقرون فقر بعض الأطفال أو يحتقرون مهنة آبائهم ، من خجل الطفل ، و على نطقه ... و هذا أمام كل القسم الذي يأخذ بالضحك !...

* - هؤلاء المربون هم بالطبع مرضى . هناك مربون آخرون (كما سبق و أن قلت) يجهرون أمام الملاء على ممارسة الطفل للاستمناء ! و هنا يوجد افتقار للذكاء و الحب لا يستوجب أي تعليق .

فحرمان الطفل و افتقاره للحنان و الثقة في النفس هو أحد المشاكل الأكثر ألما . في الحاضر أولا ، و في المستقبل ثانيا . الطفل المحبط و المهان يصاب ربما في كبره بالعصاب ، يبحث عن تعويض عن طريق القوة و الهيمنة و الذي ينسيه إصابته الداخلية . فيصبح ربما في المستقبل أبا أو مربيا . و هكذا تكون سلسلة دون نهاية .

علم النفس و الشعور بالنقص

الشعور بالنقص ، و كذلك الحاجة للعظمة بيرزان عن طريق الآلاف من اللمسات البارعة التشكيل مكونة بذلك جدولا مكتملا . لكن و في بعض الأحيان ، و بلمحة بصر ، يدرك العصابي أن كل تصرفاته هذه " مزيفة " . و سرعان ما يزيع عنه هذا الإحساس خاصة عندما يكون تصرفه يعبر

عن القوة أو الإتيان . لماذا ؟ لأنه هناك مجازفة متمثلة في رؤية نفسه كما هي . و منه فإنه يحتقر و يكره ذاته . و لنسجل هنا جيدا أنه لا يوجد ما يستوجب ذلك ... لأنه لا دخل له في ذلك إطلاقا . في هذه الحالة أي شخص مكانه يذهب للبحث عن تعويض .

و بصفة عامة، هناك خطر رهيب إذا أدرك شعوريا ذلك المصاب بعصابه . نفرض أنه يقوم بأفعال خيرية ، لطيفة و جميلة ؛ و أنه يعرف عليه الطيبة ، و نكران الذات ؛ و أنه معروف بأنه " إنسان معطاء " الخ . إذن هو يؤمن في نفسه بتلك الصفات الحميدة . و التي يخفي بها جروحا عميقة ! فهو يعتبر أفعاله من الذهب الخالص .

و لنفرض الآن أنه أدرك شعوريا و فجأة أن ذلك الذهب الخالص ما هو إلا " معدن ما مغلف بقشرة من الذهب " ؟ و يدرك بالضبط و دون تحضير مسبق أن هذه السمات تخفي وراءها الشعور بالنقص الشديد ، الغيظ ، الأنانية ، الضعف و الخوف ؟ و كان يعتقد أنه قوي ، متخلص من الذاتية ، طيب ، محب للغير ؛ ثم يجد نفسه فجأة أمام أطلال شخصيته الذاتية . كل شيء يتهدم ، و يسقط في الهاوية ...

ماذا يحدث لهذا العصابي ؟ ببساطة تتدهور حالته النفسية ... و تتلاشى كل ميكانيزماته الأمنية .

* - و لهذا السبب فإنه يصعب على العصابي أن يساعد نفسه بنفسه ، على الأقل في البداية . يجب تدخل عالم النفس . يكون العلاج مؤلما نفسيا و لكن ضروري . فعن طريق علم النفس يجد العصابي نفسه عاريا تماما ، يرتعش . يتم تخلصه من الملابس البراقة و ذات الصنع الرديء . بعد ذلك يكسوه علم النفس بلباس على مقياسه ، مريح ، مضبوط ، يسمح له بالحركة دون إزعاج و لا قلق .

و ... هل يوجد الكثير من العصابين ذوي الإحساس بالنقص ؟ نعم ، بعشرات الملايين ! و سببه الرئيسي يكمن في ثقافتنا التي تسودها المنافسة على حساب الآخرين . على التكبير و الاحتقار للآخرين ، على حب الهيمنة ، و الجري وراء الاستعلاء الخ ، فمن الطبيعي أن يتكاثر هذا العصاب بكل ما يصحبه من آلام و حياة فاشلة ...

س . ج . جينق C.J.jung

اللاواقعية و الرجوع إلى الأصل .

" لا تخبر بطولك السامية إلا لتروي الحكمة ... " جوتة (Goethe)

إن تفكير جينق بسيط . فهو يعتبر مفتاحا للمبادرة العلمية ، و لكن أيضا هو علاج نفسي قوي . إن فهم هذا التفكير يتطلب توفر شروط جبارة : لا يجب الاعتقاد أننا مركز العالم ! كما لا يجب أن نتخيل باكتسابنا سيارة قوية ، بأضوائها البراقة يمكن الإبتعاد روحيا ، عن أسلافنا الأوائل ! مع جينق نترك الإنسان - النمل لكي ندخل إلى الإنسان - ذي الإنسانية . فالإنسان المتحضر يرى نفسه فيها دائما شيئا لذاته نفسها . أفكار جينق تتطلب العثور على الروح العميقة للطفل أو للرجل البدائي . حيث الرجوع إلى الأصل ، ليس بانحطاط و لكن شيء خارق في امتداداته . في هذه الحالة ، يصبح كل شيء واضحا . يكفي أن نترك الأمور تمر كما هي ... و سوف نشاهد أن أسلافنا هنا وراء الباب . مستعدون للدخول دون طرده ! كل مختص في علم النفس يعلم أن الحلم يسمح برؤية طرق للتعبير (صورا، ورموزا) تختلف عن حالة اليقظة، و منه فإن هذه الرموز تتشابه عند جميع الناس ، حتى الذين نختلف معهم في اللغة ، و التربية ، و الجغرافيا .

صور الإنسان .

بعض الكلمات ، و بعض الصور تكتسي نفس المعنى لدى أناس

مختلفين . لماذا ؟ (أنظر الجدول البياني ص 157-158)

لماذا تلك الصورة ، أو هذه الكلمة لها نفس المعنى العميق للصيني ، و للفرنسي على حد سواء و مهما اختلفا في اللغة أو المستوى الاجتماعي ؟ لماذا أساطير كل زمان ، و كل عرق لها رموز متشابهة ؟ أليست لها "خزانات" عقلية مشتركة، حيث كل مخ إنساني يحمل آثارها منذ الولادة؟ الا يمكن أن نذهب أبعد من ذلك و نفترض وجود " محيط " عقلي بحت ، تسبح داخله كل الأرواح الفردية ؟ (1)

(1) ماذا يقول فرويد في هذا الشأن : " هذا لا يقل أهمية حين تعلم أن خاتمك تعرف لغة البراهمة رغم أنك متأكد أنها مولودة في بلدة " بوهام " و لم تدرس هذه اللغة إطلاقا . " هذا يمكن له أن يفسر ذلك

اللاشعور الجماعي

إنه إذن اللاشعور السامي الذي يصبح مشابها عند جميع البشر . فلنشاهد إنسانا نقوم بقطع منطقه النقدي بوسيلة ما (حلم ليلي ، انفعال ، إلهام فني ، رعدة وسيطية ، بعض من الحصص التحليلية الخ) . نلاحظ حينها شيئا مدهشا . كل شيء يحدث و كأن الإنسان المتحضر توجد بكيانه نكريات انفعالية للأسلاف الغابرة . كما يلي : الإنسان المتحضر يستعمل نفس الصور ، و نفس الرموز العميقة ، و التي تعتبر ما يشبه اكتسابات وراثية عقلية ، مشتركة مع جميع البشر دون تمييز ثقافي و لا عرقي . أليس من العجب أن يتكرر بعض مواضيع الأساطير في جميع أقطاب هذه المعمورة و بشكل متشابه ؟

و لكي نجدها بشكل نقي ، يجب علينا دراسة الديانات ، علوم الأساطير و القصص الشعبية، و الفلكلورية. و لكن لا أتكلم هنا إلا على علم النفس التطبيقي. أنكر إذن هذه الرموز بهدف العلاج فقط . فهي تعيدنا إلى أعماق الإنسان . فمعانيها عظيمة . رغم الحالة الشعورية التي تتسببها ، إلا أنها دائمة الحضور . فهي تعمل في الظل وراء ستائر الشعور . (2)

الرموز

من اجل وضوح أكثر ، فإني سوف أقدمها مجردة . البعض منها سوف يضاء بعد ذلك . و كل واحد يجدها في نفسه ، و على حالتها الجيدة منذ آلاف السنين .

1 - يمكن أن يكون الرمز عبارة عن إشارة ملموسة ، تعبر عن أشياء تجريدية و غائبة .

مثال : الصولجان (عصا الملك) إنها مادة ملموسة ، و هي ترمز إلى السلطة الملكية (تجريدي) المثلث ذو الشكل الجيد هو رمز للإله . القفاز المنسي يصبح رمزا للشخص غائب الخ .

هل هذه الرموز يمكن لها الفعل ؟ نعم . فهي مشحونة بالانفعالات . إذا كان الشخص الغائب محبوبا أو مكروها ، فسوف ينقل هذا الانفعال عن طريق القفاز المنسي . و يكسب بعدها القفاز المنسي " سلطة " انفعالية . يحدث على إثرها إحساس أو فعل . (مثال : تمزيق القفاز إذا كان

الشخص مكروها ؛ أو تغييره إذا كان محبوبا) . و إذا كان الرمز منعدم الانفعال ، فهو شيء ميت ، و دون قيمة إنسانية .

2 – يمكن للرمز أن يظهر شيئا من الكل . مثال : المخالب رمز للأسد
3 – يصبح الرمز حقيقة معاشه ، تمسك بسلطة فعلية . و هو الأكثر أهمية .
مثال بسيط ؛ بالنسبة لبعض الناس ، فإن القط الأسود يملك سلطة فعلية سواء مفيدة أو مؤذية .

يكون اهتمامي فقط بالرموز الكبرى المشحونة بالانفعالات . و سوف نرى شدة قوتها في العلاج النفسي .

كيف يولد الرمز .

رغم التقنيات الحديثة ، لم يمر على الإنسان وقت طويل منذ خروجه من البرد و الجوع و الخوف . خوف أسلافنا قد تم تعويضه بالحياة المتحضرة . و لكن هذا الخوف لم يلغى تماما ، بعيدا عن هذا ! يكفي من لا شيء ، أن يعود للإنسان خوفه السابق .

الحياة هي هدف الإنسان الحي . يوجه إنن انفعالاته :

1 – إلى كل من يعطي الحياة .

2 – و إلى كل من يسمح باستمرار الحياة .

في نفس الوقت الذي وجد فيه جنسان مختلفان ، وجد كذلك مبدآن عالميان كبيران .

مبدأ الجنس الذكري و المتمثل	نشاط	مشع	مخصب	يلج
مبدأ الجنس الأنثوي و المتمثل	السلبية	محي	يخصب	يسولج فيه

و الذي هو منطقي يعكس صورة الرجل و المرأة . نشاهد الآن ستة رموز كبرى و التي كانت تتحكم في الإنسانية جمعاء .

(2) أنظر مثلا حلم جين (ص 181) فهو عث في حلمه مع رموز فاعلة (كون إشباع رغبة جنسية) متمثلة في السكين ، و الزنبق . هذه الرموز هي إنن موجودة عنده مثل أي واحد كان .

الرموز الكبرى الفكرية

- 1- الشمس le soleil (نشيط ، مشع ، و مخصب)
- 2- الأب le Pere (مقيد ، مرشد ، و منير)
- 3- النار le Feu (نشاط و إشعاع ؛ مرتبط بالشمس)
- 4- الفاليس le Phallus (القضيب) [الرمز الذكري العالمي ؛ نشيط ، مخصب ، يولج]

الرموز الكبرى الأنثوية

- 1- الأرض (سلبية تخصب)
- 2- الماء (مخصب و لكن سلبي و ممحي)

الشمس

إذا قمنا مثلا بوضع رجل متحضر في أدغال الغابة ليلا ، و خلال بضع دقائق ، يشعر ذلك الرجل المتحضر بنفس الأحاسيس التي كان يشعر بها الإنسان نحو حوالي عشرات الآلاف من السنين . و أمام هذه الأحاسيس البدائية تصبح سيارته ، و تلفازه أشياء تافهة و لا معنى لها . فهذا الرجل و هو أمام نفسه ذاتها ، و في أحضان تلك الطبيعة المملوءة بالمخاطر خلال الظلام ، يتفاعل معها مثل أسلافه البدائيين : يشعر بالخوف . ماذا يتمناه في هذه الأثناء ؟ طلوع الشمس . فظهور نور الشمس يزيل عنه رهيب الظلام، الفعلي أو الذي يتخيله. فالشمس توفر النور ، و الحرارة و الحياة ، الأمن و الجمال .

نفرض الآن أن هذا الرجل فقد تماما ذاكرته ، و يصبح مثل الرجل البدائي . سوف يشاهد يوما بعد الآخر " صعود " الشمس . و مساء بعد الآخر سوف يشاهد " هبوطها " لتعلن عن مجيء خوفه اليومي . شينا فشيئا يحل محل تلك الرؤية الفيزيائية لهذه الظاهرة ، الانفعال الذي يتعلق بها .

- أ - البدائي يرى طلوع الشمس ؛ يتلاشى خوفه الانفعالي
- ب - ثم يفعل هذا البدائي للتقارب بين طلوع الشمس و : الحرارة، الأمن ، زوال الخوف . و يصبح هذا للتقارب شيئا فشيئا انفعالا .
- ج - تصبح الشمس حقيقة معاشة ، تصبح بمثابة شخص يسمح بالنور و الحرارة و الأمن .

د - الشمس تصبح آلهة ، يقوم البدائي بعبادتها و حبها .
ح - و بما أن الشمس " تصعد " في السماء فإن فقط التفكير بالصعود يحدث عنده الإحساس بالغبطة و الفرح و الإشعاع .

في إيماننا هذه .

ما زال كل شيء على حاله. إذا كانت الشمس في حد ذاتها لا تعتبر آلهة ، فهي بقت رمزا انفعاليا لإحساس قوي بالغبطة . هذه التجربة يمكن فعلها كل يوم مع أي إنسان .

مثال : نرجع إلى الأجوبة التي أعطيت في ص 157 لكلمة الصعود .
و هاهي الآن أجوبة مقارنة بين الشمس و الصعود . إنها أجوبة أعطيت من طرف ثمانين شخصا مختلفا و رتبنا حسب تشابهها .

الشمس

النور - الأمل - الجاه - الكمال - الفضاء - الآلهة - الحياة - الجمال -
القوة - الشهرة - الجنة - الغبطة - الأب - النار - الحب

الصعود (التسلق)

النور - الأمل - الكمال - الفضاء - الآلهة - الحياة - القوة - الشهرة -
الفرح (الغبطة) - الأبوة الدائمة - الحياة - الجمال - الحب الدائم

من غير المجدي أن نقارن جوابا بآخر . لم أتلقى قط جوابا واحدا لا يسوده التفاؤل و الإيجابية .

نلاحظ إذن أنها نفس الأحاسيس تظهر عند ذكر كلمة الشمس ، و الصعود، و هذا عند أشخاص مختلفين .

فهذان الرمزان يتعلقان بكل ما هو منير و قوي . فهما يرمزان للحب لأن الطهارة و الكمال صفتان يختص بهما الله وحده . و هو موجود في "الأعلى" .

مثال : " لا يأتي على بال أحد بأن يقول : " الهبوط نحو الشمس " . فهذه العبارة سوف تصدمنا . لماذا ؟ و عند طرحنا هذا السؤال على الناس حصلنا على الأجوبة التالية حسب درجة التفكير و الذكاء .

- " الهبوط نحو الشمس " ؟ إنها عبارة غير صحيحة " نصعد " نحو الشمس . لأن هذه العبارة لا تقال . الشمس موجودة في الأعلى .

- لا أدري و لكن هذا الشيء يزعني ... كان في الصميم هناك شيئا خاطئا ... لا أدري لماذا ... هناك شيء بداخلي يقول لي هكذا .
- الشمس هي جميلة أينما كانت في الأسفل أم الأعلى . بينما الصعود نحو النور يعطيني الإحساس بالمعرفة و الطهارة . إنه إحساس لا يوصف ، و افترض أن كل الناس لهم نفس الإحساس .
نضع دائما الله ، الجنة ، الحب ، الكمال الخ ... في الأعلى . لماذا ليس في "الأسفل" ؟ ...

فالمسيح "صعد" إلى السماء . لماذا لم يهبط إلى "الأسفل" ؟ كذلك كان "صعود" مريم العذراء .

عند الإنسان "المتحضر" تحدث دائما فكرة الصعود الإحساس بالطهارة ، و نفس الشيء نجد هذا الإحساس عند متسلقي الجبال و الطيارين . فصعودهم يعطيهم الإحساس بالقوة ، أكيد و لكن هم يقولون : هناك في "الأعلى" نشعر بالطهارة ...

و نلاحظ هذا الإحساس في الفنون الجميلة ، و خلال حصص التحليل النفسي . ويمكن كذلك "للصعود" و "للشمس" أن يحدثا الإحساس الجنسي العام ، كما هو الحال في الحب . والذي هو منطقي جدا . فالحب مرتبط بالطهارة و نكران الذات . و نفهم من هذا أن التحليل الجيد للحلم يتطلب معرفة لغة الرموز ، يعني البدائية .

حصّة من التحليل النفسي

ندعو السيدة س ... بأن تقول كل "ما يخطر على بالها" بعد ذكرنا لها لكلمة " الشمس " السيدة س ... تبلغ من العمر خمسة و ثلاثين سنة . و هي في أتم توازنها العقلي ، و ذكية جدا ، موجودة في حالة ارتخاء كامل ، مغلقة العينين و هي في ظلمة كاملة .

- ... أرى الشمس عالية وسط السماء ، محاطة بلهب صفراء ، و كأنها شرا شف مزخرفة . نورها يتجه ببطء نحوي ، كالمنار . أحس أنني أصعد ببطء في الفضاء تماما كما في الحلم . أنني أصعد بسرعة و بيسر عجيب ، أحس أنني فقدت كل ثقلي . أوه !... و لكن أحس فعلا بالصعود؛ إنه إحساس تخديري ممتاز ... أقترب بلطف شديد من الشمس التي يزداد حجمها أكثر فأكثر . الحمم التي تحيط بها - تظهر ... كيف أعبر يا ترى ... إنها ليست

النار

كانت النار دائما و ابدا مرتبطة بالطقوس الدينية ، و مختلف العبادات .
و في ايماننا المعاصرة فهي مرتبطة خاصة بالاحساسات العاطفية . و نقول
(دون أن نفكر) ... يلتهب قلبي نارا نحو ذلك الشخص - أحترق ولعا -
أشعلت في قلبي نارا - أتهب حبا . الخ ...)
لماذا نمثل الحب المقدس (مثلا : القلب المقدس (Sacré coeur) بلهب
براق في مكان القلب؟ لماذا يعلن عن بدء الألعاب الأولمبية بإشعال النار ؟
لماذا تشعل النار أمام الجندي المجهول . و لماذا نعيد كل عام إشعال تلك
النار ؟ لماذا نحرق شمعة أمام تمثال شخص ما ؟
إذا قال مغازل و هو كله ولع بحب خطيبته : " قلبي مملوء ماء من
أجلك ... " أترككم تتخيلون دهشة خطيبته ! و لكن إذا أعلن " قلبي
يحترق نارا ... " فهذا يمر كالرسالة عبر مصالح البريد . لماذا ؟
هاهي أجوبة أعطيت من طرف مائة شخصا ردا على كلمة النار .

النار

لمعان ، ضوء ، الحب ، الطهارة ، الحياة ، الشمس ، الله ، الطاقة ،
الروح ، الفخر ، القوة .. الخ

فالمعنى العميق للنار يطابق إذن ذلك الخاص بالشمس ، الصعود و إذا
عاودنا مراجعة الأجوبة الموجودة في (ص235) فماذا نلاحظ ؟ لا تعطي
إلا أجوبة مشتركة مثل : الضوء ، الحب ، الفخر ، الرب ، الطهارة...
فماذا يعني هذا؟ في اللغات القديمة كلمة النار تعني: الحياة ، النور، الحب ،
الحيوية ، و القوة (إذا ما قورنت بالأجوبة " العصرية ") كل المحللين
الإنسانيين يعرفون جيدا أن فكرة النار مرتبطة بالحب . و يكفي أن نفكر
في تلك الصور المقدسة ، ذات الألسنة النارية النازلة على القديس).
فإذا كانت النار توحى بالحب ، فإنه من البديهي أنها توحى كذلك
بالجنس سواء كان خاصا أم عاما . و يكفي أن نتذكر " إحراق " بعض
المتصوفة لأنفسهم، أو ذلك التعبير الألي للمفرمين " و الملتهبين حبا " .
كل ذلك ما هي إلا تسلية شيقة ، إذا كان الإنسان لا يعيش فقط على حساب
تلك الرموز ، حيث انه يحدث العكس ! و زيادة على هذا إذا كانت تلك

الرموز ناتجة عن انفعالات لا شعورية ، فإنها بدورها قادرة على إحداث الانفعال .

إنها حالة بعض اللوحات الفنية لدى بعض الرسامين " الملهمين " و الذين يعملون عادة على إبراز الرموز الكبرى الموجودة في كيانهم . هناك إذن نوعان من البشر: أولئك الذين يعيشون وفق الرموز العالمية ، بينما هم يجهلون ذلك رغم أنها تفعل بشكل نشيط . وهناك الذين يعلمون ذلك ، و يعيشونه إلى آخر نقطة في أعماقهم ، و يقدرّون على استعماله لمساعدة وفهم الآخرين . و هم المتدربون .

النار ابنة الشمس .

النار لها نفس خصائص الشمس ، فهي تعمل على توفير الحرارة ، النور ، و تزيل الخوف . و كان الإنسان البدائي يطلق على الشمس : الأب ، و على النار اسم الابن . تجرى احتفالات طقوسية كثيرة ، و خاصة تلك التي تصادف الانقلاب الشمسي في الشتاء (و الذي يوافق 25 ديسمبر) . احتفالات طقوسية لولادة الطفل النار ... وواصلت الديانة المسيحية لتلك التقاليد الجميلة . و بما أن المسيحيين لا يعرفون التاريخ الحقيقي لولادة المسيح ، واصلوا احتفالاتهم بولادة الطفل - النار . و عين يوم 25 ديسمبر كتاريخ يرمز إلى ولادة السيد المسيح ، و تسُعل بتلك المناسبة نيران كبيرة . و تذكرنا هذه الأخيرة باحتراق الشموع الصغيرة في ليلة نوال (Noel) كل ذلك ، و بدلا من إرجاع الإنسان إلى أشياء صغيرة ، فهو يمتد به إلى قرون غابرة ، و إلى شعوب عمرت و مازالت تعمر هذه الأرض ...

الفاليس FALLUS

كانت الحياة دائما و أبدا محبوبة من طرف الإنسان الطبيعي . فمن المنطقي أن يحب كل ما يعطي الحياة ، و كل ما يسمح باستمرارها . إذا كنا غريزيا نحب كل ما يحافظ على الحياة (الشمس مثلا) ، فلا بد من البحث عن الرمز الملموس الذي يمثلها . حيث لا توجد أية حياة نون الفاليس . كل حياة هي مرتبطة بالفاليس و الذي يصبح المبدأ الذكري العام .

مؤذية أبدا ؛ أحس أنها طيبة و تحبني ... أحس الآن أن هذه الحمم تلمسني؛ و أرى وراء الشمس ما يشبه حديقة ضخمة مشعة ، هائلة جدا ، و بها كرات بمختلف الألوان . و إلى الخلف العميق ، يوجد باب براق ، يقف أمامه رجل شاب . يحمل في يده سكيناً من نار ، و أشعر أنه يبتسم لي ... و كأن جزئي الإنساني السيئ ينخلع مني... و أشعر بانفعال شديد ... ينتابني إحساس أنني أدخل وسط نور أبدي ... أشاهد فجأة أبي ... إنه يقف أمامي ؛ إنه يضيء بكامله ، و يمسك كذلك في يده سكيناً من الماس ... يمد إلي بمفتاح كبير من الذهب، و يشير إلي بباب مشع ... و أمامه رأيت أشخاصاً يرتدون البسة بيضاء .

و لنتوقف هنا . نشاهد أن هذه الاشتراكات الحرة مملوءة بالصورة كما قلت من قبل . و يؤكد القول أن نفس هذه الصور تظهر بنسبة ثمانية على عشرة . تحدث كلمة " الشمس حسب الترتيب: اللهب - الصعود (التسلق) - اليسر (نكران الذات) - الحديقة المشعة ، مع الكريات (صورة الجنة مع الكريات ، و هي أشكال هندسية في غاية الإتقان) - باب براق - رجل شاب يمسك بيده سكيناً (يذكر بالملائكة) - الجانب الإنساني السيئ يزول (الطهارة و النقاء) (النور الأبدي (الله) - أبوها) (سوف نرى لماذا ؟) - أبوها يضيء - سكين من الماس (سيف = القوة ، الماس = الغنى و يعني هنا بالغنى الروحي) - مفتاح من ذهب (و الذي يسمح لها بفتح باب الكمال) - أشخاص يرتدون الأبيض (الكمال، الطهارة ، الملئكة) كل تلك الصور الموجودة في الحلم ، هي مكونة لجميع الأساطير الإنسانية عبر كل الأزمنة . و ينتابنا دوماً انفعال عميق حين نلتقطها خلال حصص التحليل النفسي لأشخاص مختلفين ...

الأب: تلك الرمز العظيم .

شاهدنا أن فكرة الأب ظهرت في (ص235) كما يأتي :

- أ - في الإجابة عن كلمة " الشمس " .
- ب - في الإجابة عن كلمة " الصعود " .
- ج - في الحلم التخيلي للسيدة س ، و انطلاقاً من كلمة الشمس . لماذا ؟

و نتذكر تلك العبارات التي تقول : "أبي شمس لي" و هذا يعني: "أبي قوي مشع مثل الشمس . أبي قدوتي و دليلي مثل الشمس ، إنه يوفر لي الأمن "

مامو الأهم .

تماما مثل الشمس ، يعتبر الأب بالنسبة للطفل بطلا . إنه الإنسان القوي و المفخرة. حتى أن الأطفال يتباهون فيما بينهم بشخصية آبائهم ، ومهنتهم الخ.. الأب بالنسبة للطفل له ميزات فوق إنسانية ، و يضعه كمثل أعلى . حيث ، ليس هذا الأب بالذات الذي هو المثل الأعلى ، و لكن الفكرة التي يأخذها عن أبيه ! الأب عند الطفل هو بمثابة رمز قبل أن يكون أبا بمعنى الكلمة . يلزم الطفل أباه و هذا طبعا لاشعوريا ، أن يكون موافقا لذلك الرمز ، و أن تكون له القوة ، الفخر ، العصمة من الخطأ ، و الإشعاع النوراني. فالدور العملي للأب هو إذن صعب جدا . لأنه يجب عليه أن يتوافق مع النظرة الرمزية للطفل . إنه دور محطم . فإذا كان الأب (و لأسباب مختلفة) لا يتوافق مع الرمز فلسوف يقع لدى الطفل تناقضات (يمكن أن تذهب حتى إلى الاختلال في التوازن النفسي) .

حالة : مهنة الأب لا تدعو للافتخار ، الأب ضعيف ، الأب متسلط كثيرا ، الأب أمي ، الأب لا يعجب به ، الأب فقير . الخ كل هذه الحالات الكثيرة الانتشار تجعل فكرة المفخرة و الإشعاع ، و القوى التي يأخذها الطفل عن أبيه ، تنهار أمام ما هو عليه حقيقة أبوه . و يمكن تصحيح ذلك بقليل من اللباقة ، الذكاء و التوازن العقلي .

حالة أخرى : مراهق يبدأ في كره أبيه ، لأن هذا الأخير سقط مريضا . حدث هذا الكره رغما عنه ، و شعر بعده بالذنب . و يقول : " تقهقر مثلي الأعلى " و الأجدر أن يقول : أبوه لم يتوافق مع رمزه الداخلي "

و هكذا فإن دور الأب صعب جدا ، لأنه يجب أن يكون في نفس الوقت رمزيا و عمليا . و هناك دائما للخطر عندما يُنظر للإنسان من خلال رمز قوي. لا يوجد أي أب في العالم بمثابة إله ، حتى و لو كان عند ابنه بالذات . كل أب ما هو إلا إنسان ، و إنسان فقط . و يجب استعمال كل ذكائه لكي يعتبر الطفل أباه كرجل و صديق و ليس كإله - شمس .

لذلك نفهم بسهولة قوة التقديس العالمي الذي يكنّ للفاليس أكثر من ذلك الذي يكنّ للشمس أو للنار .

فبالنسبة للإنسان البدائي ، فإن الفاليس يمثل الحياة ، و ذلك بفضل الفعل الجنسي . و لنفهم جيدا أن هذا الأخير يمثل هنا الحياة نفسها ، و بشكله السليم المطلق ، النقي ، الغريزي و الطبيعي .

إن فعل الفاليس هو فعل الخالق المبدع . إنه المبدأ الذكري النشط ، الفاعل ، الوالج ، المخصب و كان يجب أن يمر على كل الانحرافات السخيفة لكي ينقّص من قيمته أو يفسد معناه . و في عصرنا هذا ، ذكر بسيط لكلمة " جنس " تحمر على إثرها الوجوه ! عند الإنسان البدائي ، الجنس هو فعل مقدس ، محبوب كما هو لأنه يمثل الحياة ! و هاهي بعض الأجوبة على الفاليس أعطيت من طرف أشخاص سواء مصابين بالعصاب أو بهم انحراف جنسي .

الفاليس

الجنس -... هذا يزعجني ... - الحرام - إنه سخيف ، و لكن أستحي منه ...- الرجل ... و أكره الرجال ...-... متعه - يجب التعلم الحديث حول هذا الموضوع بشكل سليم - الظلام - أفكر فيه على أنه شيء ممنوع ، لكن أدرك أن التربية الجنسية تعتبر خاطئة .

2 - بعض الأشخاص متوازنين عقليا .

الفاليس

للحياة - الخلق - استمرار الحياة - للقوة - الإخصاب - الحب - الكمال - العمود - الشجرة .

أكرر إن الفعل الجنسي يعتبر رمزيا فعلا مقدسا . و ما زال كذلك إلى يومنا هذا يقام الفعل الجنسي عند بعض الشعوب سليمة التوازن ، أمام الملاءمة ، معتبرين ذلك كأحد الطقوس الحياتية ، و يغطون بالأزهار من طرف أهالي القرية . كذلك بعض أهالي القرى يتناكحون على الأراضي

الزراعية أثناء زرعهم للحبوب (رمز للخصوبة) . وما هي إلا أمثلة ،
فقد استفاد الفاليس بعبادة تقريبا عالمية .

كيف كان (وكيف يكون الآن ، في الأحلام و الفنون) تمثيل الفاليس ؟
كل ما هو قوي ، و ما هو موجب ، و ما هو مستقيم و ما هو عمودي ،
مثال : الشجرة (أنظر الإجابة على الشجرة ص 156) العمود . الرماح
(فكروا في الرقصات الفاليسية أين ترشق الرماح رمزيا داخل ثقب
محفور في الأرض) . السيف (راجع ص 181 حلم جين) سكة
المحراث (أنظر بعيدا)

استفاد الفاليس من تمثيلات بأشكال هندسية متعددة ، سواء بشكله
الطبيعي ، أو بأشكال نموذجية .

فالجنس ليس شيئا عاما بعيد ، و لكن يبقى رمزا راسيا في الأعماق .
فالجنس الحقيقي هو مرتبط ليس فقط بالحياة نفسها ، و لكن بكل ما
يجسدها روحيا . و ليس عبثا أن نجد الكثير من الإصابات العصابية ناتجة
عن الانحراف الجنسي .

الأرض

كيف يعبر في أغلب الأحيان عن هذا الرمز الممتاز ؟
الأرض المغذية – أرض الأم – أرض الأمومة .

زيادة على هذا : الأرض : المخصبة

السلبية

المعطاة للثمار

و يقفز مباشرة للأذهان على أن تلك الاشتراكات الفكرية بين الأرض و
المرأة هي ذات ارتباطات وثيقة منذ العهود الغابرة ! فالأرض هي رمز
للأنوثة المخصبة بامتياز . و نقول " أحشاء الأرض " دون حتى أن نفكر
بأنها مقارنة مع المرأة .

في العالم كله ، و عبر جميع الحقب الزمنية تذكرنا خصوبة الأرض
بقابلية إخصاب المرأة . فالأساطير الكونية جعلت من الأرض و السماء
زوجا مقدسا . و بالفعل فإن السماء تخصب الأرض بواسطة الأمطار ، و
الأرض المخصبة تعطي الخيرات الكثيرة . و في بعض النصوص الهندية
يقارن كل من الزوجين بالسماء (الزوج) والأرض (الزوجة) . كذلك فإن

بعض الشعوب تعتقد أن الأرض هي " بطن الأم " و منه يخرج الرجال . و يمكن ذكر ما لانهاية من الأمثلة التي يعتقد فيها بالأرض - الأم . أليس هذا شيء عجيب ؟

و لكن لكي تخصب الأرض الأايجب حرثها . يمكن أن ننتظر إذن أن يخلط بين الحرث و الخصوبة ، و هو ما حدث في عدة أساطير و طقوس قديمة . إذا كانت الأرض قابلة للتخصيب مثل ما يحدث مع المرأة ، فإن الوسائل المخصبة يمكن لها أن تصبح رموزا تعبر عن الفاليس ؟ و هذا ما حدث بالضبط . فسكة المحراث هو الرمز الشائع للفاليس .

تقوم السكة بفتح " أحشاء الأرض " . فماذا يقول بودلار ؟ " قبلاتي لك خفيفة ... و لكن قبلات عشيقك تحفر الأثلام ، كسكة محراث ، أو كصدمة ممزقة ... " وجد الشاعر في طياته العميقة ، رمزا أبديا . بعض أنواع المحراث تمثل في الفنون التشكيلية عن طريق الفاليس .

في بعض اللغات العالمية نفس الكلمة يعني بها : المَر و الفاليس (la Bèche et Phallus) [المَر يقلب بها الأرض] . و كثير من الأساطير تقارن بين المرأة حديثة الزواج و الخط المفتوح من طرف سكة المحراث . الكثير من الناس البدانيين " يخصبون " الأرض منتقلين عبر الخطوط التي يتركها المحراث ، مظهريين أعضاءهم الجنسية الذكورية الخ . الخ . و نتذكر بذلك الطقوس الأسترالية الغربية: يحفرون حفرا في الأرض و يرقصون حولها و تمثل بالنسبة لهم تلك الحفر العضو الجنسي للمرأة ، ثم يقومون بغرس وسطها أعمدة (رمز الفاليس).

فرمز الأرض - الأم ، المخصبة و كثيرة الخيرات في منتهى المنطق الدقيق ، و الجمال الجذاب . و بفضل قوته ، و استدامته ، فقد استطاع البقاء ، في كيان كل واحد فينا ؛ لكي يظهر بعد ذلك على السطح تحت ظروف مختلفة ، مثل جميع الرموز الأخرى .

قال لي مهاجر عن الوطن :

- أريد أن أدفن في أرض وطني...

- لماذا ؟

- ... لا أدري ... أشعر أنني سوف أجد أمي و أنام وسطها نوما
أبديا...

هاهي بعض الاشتراكات الحرة للكلمات ، و المحصل عليها خلال حصة تحليل نفسي ، لما يقارب مائة شخص :

الأرض

الجاه- الإخصاب - الخير الوفير - الأمن - المغذية - الأم - الأمومة
- المرأة - العذراء - السلبية .

الماء

يعتبر الماء رمزا انفعاليا شديد الحدة ، موجود منذ آلاف السنين . و يظهر عادة في الأحلام ، و الأدب ، الشعر ، الرسم ، و الغناء الخ
هاهي أجوبة لاشتراكات أعطيت من طرف مائة و خمسين شخصا ردا على كلمة الماء . سوف نرى أنه لم يتغير فيه شيء...

الماء

التغليب - الإخصاب - الوفرة - القمح - الهدوء - التعميد Bapteme
- أمي - المورد الدائم - النقاء - الشباب الأبدي - التجديد.

أصنف هذه الإجابات حسب الرموز :

- 1 - رمز الخصوبة : الإخصاب ، الوفرة - القمح
 - 2 - رمز الأنوثة : أمي - التغطية - الهدوء .
 - 3 - رمز النقاء : النقاء - التعميد [ترسيخ نوع الديانة في المهد]
 - 4 - رمز التجديد " الأبدي - المورد الدائم - التجديد.
- و بالفعل فإن الماء يجمع دائما في كل العصور بين هذه الرموز . و يكفي لفهمه القليل فقط من الحدس .

الماء رمز الإخصاب و الأنوثة .

و هذا بديهي . المرأة المخصبة تعطي الأطفال ، تماما مثل الأرض المخصبة بالماء ووفرة في الخيرات . من جهة أخرى ، نتذكر جيدا أن الأرض و السماء يكوئان معا زوجا مقدسا . فمن الطبيعي إذن أن يكون الماء (المطر) الذي ينزل من السماء مقدسا كالألهة التي تمنع عقم الأرض - الأم .

و من بين عشرات الآلاف من الشعوب الأخرى . فإن الشعب الروسي كان يحب الهته التي تمثل بالنسبة له و في أن واحد : الأم ، الأرض ، و الرطوبة . و نعرف لافونتان (La Fontaine) القاطن في أكسفورد ، و الذي عرف عليه أنه مختص في إخصاب النساء المصابات بالعقم . و هناك عدد كبير يشبه لافونتان ، و الذين يقدمون لهم النذر لتحقيق أمنياتهم . و يقال في الأدب : " يغلفه ماء الأمومة " . يشعر أنه وسط الماء ، و كأنه غطس في أحضان أمه . هناك العديد من القصائد الشعرية أو الأساطير التي تتحدث عن الماء و كأنه آلهة أو أم . يتحدث الصينيون عن الماء و كأنه نموذج للحكمة؛ ليست في غاية النقاء ، و التواضع ، و تتسجم مع جميع الأشكال؟ كم من أغنية تغنت بسحر البحر، و الأنهار ، و المنابع ، و الندى ... الخ ؟

يكفي أن نفكر في نهر السين ! إنه " كالعاشقة " " يناجي " إنه كالمرأة إنه " يعانق " مدينة باريس ... مدلا و مزخرف الخ ... هذه الأغاني تشترك في الرموز الكبرى للماء . و هذه الرموز العميقة ، التي تمس الغرائز الفطرية لكل واحد منا ، نالت فوزا كبيرا .

و من جهة أخرى يعتبر الماء رمز للإخصاب و التوليد . و نذكر هنا بعض المعطيات الواردة عن طريق مارسيا إيليا (Marcea eliade) تاريخ الديانات : عند السوماريين ، كلمة الماء تعني كذلك : " المنى " ، " حمل المرأة " ، " الأجيال " و في أيامنا المعاصرة هذه ، مازال البدائيون ، يخلطون (في خرافاتهم) بين الماء و " مني الرجل " . و في جزيرة واكيتا (Wakuta) تذكر الخرافة كيف الشابة العذراء تفقد عذريتها حين يلمسها ماء المطر .

(سوف نرى بعد لحظات حلما تقطه شابة صغيرة "1958" و تعيد تماما هذه الخرافة) فالنسبة بين إخصاب الأرض - الأم و إخصاب المرأة هنا إذن هي ضئيلة جدا . و هذا شيء منطقي .

الماء رمز التجديد و الطهارة

صورة التجديد عن طريق الماء تعج به الأساطير العالمية . " الشيخ الكبير " الذي يغطس في الماء ، ثم يفرج منه و هو مالكا لجسم جديد . كله رمز للتعميد .

ماذا تقول التقاليد ؟ " أخذ العالم نشأته من الماء " قبل خروجه من الماء كان الكون لا شكل له ، لا وجود له . الغطس في الماء (عند التعميد) يعني إذن به (الرجوع إلى العدم) ثم بعد الخروج من الغطس هناك ولادة جديدة ، طهارة ، وتجديد .

و على المستوى الأرضي ، يمثل الطوفان (و الذي هو موجود في الأساطير القديمة) نفس المعنى : العودة من العدم لشعوب قديمة ، وولادة جيل جديد ، كل أبطال الأساطير يعاودون الغطس في البحر ؛ و تحتوي الأسفار للشاقة على قطع الأنهار أو السفر تحت مياه المحيطات ؛ و عادة ما تكون داخل بطون الوحوش البحرية . في أغلب الأحيان يوضع الأموات فوق قوارب لكي يأخذها ماء النهر . و الكثير من القوارب تأخذ أرواح الأموات . الخ و في آخر المطاف يخرج الأبطال من الماء منتصرين و متجدي الأجسام ...

و بعد ذلك تأتي قصص ينابيع ماء جو فانس (Jouvence) الينابيع العجيبة، و المنابع و الأنهار المقدسة ، و كذلك الآبار ذات الطقوس ، و هي ما تزال ليومنا هذا . يوجد في فرنسا العديد من المنابع المائية و الأنهار المجددة للشباب . و في كورنواي (Cornaouille) يغطس بالأطفال في بئر سانت - موندرون (Saint-mondron) فظلا عن هذا فإن الطهارة عن طريق الماء موجودة منذ وجود الإنسان . و يقول ايزيشيال (Ezechiel) : رش جسمك بالماء الطاهر ، و سوف تصبح طاهرا ... " التعميد ، الرش بالماء الطاهر، الوضوء هي نماذج دائما حية. الماء هو أجمل رمز يمكن أن يوجد في هذا الكون ...

استغلال الرموز في العلاج النفسي

هل نستطيع استعمال الرموز لإحداث الانفعال ؟ ذلك الانفعال الفاعل و المعالج ؟ إذا كانت صورة رمزية هي تعبير عن إحساس ، أفلا يمكن استعمال الصور لجلب ذلك الإحساس ؟ ألا يمكن استعماله لإحداث إحياء عميق ؟

و نصل إذن إلى مستوى جديد من العلاج النفسي . هو مستوى ذو أهمية مذهشة . و يمكن أن يكون ذا فائدة إعجازية باتم معنى الكلمة ، سواء كان ذلك قصد التحليل النفسي أو قصد العلاج .

حلم اليقظة

منذ عشرين سنة حضر " روبرت دوزوال " لوقائع حدوث حلم اليقظة بقيادة هـ - كاسلان ، و قد صدمه ما تزخر به من غنى في قوة الصور التي تمثل إلى عقل " الحالم " . و قام بعدها مباشرة بالبحث ووضع طريقة جديدة أنعشت بشكل مدهش علم النفس .
ما هي إذن وسائل هذه الطريقة ؟

- 1 - تستعمل الرموز لتحليل المريض.
- 2 - تستعمل القوى الديناميكية للرموز لكي تؤدي فعلها على المريض.
- 3 - تعمل على أن يصبح الرمز حقيقة فعلية حية و فاعلة (مثل ما هو عند الانهيار)

شروط هذه التقنية

بما أن الأمر يتعلق بالبحث عن لب الرمز ، فإنه يجب على الشخص أن يقطع و بأقصى درجة " منطقة الإدراك " . و لكي يصل لهذا من الضروري أن يكون هناك استرخاء عضلي و نفسي تام . تقنيات مختلفة يمكن استعمالها لهذا الغرض . بصفة عامة يجب عزل الشخص تماما عن عالمه الخارجي (تسلية ، ظلمة ، غلق الجفنين الخ) . بعد ذلك نقوم بتمرير الشخص شيئا فشيئا من حالة شعورية طبيعية إلى حالة أخرى : و هي الوصول إلى أعلى نروة لفاعلية الرمز إلى أن يبدأ في الاشتغال . مع بقاء الشخص و هذا طبعا في حالته الشعورية . فبشكل عام حلم اليقظة هو عبارة عن " سيناريو رمزي " موجه . و هنا يلعب المختص في علم النفس دور الموجه و المحلل . و كل مواد حلم اليقظة مستمدة من طرف الشخص نفسه .

و على سبيل المثال هاهي ثلاثة أجزاء قصيرة من حصص حلم يقظة .

- 1 -

" جانين " امرأة شابة في الثلاثين من العمر ، و مترجلة . تعمل كأستاذة في مادة الرياضيات و لا تعرف شيئا عن الرموزية . هذا الجزء يبرز جيدا أن اللاشعور الرمزي يعبث هزء " بالمنطق الرياضي 1958 " . أكرر أنه أثناء هذه التقنية لا بد من حذف " الإدراك المنطقي " تماما . لا يجب أن

تصدم الشخص الأحداث و المواقف الأكثر سخافة . (بالضببط مثل أحلام الليل)

... أشعر أنني أسبح ببطه نحو الشاطئ . أين يوجد شيخ كبير . إنه في غاية البشاشة ، و يبدو عليه لطف كبير . استقبلني ، ثم قادني نحو صخرة يتدفق من خلالها ماء صاف و نقي . دفعني هذا العجوز تحت ذلك التدفق المائي . و شعرت بعدها بإحساس ... بالطهارة ... تراجعت إلى الوراء و خرجت من الماء ... و أدركت بعدها أنني حامل ... و زعجت من هذا لأنني لا أريد الأطفال . أخذ العجوز بيدي و غطس براسي في الماء ... و قال لي : " لا تخافي " و أخذ ينظر إلى بطني مبتسما و قال لي : " إنه شيء رائع " و مازلت حاملا ، بدأت أغني ... و أرى بدل الصخرة ، رجلا شابا ينفث الماء من فمه .

يمكن أن يكون هذا الحلم اليقظ مذهلا .

فلنرجع إلى الرمز الذي يتميز به الماء (ص 244) . و نلاحظ التشابه الواضح بين الاعتقادات القديمة للإخصاب عن طريق الماء .

نفس حلم " جانين " يمكن أنه قد حدث لآلاف النساء عبر مختلف الأزمنة فلنعاود أخذ هذا المقطع من " للحلم "

1 - استقبل جانين شيخ هرم بابتسامة (الحكمة ، العفو ، المعرفة)

2 - تدفع جانين تحت هذا التدفق المائي الذي يخرج من الصخرة . تشعر بعدها بالطهارة .

3- لاحظت أنها حامل . نحن هنا إذن في أعز رمز للإخصاب : الماء المخصب

4 - تحس بالاشمزاز من نفسها . و هذا طبيعي كونها ترفض نورها كامرأة . و هي تحس " بعدم للنقاء " بسبب تصوراتها للأشياء .

5 - يقوم الشيخ بغطسها في الماء (الفطس = الموت) متبوع بالصعود إلى السطح = للتجديد ، التطهير . كلام الشيخ يتناسب مع رمز التعميد .

6 - " جانين " دائما حامل . هذه " الطهارة " غيرت نظرتها للأشياء ؛ و بدأت تغني .

7 - في مكان للصخرة يظهر رجل شاب . ينفث الماء من فمه . كذلك هنا رمز الماء المخصب . التخصيب يأتي من عند رجل و جانين تتقبله

ماذا حدث بعد ذلك ؟ اهتزت جانين بشدة بتقبلها (في الحلم ، و خلال الأيام الآتية) لدورها كامرأة و الإخصاب الذي ينتج عنه . استفادة العلاج النفسي من الإحساس القوي الذي نتج عن " حلم اليقظة " . و أكمل العلاج على أساس شدة قوة الرموز .
و بسرعة تخلصت جانين من عقدها ، و قبلت دورها كامرأة . إنها متزوجة الآن و تتمتع بكامل أنوثتها .

-2-

إنه مهندس ، عازب ، يبلغ عمره أربعون سنة . بعد خضوعه لتقنيات الاسترخاء ، يدعو لقول كل ما يخطر على باله أو يحس به . و نشاهد أن العقلانية لا تعمر كثيرا هنا كذلك :

1 ... أحس أنني إنام ، ملتويا كزناد البندقية ، حتى أنها تعتبر الوضعية الوحيدة التي أتمكن بها من النوم .

يتخيل إلي و كأنني موجود داخل ما يشبه البيضة ... إحساس شديد حتى أنني أشعر فعلا أنني وسط بيضة ... في أمن ... رغم أنني أبلغ من العمر أربعين سنة ... و اطمأن وسطها .

هنا يرجى منه القول بماذا يمكن أن يقارن نفسه ؛ و لا تطول الإجابة :

2 ... للجنين نعم أشبه الجنين . هل يعني هذا أن خوفي كبير أمام الحياة و المسؤوليات ؟ و أشعر دائما بالضعف أمام العمال ... و كان علي أن أواجههم في العمل ... إنها احساسات غريبة تلك الصور التي اختفى فيها و كأنني لم أولد بعد .

هنا يرجى منه الخروج من البيضة بأي وسيلة كانت .

3 ... أتمدد بغضب شديد ... كل شيء يتكسر ، و ... أشعر أنني أطفو فوق الماء ... على سطح ماء شاسع الامتداد ... و في الأفق البعيد تظهر شمس كبيرة و صفراء اللون ... و يعم صمت مدهش ... و ينتابني شعور مدهش بما يشبه الترقب ... يرجى منه أن يسبح .

4 ... أشعر أنني أسبح ، بهدوء ، و بقوة . أتوجه نحو الشاطئ . فجأة تترقب حركاتي من طرف طريق يظهر أنه يخرج من الماء و يتجه صاعدا نحو السماء حتى ما لانهاية . ذلك الطريق يلعب ، و السماء قائمة . أحس أنه لا بد علي تسلك هذا الطريق إذا كنت أريد أن أتغير ...

ما هي الرموز التي نجدها؟

- 1 - صورة واضحة في التعلق بأمه ، الرجوع إلى أمه. و يقولها بنفسه :
أشعر و كأنني جنين . (بمعنى : وسط بطن أمه)
هذه الصفة " الطفلية " أحدثت عنده : الشعور بالنقص ، الخوف من
المسؤوليات ، المظهر الأنثوي ، العزوبة ، الخوف من النساء ، استحالة
التخلص من أمه قصد الزواج ؛ كل ذلك مصحوب بحالة من التمرد ضد
هذه الأشياء . (ملاحظة هنا كذلك في هذه الحصة ، رأى مروحة كبيرة .
و لما طلب منه نزع ثياب تلك المروحة ، اكتشف وجه أمه القاسي)
2 - التفسير الشخصي لحالته
3 - رمز عالمي جميل جدا . يذكرنا بالتقاليد : أخذ العالم نشأته من الماء .
هنا إذن توجد صورة للتجديد الشخصي ، " من ولادة جديدة إلى حياة
جديدة " . يقولها هو نفسه : " أحس بما يشبه الترقب " .
رمز الماء هو متكرر جدا في حلم اليقظة : لأن الكثير يريدون " التغيير " .
- " يولدون من جديد " - " أن يطهروا " . فمن الطبيعي إذن أن يعيد هذا
الرمز الكرة كل مرة .
4 - يصل إلى طريق " صاعد " و يقول : " أحس أنه لا بد علي أن أتسلق
هذا الطريق إذا أردت أن ألتغير " .
عندنا إذن رمز الصعود ، الطهارة ، نكران الذات . (حتى أن الطريق
لماع - النور)

ما أهمية الحلم اليقظ؟

إذا ما قمنا بمقارنته مع التحليل النفسي الكلاسيكي. يعتمد التحليل النفسي،
في بعض الأحيان ، على فهم الشخص . يعتمد على فهم عقده ليتمكن من
استقامة طباع . حيث أننا نعرف جيدا ، أن كل فعل إنساني منبثق عن
الانفعال أو إحساس ما ؛ و أن كل هذا لا علاقة له بالذكاء أو الإدراك
المنطقي . إن الذكاء يعتبر ضروريا لفهم الذات ، و لكن لا يكفي وحده .
هنا يقوم حلم اليقظة بإكمال مهمة التحليل النفسي . لماذا ؟ لأنه يشتغل
مباشرة مع اللاشعور . كيف ؟ و لكن بالتحدث عن طريق الكلام بلهجته ،
بمعنى بالصور والرموز! شيء جميل يجب ملاحظته في الحلم اليقظ:
الهدوء الذي يجلبه وبسرعة أحد الآثار التي يحدثها دوما هي: إزالة الأرق.

ومن جهة أخرى يظهر الإحساس بالحرية والطلاقا لماذا؟ لأن الشخص يحس أنه يفعل ، ويعيش حقيقة حلمه. فعل ناجح خلال حلم اليقظة له تأثيرات مباشرة على السلوك الخارجي.

- 3 -

هو كذلك مقطوع قصير من حلم يقظ أدي مع يفون Yvonne ، امرأة شابة ذات الثلاثين من العمر . متزوجة . الشعور بالنقص ، و تأنيب شديد للضمير مرتبط ببعدة أديب . باردة جنسيا ، و لكن متفهمة جيدا من قبل زوجها .

و كبداية يحي إليها أنها موجودة في بيتها ، و في ظرف عائلي عادي :

1 - ... إني في منزلي ... أقوم بالقراءة

- ماذا تقرنين ؟

2 - ... أوه ... تأليف على سانت طوماس داكابان ؛ أحب قراءة كل ما هو روحي أو غيبي . هنا لا يوجد أي تعليق و لا سؤال من طرف عالم النفس . إحياء جديد بان تشعر أنها في بيتها :

3 - ... إني في نفس الظروف ؛ أقرأ ، يقوم زوجي بحساباته . أبتنتنا الصغيرة تلعب بين رجلية . كل شيء هادئ بشكل طبيعي كالعادة ...

- انهضي ؛ و ليكن الإحساس بانك تتجهين نحو باب يؤدي إلى الخارج :

4 - ... أتوجه نحو باب يؤدي إلى الحديقة . أفتحه أخرج . تختفي الحديقة .. وأجد نفسي أمام سهل شاسع يغمره نور القمر إلى ما لانهاية ..

5 - ... ألتقت ببطء ... ينتابني الخوف ... اختفى منزلي . الكل يهجرنني ... يمتد السهل إلى آخر امتداد البصر ... وأشعر أنني في عزلة موحشة ...

هل هي أنا ؟

فليكن لك الإحساس أنك تتقدمين في هذا السهل .

6 - أنا ... أنا لا أجزؤ ... أريد أن أتسبب بأي شيء ... أبحث عن زوجي ... أو أي إنسان آخر ... لا ، لا ، لا أجزأ على التقدم ؛ أريد ظهور منزلي ...

- فلتكوني ماسكة لسيف و تقدمي

7 - نعم ... في يدي سيف . أحس بانني قوية ، إني أتقدم إلى الأمام ، و فجأة يقف أمامي حاجز جداري ضخم مطلق الأبواب . ووراءه ، يوجد

اناس كثيرون تنظر إلي ... إنهم ينبذونني و يمنعونني من المرور ... أريد الفرار ... أنا ...

- فكري في سيفك .

8 - أفتح باب الحاجز ؛ انني خائفة ، ولكن أتقدم ببطء . أشعر أن الناس أقل تهديدا مما كنت أعتقد . أنظر ... أنني أرمي بسيفي ! و أوصل في النقم. الناس يبتسمون لي. أحس بالهدوء في كامل جسدي ...
- هنا يحي لها أن تجد وسيلة للصعود .

9 - أخرج من وسط الجمع من الناس . و لا أعود لمشاهدة إلا السهل ... أصبحت أثق أكثر في نفسي. أنني أرى من حولي و أبحث عن وسيلة للصعود . على مسافة قليلة أرى شيئا مبهما ثم يأخذ بالوضوح أكثر ... إنه سلم ... معدني أو من الكريستال لست أدري ... ينساب نحو السماء مثل الخط الرفيع، و ينادي لي بالسعادة ... لا أستطيع الرؤية الواضحة ... و أعتقد أن هناك بالأعلى سوف يحي إلي بذاتي ... و أرى منزلي في القمة؛ يجب أن أصل إليه و لكن من طرف " أنا - ذاتي " آخر ...

ماذا يظهر هذا المقطع؟

2 - "أريد أن أكون روحية بحتة " : هذا التعبير يظهر أن روحانيتها هي بمثابة تعويض لشعور ها بالنقص .

5 - الإحساس بهجرة الناس لها ، مرتبطة كذلك بالشعور بالنقص و ثانيب الضمير

6 - الإحساس بالخوف. السيف ، رمز اليسر و القوة ، يزيل هذا الخوف .

7 - للحاجز و الجمع من الناس . من جديد إحساسها بنبذ الآخرين لها .

8 - تتقدم . ترمي تلقائيا سيفها ، و ينتابها إحساس بالطلاق .

9 - بالنسبة " للصعود " فإنها تجيب على رمز السلم . و عبر كل الأزمنة فإن السلم يدل على " تغير المستويات " و يسمح بالمرور رمزيا من المادي إلى الروحي . و في أيامنا هذه يرمز السلم بطلاقة عن " تغير المستوى " : فالملك يصعد " سلم العرش " ، الذي يرمز بالمرور المادي " الشعب" إلى الروحي " الملك " . و كذلك الراهب الذي يصعد درجات القدسية و الذي يرمز من المرور المادي "الأرض" إلى الروحانية (الله) الخ .

و بتسلقها لهذا السلم ، تحس إيفون أنها سوف " يتغير مستواها " ، بمعنى تصبح امرأة أخرى . ويلاحظ أنها تشعر بنفس الأحاسيس لذلك المهندس ص (249) السلم أخذ مكانه الطريق الصاعد إلى الأفق. و هو كذلك يعلن: " أشعر أنني لا بد علي أن أتسلق هذا الطريق ، إذا أردت أن أتغير ..."

النتائج الإضافية المحصل عليها عن طريق علم اليقظة .

- 1- استبدال العادات : و هذا طبيعي ، بما أن العادات تعطى عن طريق الانفعالية اللاشعورية . زيادة على هذا ، فإن الكبت و العقد تفرض عادات داخلية كثيرة ، و التي تبرز رغم السلوك الخارجي .
 - 2- امتداد للشخصية : الامتداد العرضي و العميق . يجد الشخص منابع غرائزه و التعود على العيش معها بشكل منسجم ، (و هذا عكس العقد !) . هذه الطريقة توفق بين الشعور و اللاشعور ، و يتخلص من القلق الناتج عن النزاع بين مختلف الميول .
 - 3- اكتساب لياقة جديدة للانتباه ، و التركيز ، و التبصر
 - 4- تنمية الحدس ، و التخيل البناء .
 - 5- معرفة القوة الرئيسية للانفعالية ، و تطبيقها في الحياة اليومية .
 - 6- إنماء ذوق الفعل . هذه الطريقة تتمتع بقيمة تربوية لا نقاش فيها ، سواء عند المراهق أو عند الكبير .
- الخلاصة :-**

كل الرموز آتية من الإحساس الإنساني و من الأفعال العميق . كل رمز انفعالي ، يحدث بدوره ، الإحساس و الفعل . و تظهر تجارب النفسية (و الفنية) كيف أن الرموز الكبرى تعيش دائما في لا شعور أي فرد . حيث أنها إذا عاشت فإنها تقوم بالفعل . " و الحياة المعاصرة " تقطع الإنسان عن طبيعته العالمية . و انطلاقا من هنا ، فإن إنسان المدينة يعتقد أن تلك الرموز قد ماتت و اندثرت ، أو أصبحت فقط مجرد تسلية ذهنية . و هذا غير صحيح إطلاقا ... إن الإنسان المعاصر حزين و لكن و خاصة حينه إلى الماضي أكبر ... انظروا إليه ، بسياراته الفخمة ، و بناءاته الضخمة ، بقطارته ، تلفزته ، و قاعاته السينمائية الملونة و الفاخرة الخ ... رغم كل هذا يكفي أن يسمع أغنية صغيرة لا تساوي شيئا لكي ترى انفعاله ينفجر و دموعه تسيل ... إنها قوة الإنسان الحديث ! إلى ماذا يأخذه الحنين ذلك

الإنسان ؟ إلى دوره كإنسان كامل ، مع الرغبة الجامحة أن يعثر على إنسانيته ... و هاهو أمام بعض الظروف ، كل شيء يطفو على السطح ؛ انفعال أمام الطبيعة ، انفعال " لا تفسير له " عند سماعه لأغنية حمقاء ، حلم ليلي بآثاره المتواصلة ، أحلام مبهمة ، إلهامات ... انفعال سخي . عند قراءة قصص خرافية أو لبعض الأساطير القديمة ... حيث أن الأساطير هي مشحونة بالرموز العالمية ... و لهذا فإنها تعبر بسهولة شديدة لقرون عديدة ، في نفس الوقت الذي تمحي نهائيا لوحات فنية " آية في الإتيقان " ..و يعود الفضل لعلم النفس الأعماق الذي سمح للإنسان أن يجد ، داخل أعماقه البعيدة، الجنة المفقودة، و التوافق المنسجم مع العالم !...

التحليل بعد التخدير و مصطلح الحقيقة

Narco- Analyse et Serum de Verité

التحليل عن طريق التخدير أو ما يسمى باللاتينية In vino- veritas بالطريقة العصرية . هو تحليل نفسي لا يتحقق إلا بعد عملية التخدير [و يكون التنويم هنا بالوسائل الكيميائية ، أما التنويم المغناطيسي فهو يتم بالطرق الطبيعية] .

وجب بالطبع على المختص في علم النفس الأعماق التوغل إلى اللاشعور . ليسمح له بالتحرك لكي يتم تحليله ، و جعله متوافقا مع الحياة الشعورية .

التحضير لهذه العملية (التحليل - التخديري) يكون باستعمال الوسائل الكيميائية يتم بموجبها :

أ - تحقيق و بسرعة كبيرة حالة شبيهة بالنوم

ب - ترك الشخص قادرا على الاتصال بالعالم الخارجي .

هذه الطريقة تحمل أسماء أخرى مثل : " التفتيس " **abreaction**

(انظر هذا المصطلح) في التحليل النفسي ؛ التحليل النفسي - الكيميائي ، التشخيص التخديري ، التركيب التخديري .

ما هو نوع الأبوبية المستعملة ؟

تقريبا دائما المواد البار بوتيرية ذات الطرح السريع (بونتوتال ، نيسدونال ، إيقيبان - ناركونيمال - سيكونال الخ) نحقنه عن طريق الأوردة حتى يبدأ ظهور حالة قبل - النوم .

و لا تعتبر الحقنة في علم النفس إلا تحضيراً للشخص . فهذه الحقنة "ترفع الحاجز " و تسمح لعالم النفس أن يؤدي دوره . فالطريقة المستعملة مستمدة بشكل كبير من التحليل النفسي . و في الصميم ، فإن التحليل - التخديري يعتبر وسيلة سريعة للوصول إلى حالة مثالية من أجل السماح بالعمل النفسي .

أ - تعيد إلى السطح كل المعطيات التي توجد في حالة نسيان (ذكريات الطفولة ، الصدمات الطفولية ، المحيط العائلي ، الكبت الخ)
ب - تسمح بعد ذلك بتجميع كل الظروف الداخلية و القيام بانسجامها .

النقد لهذه الطريقة .

فالتحليل التخديري يعطي نتائج مذهشة ، و لكن بشرط أن لا تكون الصراعات الداخلية شديدة التوغل في الأعماق . و ليس قديمة كثيراً . و قد رأينا خلال الحروب كيف أنها تسمح بإزالة و بشكل سريع للصدمات الانفعالية الناتجة عن المعارك . أما إذا كان الصراع موجوداً في الأعماق البعيدة ؛ أو أنه عبارة عن عصاب كان يفعل منذ مدة طويلة ؛ هنا العقبة تصبح كبيرة الحجم . هناك خطر تأثير التحليل التخديري فقط على الأعراض و ليس على الطبقات العميقة (كما في التويم المغناطيسي) . و على كل حال فإنها تبقى دائماً تقنية دقيقة و مهمة ، و تمكن من البحث بشكل سريع على الأسباب العميقة لمرض النفسي .

مصل قول الحقيقة و الشرطة .

هل يجوز أخلاقياً أن نمارس على مجرم التحليل التخديري ؟ هل يمكن استعماله لمعرفة "العمق النفسي " للمتهم ؟ فالسؤال بالطبع خطيراً جداً ، و يمكن أن تكون له عدة تأثيرات . إنه يمثل المشكل الكامل لحرية التفكير ! فالآراء إذن مختلفة جداً ؛ و تطبيق التحليل التخديري في الطب الشرعي يكتنفه الكثير من التناقضات .

* **تجاه الجرح** : معرفة الظروف العميقة (تربية ، محيط عائلي ، إهانات ، استضعاف ، إحباط) تمكن طبيعاً من فهم أكثر لأسباب ارتكاب الجريمة . يسمح إذن التحليل التخديري بمعرفة نقطة الانطلاق النفسي للعمل الإجرامي . و يمكن بفضلها التوصل إلى معرفة الأسباب الغامضة ، و التي لا يستطيع أبدا الإدراك المنطقي باكتشافها . أما بالنسبة للجائح فإن

التحليل التخديري يسمح بإعطاء تفسير لهذا الفعل . إعطاء تفسير ليس معناه التسامح . و لكن التفسير العميق للفعل الإجرامي يجعلنا نفهم أننا أمام مريض عقلي . و في هذا المعنى ، فإن البنوتال يساعد على تحديد درجة المسؤولية الجنائية . و لا ننسى أنه يوجد بين المسؤولية الكاملة ، و اللامسؤولية التامة سلسلة من اللامسؤوليات الجزئية . في هذه الحالة استعمال علم النفس العميق يمكن من إعادة " تقويم " الجانح .

* **تجاه الشرطية:** "لا نخشى" يقول البروفيسور بيدوليفر (Piedelievre) من فتح القليل من الباب ، فليس إلا الخطوة الأولى التي تكلف - عندنا ميول أكثر فأكثر نحو تجريب نتائج البنوتال ؟ يجب أن تكون عدالتنا هنا في فرنسا طليقة ؛ يجب عليها التخلص من كل أنواع الطرق العنيفة التي يكثر الكلام عليها ، أو على الأقل في بداية التحقيقات الأمنية ... يجب أن يدافع المتهم على نفسه بالطريقة التي تحلو له ، عقله حر ، فلا يمسه أحد بسوء . يدافع عن نفسه كما هو : نكبي أو أحمق ، كاذب أو صادق . لا يقسم باليمين ، و يمكنه أن يكذب . و على هؤلاء القضاة أن يقوموا بالتقدير لذلك المتهم واضعين أمامهم إدراكهم الشعوري الحر ، و قدراتهم الإنسانية أمام قدراته هو ... "

يعتبر التحليل إذن انتهاك لحرمة الشعور . و نفس الشيء بالنسبة للتحليل النفسي لأنه يبحث عن الأسباب العميقة ؛ و إذا ما دفعنا الأشياء أكثر فإن كل يوح بالسري يعتبر انتهاكا للشعور ؛ كل شيء مرتبط إذن بشيء واحد: رضا الشخص نفسه .

* - **تجاه السياسة الأمنية ...** مثل التسويم المغناطيسي يعتبر التحليل التخديري في بعض الأحيان وسيلة قوية للإيحاء ، فإذا كان الهدف هو تغيير أشخاص غير طبيعيين فهذا شيء جميل . و لكن استعمال هذه الطريقة في السياسة ينجر عنه " تغيير الأشخاص الطبيعيين لأرائهم بشكل تلقائي " . نرى إذن خطر علم النفس الحديث ، الذي يسقط في أيادي رجال السياسة و الذين يكون عندهم الإحساس الإنساني مشكوك في صحته ؛ و نعرف بما فيه الكفاية و للأسف " جرائم الرأي العام " ! فهناك ما يرهب أمام هذه الانتهاكات لحرية الفكر ، إذا سمح بتعميم التحليل النفسي .

خلاصة القول .

إذا كان الشخص موافقا و على علم بالوسائل المستعملة ، فهذا لا يشكل أي مشكلة لافي الطريقة و لافي الهدف المرجو . و هو طبعا حالة استعمال التحليل للتخديري و التحليل النفسي لغرض العلاج فقط . و تطبيق التحليل التخديري في الطب الشرعي مرتبط بعدة ظروف . من جهة فهو يسمح بإعلان براءة المتهم ، و لكن من جهة أخرى يمكن لها أن تخلط مع مجرم كاذب ! هل هذا المجرم هو حر في أن يكذب نعم أم لا ؟ هل يجب أن يضغط عليه لكي يقول الحقيقة ضد إرادته ؟ و نسقط في مشكل حرية الإدراك الشعوري . و نتذكر قصة محاكمة السيد ريدولف هيس في مدينة نينونبرغ و الذي رفض الخضوع للتحليل للتخديري ، و أحترم رأيه و كذلك حريته في الدفاع عن نفسه كما يشاء .

يسمح كذلك التحليل التخديري باكتشاف متصنعي المرض . هنا أيضا الأراء متضاربة . في العدالة العسكرية و خاصة خلال الحرب يعاقب "التصنع بالمرض " عقابا شديدا القسوة . يبقى السؤال مفتوحا ... هل للجندي الحق في " تصنع المرض " ؟ هل هذا التصنع له علاقة بحرية الإنسان ؟ هل العدالة (العسكرية أو أخرى) لها الحق الأخلاقي للكشف عن التصنع بطريقة غير طريقة رجل ضد رجل ؟ أو هل يمكننا استعمال وسائل كيميائية لإلغاء إرادة التصنع المفروضة ؟ و يعود لرجال الأخلاق أن يعتبروا كل تلك الأسئلة ، الشاسعة ، شساعة الشعور الإنساني و ليست قابلة للتويان في الدول للديمقراطية .

العلاج النفسي الجماعي Psychothérapie de groupe

لم تحدث حتى الآن إلا على العلاج النفسي المطبق بشكل "فردى" ، أي بمعنى العلاج الممارس على شخص واحد . لكن في بعض الأحيان يكون لهذه الطريقة نقائص : فهو لا يصل إلى إدراكه أنه ليس مقطوعا عن بقية الإنسانية . و يبقى يحتفظ بيقين راسخ أن حالته فريدة من نوعها و لا يوجد أي أحد له نفس نوع الأمه . و باختصار فهو يواصل إحساسه أنه منبوذ من طرف المجتمع ، و أن هذا الأخير يظهر له الضغينة .

من المستحسن إذن تجميع الأشخاص مع بعضهم البعض . و كل شخص كان قد فحص من قبل و بمفرده . لماذا ؟ لكي يحصل تجانس داخل ذلك الفوج ، و كل شخص يستطيع أن يجد نفسه في الآخر .

كيف تسير هذه الحصص الجماعية؟ الهدف الأول هو إيقاف فكرة العزلة الاجتماعية . تعتمد الحصص أساسا على مقابلة يشترك بالحديث فيها كل أفراد المجموعة . يدير مختص في علم النفس المناقشة . يمكن قراءة بعض "التقارير" التي كتبت من طرف أشخاص موجودين في المجموعة . و هذه التقارير يمكن أن تكون مجهولة الهوية أو كاتبها معروفا . و الأفضل أن يعرف على نفسه . و بعدها كل واحد يقوم بعرض مشكلته يليها مباشرة مناقشة عامة . و دور المختص في علم النفس يتمثل في إحداث و توجيه تبادل الآراء، و إعطاء التفسيرات اللازم توفيرها . هذه الحصص يمكن أن تكون لها أسس تحليل النفسي .

و قد تطورت كثيرا هذه الطريقة (العلاج النفسي الجماعي) في الولايات المتحدة و إنجلترا خلال الحرب العالمية .